التعدية بالزيادة : دراسة أسلوبية في سورة البقرة

إعداد

امل فواز محمود طيفور

المشرف

د.خلود إبراهيم العموش

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربية

كلية الآداب

الجامعة الهاشمية

تموز 2008

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ .....

أعضاء لجنة المناقشة **التوقيـــــــع**

الدكتورة خلود العموش، رئيسا

أستاذة علم اللغة والنحو المساعدة/ الجامعة الهاشمية .....

الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسه، عضوا

أستاذ علم النحو والصرف/ الجامعة الأردنية .....

الأستاذ الدكتور حسن الشاعر، عضوا

أستاذ علم النحو والصرف/ الجامعة الهاشمية .....

الدكتور منير شطناوي، عضوا

أستاذ علم اللغة المساعد/ الجامعة الهاشمية .....

إهداء

إلى من خطَّ بيديه حب العلم في نفسي.. والدي الأستاذ: فواز طيفور.

إلى من علمتني حروفي الأولى، ولامست بحنانها حنايا قلبي.. والدتي: أم الحارث.

إلى رفيق دربي الذي أكمل الطريق.. زوجي: علي المومني.

إلى قرَّة عيني.. أبنائي: أحمد ومحمد وراغدة.

أهدي هذا البحث

امل فواز طيفور

شكر

دون موعد تلتقي أشخاصا، لا يلبثون أن يصيروا جزءا من حياتك، أشخاصا من الصعب أن يتكرروا أمام:

د.خلود العموش

أقف عاجزة، حائرة القول. كلما لقيتها تجددت همتي، وازدادت عزيمتي، تنثر الفرح والابتسامات حيثما حلَّت. لم تبخل يوما عليَّ بوقتها ورأيها الذي كان لي منارة أهتدي بها في لحظات صعبة كنت فيها أحوج ما أكون لقلب كبير مثل قلبها يحتويني. فلك يا سيدتي الفاضلة جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسه، والأستاذ الدكتور حسن الشاعر، والدكتور منير شطناوي، على جهدهم في قراءة الرسالة، وتوجيهاتهم التي ستكون دليلا هاديا ومرشدا إلى مزيد من العلم والمعرفة.

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
أعضاء لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
قائمة المحتويات	ه
فهرس الملاحق	و
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	١
التمهيد	٤
أولاً: مفهوم التعدية	٥
ثانياً: ضوابط الفعل المتعدي	٦
ثالثاً: أقسام الفعل المتعدي	٧
رابعاً: أشكال التعدية	٨
خامساً: التعدية بالزيادة	٩
سادساً: التعدية بالزيادة في سورة البقرة: صورة إحصائية	١٠
الفصل الأول: صيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة	١١
المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة	١٢
أولاً: معاني الزيادة في صيغة (أفْعَلَ) كما تتجلى في كتب الصرف	١٢
ثانياً: تحولات البنية والدلالة في صيغة (أفْعَلَ)	١٤
ثالثا: الدلالة المعجمية لصيغة (أفْعَلَ)	١٨
المبحث الثاني: التضمين في صيغة (أفْعَلَ)	٣٥

المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال	٤١
أولاً: صيغة (أفْعَلَ) وموضوع الخطاب	٤١
ثانياً: صيغة (أفْعَلَ) وغرض المرسل	٤٩
ثالثا: صيغة (أفْعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي	٥٥
المبحث الرابع: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	٥٩
أولاً: الأشكال التركيبية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة	٥٩
ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	٦٣
الفصل الثاني: صيغة (فَعَّل) في سورة البقرة	٨٢
المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة (فَعَّل) في سورة البقرة	٨٣
أولاً: معاني الزيادة في صيغة (فَعَّل) كما تتجلى في كتب الصرف	٨٣
ثانياً: الدلالة المعجمية لصيغة (فَعَّل) في سورة البقرة	٨٤
المبحث الثاني: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فَعَّل) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال	٩٢
أولاً: صيغة (فَعَّل) وموضوع الخطاب	٩٢
ثانياً: صيغة (فَعَّل) وغرض المرسل	٩٧
ثالثاً: صيغة (فَعَّلَ) وعلاقتها بالمتلقي	١٠٠
المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	١٠٤
أولا: الأشكال التركيبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة	١٠٤
ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة في	١٠٦

ضوء السياق اللغوي	
الفصل الثالث: صيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة	١١٣
المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة	١١٤
أولاً: معاني الزيادة في صيغة (فاعَلَ) كما تتجلى في كتب الصرف	١١٤
ثانياً: الدلالة المعجمية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة	١١٤
المبحث الثاني: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال	١١٩
أولاً: صيغة (فاعَلَ) وموضوع الخطاب	١١٩
ثانياً: صيغة (فاعَلَ) وغرض المرسل	١٢٣
ثالثاً: صيغة (فاعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي	١٢٦
المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	١٢٨
أولا: الأشكال التركيبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة	١٢٨
ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	١٢٩
الفصل الرابع: صيغة (استفعَلَ) في سورة البقرة	١٤٠
المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة (استفْعَلَ) في سورة البقرة	١٤١
أولاً: معاني الزيادة في صيغة (استفعَلَ) كما تتجلى في كتب الصرف	١٤١
ثانياً: الدلالة المعجمية لصيغة (استفعَلَ) في سورة البقرة	١٤١
المبحث الثاني: التشكلات الأسلوبية لصيغة (استفْعَلَ) في سورة	١٤٩

البقرة في ضوء سياق الحال	
أولاً: صيغة (استفْعَلَ) وموضوع الخطاب	١٤٩
ثانياً: صيغة (استفْعَلَ) وغرض المرسل	١٥٢
ثالثاً: صيغة (استفْعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي	١٥٦
المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (استَفْعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	١٦٠
أولا: الأشكال التركيبية لصيغة (استفْعَلَ) في سورة البقرة	١٦٠
ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (استفْعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي	١٦١
الفصل الخامس: ظواهر أسلوبية متصلة بالتعدية بالزيادة في سورة البقرة	١٧٠
أولاً: التكرار	١٧١
ثانياً: الفعل المزيد ومجرده في آية واحدة	١٧٦
ثالثاً: تقديم المفعول به	١٧٧
رابعاً: حذف المفعول به	١٨٠
خامساً: وجود فعلين مزيدين في آية واحدة، أو موضع واحد	١٨٢
الخاتمة	١٨٦
ملخص باللغة الإنجليزية	١٨٨
قائمة المصادر والمراجع	١٨٩
ملحق(١) الأفعال على صيغة (أفعل) في سورة البقرة	١٩٥
ملحق(٢) الأفعال على صيغة (فعَّل) في سورة البقرة	١٩٨
ملحق(٣) الأفعال على صيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة	٢٠٠
ملحق(٤) الأفعال على صيغة (استفعَلَ) في سورة البقرة	٢٠١

ملخص

التعدية بالزيادة: دراسة أسلوبية في سورة البقرة.

إعداد
امل فوّاز طيفور
بإشراف
الدكتورة خلود العموش

تناولت هذه الدراسة الأفعال المتعدية بالزيادة في سورة البقرة، وهي على أربع صيغ صرفية: (أفعل) و(فَعّل) و(فاعَلَ) و(استفعل). وطُبِّق فيها التحليل الإحصائي والأسلوبي والسياقي.

واشتملت على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، خصص لكل صيغة فصل واحد. وجاء الفصل الخامس متناولا الظواهر الأسلوبية المتعلقة بالتعدية بالزيادة في سورة البقرة. وقد كشفت هذه الدراسة عن أثر التعدية بالزيادة في إثراء الدلالة المعجمية للألفاظ، والدلالة السياقية كذلك، كما كشفت عن أهمية السياق في قراءة الدلالات المترتبة على اختلاف المباني، ومن ذلك أبنية الأفعال المتعدية بالزيادة.

ورصدت الدراسة التشكلات الأسلوبية لسياق الحال بعناصره المختلفة، من: موضوع، وغرض المرسل، والمتلقي. كما رصدت الجوانب الأسلوبية المتعلقة بالسياق اللغوي المحيط بالمتعدي بالزيادة في السورة الكريمة. وتم البحث في كل صيغة من حيث معاني الزيادة فيها، ودلالتها المعجمية قبل الزيادة وبعدها، ومقارنة الأثر الدلالي المترتب على الزيادة بالمعنى الأصلي. ووقفت على التشكلات الأسلوبية للمتعدي بالزيادة في ضوء سياقي الحال بعناصره المختلفة من موضوع وغرض ومتلق. وفي ضوء السياق اللغوي وأظهرت تعاضد عناصر النص اللغوية في تشكيل الدلالة الكلية للخطاب، ومنها صيغ التعدية بالزيادة.

وتوصلت الدراسة إلى أن كل صيغة من صيغ التعدية بالزيادة الأربع، تتمتع بخصوصية مستقلة عن غيرها في معنى التعدية، وأشكال المفاعيل التي تتعدى إليها، وهي خصوصية تركيبية ودلالية وتداولية أيضا. وأظهرت الدراسة وجها من وجوه الإعجاز التركيبي والدلالي في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

المقدمة

تحتل الأفعال في النحو العربي مساحة واسعة وتتصل بأبواب نحوية متعددة. وهذا يجعلها بيئة خصبة للدراسة والبحث. والأفعال المتعدية تشكل كماً وافراً من الأفعال في العربية.

ولا يخلو كتاب من كتب النحو والصرف قديمها وحديثها من تناول الأفعال المتعدية؛ فقد تفردت بعض الكتب بتناول الأفعال، مثل: كتاب الأفعال لابن القوطية (ت٣٦٧هـ)، وكتاب الأفعال لابن القطاع(ت٥١٥هـ)، وكتاب الأفعال للسرقسطي. وفي هذه الكتب تقسم الأفعال تقسيمات عدة باعتبارات مختلفة وهي: الصحة والاعتلال، والتجرد والزيادة، واللزوم والتعدي، والتمام والنقصان، كما يذكر فيها أشكال التعدية؛ فمن الأفعال ما يتعدى بنفسه، ومنها ما يتعدى بحرف الجر، ومنها ما يتعدى بنزع الخافض، ومنها ما يتعدى بالتضمين، ومنها ما يتعدى بالزيادة وهو موضوع البحث.

وحديثاً أفردت كتب للأفعال المتعدية، وجاءت على شكل معاجم تحدثت عن الأفعال المتعدية ، مثل: معجم أمهات الأفعال لأحمد عبد الوهاب، ومعجم تعدي الأفعال لأنطوان قيقانو، ومعجم الأفعال المتعدية- اللازمة لهاشم شلاش، ومعجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح لعبد الفتاح الحموز.

كما ظهرت كتب تناولت التعدية بشكل أكثر تخصصاً وتحديداً، تفردت بدراسة شكل معين من أشكال التعدية، مثل: التعدية والتضمين في الأفعال العربية. لعبد الجبار توامة، والتضمين في العربية: بحث في البلاغة والنحو لأحمد حسن حامد، تناول فيه التضمين النحوي وكيف يكون سبباً في تعدية الفعل.

وبين هذه الكتب الحديثة التي تحدثت عن التعدية. لم أجد كتاباً أو دراسة مستقلة تناولت (التعدية بالزيادة) وما يترتب عليها من دلالات في السياقات التواصلية الحية، مما كان سببا في اختيار هذا الموضوع؛ إذ فيه غنى دلالي وسعة تحليلية، تتمثل في كشف الدلالات المترتبة على الزيادة المؤدية لتعدية الفعل. وإذا ما علمنا أن

أشكال التعدية بالزيادة تقع في أربع صيغ في:"أفعل" و"فعّل" و"فَاعَلَ"و"استَفعل". التي يتيح كل منها إمكانات تعبيرية كبيرة يتضافر في تأديتها: المعجم، والنحو، والصرف، والبلاغة. وبدراستها متعاضدة متصلةً يظهر العمق الدلالي الناتج عن هذا النوع من أنوع التعدية.

في هذا البحث خمسة فصول: الأول، بحث في صيغة "أفْعَلَ". والثاني، في صيغة "فَعَّل". والثالث، في صيغة "فَاعَل". والرابع، في صيغة "استفعل". وتضمَّن كل فصل ثلاثة مباحث. الأول: في الدلالة المعجمية، والثاني: في التشكلات الأسلوبية للمتعدي بالزيادة في ضوء سياق الحال الذي تضمن ثلاثة عناصر هي: موضوع الخطاب، وغرض المرسل، والمتلقي. والثالث في التشكلات الأسلوبية للمتعدي بالزيادة في ضوء السياق اللغوي وائتلاف عناصره في أداء المعنى الكلي للنص. أما الفصل الخامس فتناول بعضاً من الظواهر الأسلوبية المتعلقة بالتعدية بالزيادة وهي: التكرار، وحذف المفعول به، وتقديم المفعول به، ووجود المجرد والمزيد معاً في آية واحدة، ووجود فعلين مزيدين من صيغة واحدة أو من صيغتين مختلفتين في آية واحدة.

واخترت سورة البقرة نموذجا للدراسة نظراً للعدد الكبير من الأفعال فيها عموما، وتناولت عددا من الآيات التي ورد فيها أفعال متعدية بالزيادة، وتناولتها بالتحليل الأسلوبي المدعوم بالإحصاء؛ حيث تتبعت ورود الفعل في السورة، ومعناه في المعاجم والتفاسير، ورصد التطور الدلالي للفعل، وأثر الفعل المتعدي بالزيادة في موضوع الآية، وغرض المرسل، وأثرهما التبادلي في اختيار صيغة من صيغ التعدية بالزيادة بعينها، ورصد أنماط استجابة المتلقين تجاهها، باعتبار صيغ التعدية بالزيادة صيغا نوعية خاصة لها قدرة على التأثير والتغيير في تشكيل الخطاب.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد وافر من المصادر والمراجع. وكان على رأسها كتاب الله عزَّ وجلَّ، وعدد من كتب الأفعال و المعاجم والتفاسير، بالإضافة إلى كتب الأسلوبية.

وتكمن أهمية هذا البحث في موضوعه، وطريقة التناول؛ إذ لا توجد دراسة مستقلة للأفعال المتعدية بالزيادة من بين الدراسات التي اطلعت عليها، وطريقة تناولها في كتاب الله تعالى تناولا أسلوبيا، يجمع بين عناصر المادة اللغوية المختلفة: من معجم، وصرف، ونحو، وبلاغة، في دراسة واحدة.

ولا يسعني وقد انتهيت من هذا البحث، إلا أن أقدم شكري للدكتورة خلود العموش، المشرفة على الرسالة بكل تفاصيلها ودقائقها، على ما قدمته من جهد ورأي أعانني على إتمامها بهذه الصورة، وأن أقدم شكري الجزيل للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، على جهدهم المشكور في قراءة الرسالة، ومدها بالزخم العلمي الكبير، الذي سيعينني على تقديم الأفضل بإذن الله.

وأرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع، وطريقة الطرح وأن أكون من خلال هذه الدراسة قد خدمت كتاب الله تعالى، وقدمت شيئاً يحمل الجدة والفائدة. والله ولي التوفيق.

التـمـهـيـد

تمهيد

عند النظر في عناصر التركيب النحوي لعبارة ما،فإننا لا ننظر في مكوناتها من حيث الشكل الخارجي،أو النوع الذي تأتلف منه مفرداتها وحسب،بل ننظر في قانون لغة شكلته الجماعة الإنسانية عبر الزمن،بما يلائم فكرها وبنيتها الاجتماعية حتى صار وسيلة للتعبير عمّا تشعر وتفكر به.

وابن اللغة حين يتكلم فإنه يخضع أشكال التعبير اللّغوي لما يدور في ذهنه لإيصاله إلى السامع،وعملية الإخضاع هذه تتضمن الانتقاء الأنسب للشكل اللغوي الملائم للغرض موضوع الحديث،الذي يحكمه الموقف المقامي.

والتعدية واحدة من الأشكال اللغوية التي احتلت مساحة واسعة من النحو العربي؛ ذلك أنها تتناول جانبا مهما من جوانب الجملة الفعلية، وتتصل بشكل مباشر مع أبواب نحوية كثيرة:كالتعجب، والنداء، والتنازع، والاشتغال، والاختصاص وغيرها.وتكمن سعة هذا الباب بما يقدمه من خيارات واسعة،تظهر في الأشكال الزمنيّة المختلفة للفعل،وإمكانات الحذف والتقدير،والتقديم والتأخير،هذا بالإضافة إلى أشكال التعدية المختلفة،التي يحمل كل منها دلالته الخاصة المميزة له عن الأشكال الأخرى.

أولا- مفهوم التعدية

الفعل ما دل على معنى في نفسه، مقترنا بأحد الأزمنة الثلاثة[1]. وقد قسم النحاة الأفعال تقسيمات عدة باعتبارات مختلفة: كالزمن، والصحة والاعتلال،

(1) الرضي، نجم الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦ه)- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج١،ص٣.

والجمود والتصرف، واللزوم والتعدي، والتمام والنقصان[٢].وهناك اختلاف في تقسيم الفعل باعتبار تعديته ولزومه؛ فبعض الدارسين قسّم الفعل إلى أربعة أقسام: لازم ، ومتعد،وواسطة لا توصف بلزوم ولا تعد وهي الأفعال الناقصة، والرابع ما يوصف باللزوم والتعدي معا لاستعماله بالوجهين كشكر وقصد[٣]، وفيه خلاف: فمنهم من قال الأصل تعديته،ومنهم من قال الأصل لزومه،ومنهم من عدّه قسما مستقلا نظرا لوروده بالاستعمالين.

والتقسيم الأشهر للفعل التام هو قسمته إلى نوعين الأول:الفعل اللازم،وهو ما عبّر عن حدث قائم بالفاعل لا يتجاوزه[٤]، ويسمى قاصرا لقصوره على الفاعل ،وغير واقع وغير مجاوز[٥]، لأن أثره لا يقع على المفعول، ولا يتجاوز الفاعل للمفعول.والثاني:الفعل المتعدي تقول:عدّى عن الأمر يعدي تعدية أي:جاوزه إلى غيره [٦] ،وتقول:تعديت المفازة أي:تجاوزتها إلى غيرها.والمتعدي من الأفعال :ما يجاوز صاحبه إلى غيره[٧] ويسمّى: واقعا لوقوعه على المفعول به، ومجاوزا لمجاوزته، الفاعل إلى المفعول[٨] .

ثانيا- ضوابط الفعل المتعدي

تحدثت كتب النحو عن علامتين تميزان الفعل المتعدي وهما: الأولى: صحة أن تصل (هاء)[٩] ضمير، راجع إلى غير مصدر به[١٠]، والثانية: أن يصاغ منه اسم مفعول تام وذلك نحو:عمل، فإنك تقول فيه: الخير عمله زيد فهو معمول[١١]،

---

(2) فياض، سليمان ، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، ط١، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٩.
(3) انظر ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت٧٦١ه)- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ص٣٥٥.
(4) النحو العصري، ص٩١.
(5) الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٩٠٠هـ) - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢،ص١٥٩.
(6) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥ه)- معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، مادة (عدي).
(7) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)- لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، مادة(عدي).
(8) شرح الأشموني،ج٢،ص١٥٩.
(9) لتمييز (ها) الضمير المفعول به، عن(ها) المصدر التي تتصل بالفعل اللازم والمتعدي نحو:الخروج خرجه زيد
(10) شرح الأشموني، ج٢،ص١٥٩.
(11) شرح الأشموني، ج٢،ص١٥٩.

فهو ما بني منه اسم مفعول بلا افتقار إلى حرف جر، كما رصد النحاة أبنية الأفعال الثلاثية التي يشترك فيها المتعدي وغير المتعدي، وهي:
(فَعَل يفعِل)، فأما المتعدي فنحو:ضَرَبَ يضرِبُ. وتكون على **(فَعَلَ يَفعُل)**، والمتعدي منه نحو: **(قتَلَ يقتُلُ)**. وتكون على **(فعِل يفعَل)**، والمتعدي منه نحو: **(شَرِبَ يشرَبُ)**[١٢].

ثالثا – أقسام الفعل المتعدي

تنقسم الأفعال المتعدية بالنظر إلى عدد المفاعيل بها إلى ثلاثة أقسام رئيسة، ويندرج تحت كل قسم أشكال عدّة، وهي:

القسم الأول- الفعل المتعدي لمفعول واحد،وصوره:

١- ما يتعدى إلى واحد دائما بالجارّ نحو:غضبت من زيد[١٣].

٢- ما يتعدى لواحد بنفسه، **كأفعال الحواس**: "يوم يرون الملائكة"[١٤]. و "يوم يسمعون الصيحة"[١٥].

٣- ما يتعدى إلى واحد، تارة بنفسه وتارة بالجارّ: كشكر ونصح وقصد، تقول:شكرته وشكرت له[١٦].

٤- ما يتعدى لواحد بنفسه تارة، ولا يتعدى أخرى لا بنفسه ولا بالجارّ، نحو: فغر فاه: بمعنى فتحه، وفغر فوه: بمعنى انفتح[١٧].

القسم الثاني- أفعال تتعدى إلى مفعولين، ويقع في قسمين:

الأول: ما يتعدى إلى مفعولين حينا، ولا يتعدى حينا آخر نحو:نقص فنقول: نقص المال، ونقصت زيدا دينارا[١٨].

الثاني: ما يتعدى إلى مفعولين دائما، ويقع في ثلاثة أقسام:

---

(12) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي(ت٢٨٦ه)- المقتضب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص١١٠.
(13) شرح شذور الذهب، ص٣٥٦.
(14) الفرقان (٢٢).
ق٤٢(15)
(16) شرح شذور الذهب، ص٣٥٦.
(17) السابق، ص٣٥٥.
(18) السابق، ص٣٥٦.

الأول- يتعدى إلى اثنين أولهما مجرد من حرف الجرّ دائما، وثانيهما يجوز فيه التجرد من الجرّ أو إلحاق الجارّ به، ومنها: أمر، واستغفر، نحو: أمرتك الخير، وأمرتك بالخير(١٩).

الثاني- يتعدى إلى اثنين ليس أصلهما مبتدأ وخبر(٢٠)،"فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدَّى إلى الثاني كما تعدَّى إلى الأول" (٢١). ومن هذه الأفعال:كسا، وألبس، وأعطى، ومنع، ومنح.

الثالث- يتعدى إلى مفعولين، أولهما وثانيهما مبتدأ وخبر(٢٢)، وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر(٢٣)، وهي ظن وأخواتها، وتتراوح دلالتها بين الظن نحو: ظنّ، وحسب، وخال، وعد، وحجا. واليقين- وتعرف بأفعال القلوب- وهي: رأى، وعلم، ووجد. والتحويل والتصيير وأشهرها: صيّر، وجعل، واتّخذ، وترك، وهب، وحوّل. وقد يسد المصدر المؤول مسدّ المفعولين،وهو رأي سيبويه والمبرد.

القسم الثالث- أفعال تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل وهي: أعلم، وأرى، وأنبأ، ونبّأ، وأخبر، وخبّر، وحدّث. والأفعال ماعدا (**أعلم**) و(**أرى**) ضُمّنَت معنى (**أعلم**) و(**أرى**) التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وبسبب دخول همزة التعدية تنصب مفعولا ثالثا.(٢٤)

رابعا- أشكال التعدية

تتعدد طرق تعدية اللازم، وقد أحصت كتب النحو سبعا، يمكن توزيعها في قسمين:

أولا- التعدية بالزيادة، ولها أربع صور هي:

---

(19)شاهين، عبد الرحمن، في تصريف الأفعال، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٩٣م، ص١٧٨.

(20) في تصريف الأفعال، ص١٧٩.

(21) انظر سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠ه)- الكتاب، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص٣٧.

(22) شرح شذور الذهب، ص٣٥٧.

(23) المبرد، المقتضب، ج٣، ص٩٥. : "وإنما امتنع:ظننت زيدا، حتى تذكر المفعول الثاني، لأنها ليست أفعالا وصلت منك إلى غيرك، وإنما هو ابتداء وخبر".

(24) المقتضب، ج٣، ص١٨٩:"ومن الأفعال ما يتعدى إلى ثلاثة مفعولين، وهو من باب الفعل المتعدي إلى مفعولين، ولكنك جعلت الفاعل في ذلك الفعل مفعولا بأنه كان يعلم، فجعل غيره أعلمه، فنقول: أعلم الله زيدا عمرا خير الناس. ولا يكون في الأفعال ما يتعدى لأكثر من ثلاثة مفاعيل.

١- زيادة الهمزة إلى أول الفعل اللازم وهي صيغة (**أفعل**) وتسمى همزة النقل وهمزة التعدية.

٢- زيادة ألف المفاعلة الدالة على المشاركة، وهي صيغة (**فاعَل**).

٣- تضعيف عين الفعل شريطة ألاّ تكون همزة، وهي صيغة (**فعَّل**).

٤- زيادة الألف والسين والتاء إلى أول الفعل، وهي صيغة (**استفعل**)، الدالة على الطلب، أو لنسبة الشيء مثال الأول: استعنت الله، ومثال الثاني: استحسنت المعروف.

ثانيا- التعدية بغير الزيادة، وتشمل الطرق التالية:

١- **التضمين**: وهو أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو في معناه، فيعطي حكمه في التعدية واللزوم[٢٥]، وله صور ثلاث:

أ- أن يتعدّى فعل بحرف يتعدّى به فعل آخر، لأنه تضمن معنى ذلك الفعل ومنه:(ولا تأكلوا أموالهُم إلى أموالكم)[٢٦]. إذ تضمن الفعل (تأكلوا) معنى الفعل(تضمّوا).

ب- إجراء اللازم معنى المتعدي، ومنه: (لا يألونكم خبالا)[٢٧]: أي يمنعونكم.

ج- التعدية بالحركة، وهو تحويل حركة العين، مثاله (كَسِيَ) مكسور العين. يكون قاصرا، فإذا فتحت السين صار بمعنى ستر وغطّى، ويتعدى إلى واحد.[٢٨]

٢- **إفادة المغالبة**: وهو صوغ الفعل على (فعلتُ أفعُلُ) بالضم لإفادة الغلبة، تقول: كَرَمْتُ زيدا أكْرُمُهُ. أي: غلبته في الكرم .

٣- **إسقاط حرف الجر** توسعا، أو ما يسمى نزع الخافض، وينصب المجرور، ومنه: (أعَجِلْتُم أمْرَ ربكم)[٢٩] أي: عن أمره. وهذه الطرق على اختلافها تتفق في صلاحيتها لجعل اللازم متعديا، والمتعدي لواحد متعديا لاثنين، والمتعدي

---

(25) في تصريف الأفعال، ص١٨٦.
(26) النساء(٢).
(27) آل عمران(١١٨).
(28) السيد، عبد الحميد مصطفى، الأفعال في القرآن الكريم، دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته، ط١، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٤م، ج١، ص١٠٢.
(29) الأعراف(١٥٠).

لاثنين متعديا لثلاثة مفاعيل، وتختلف في المعاني والدلالات التي تؤديها كل طريقة عن الأخرى.

خامسا- التعدية بالزيادة

تقسم الأفعال من جهة بنائها إلى مجرد ومزيد، والمجرّد: ما كانت حروفه أصيلة لا يسقط منها حرف عند التصريف، وهي إمّا ثلاثية نحو: كتب، نقول في تصريفه: يكتب، اكتب، كتابة، كاتب، مكتوب، كتاب.فلا تسقط حروفه الثلاثية بل يزاد إليها. وإمّا أن تكون أصوله رباعية نحو: هندس، نقول في تصريفه: يهندس هندسة، مهندس، مهندَس، ولا يتجاوز المجرد من الأفعال أربعة حروف. أمّا الأفعال المزيدة فهي: ما زيد على أصولها حرف أو حرفان أو ثلاثة حروف، ولا تتجاوز حروف المزيد ستة حروف. وهذه الزيادة التي تطرأ على الأفعال يترتب عليها أمران: الأول: تغيير في المعنى كالتكثير، والمشاركة، والطلب، وغيرها من المعاني . الثاني: تغيير في العمل حيث تؤدي بعض حروف الزيادة إلى جعل الفعل اللازم متعديا[٣٠]وعند النظر في الأفعال المزيدة ببعض الحروف التي يتحقق بزيادتها تعدية الفعل اللازم، أو زيادة مفاعيله واحدا، نجد أن الزيادة تحقق الأثرين السابقين . وهو موضوع الدراسة.

سادسا- التعدية بالزيادة في سورة البقرة: صورة إحصائية.

بلغ عدد الأفعال في سورة البقرة (١٢٦٩) فعلا، بين لازم وناقص ومتعد إلى مفعول ومتعد إلى مفعولين. بلغ فيها المتعدي بالزيادة (٣٤٠) فعلا، كانت فيها صيغة (أفعل) المسيطرة حيث وصل عدد الأفعال إلى (٢٣٤) فعلا، تليها صيغة (فعَّل) ولها (٦٨) فعلا، ثم صيغة (فاعَل) ولها (٣٠) فعلا، وصيغة (استفعل) ولها تسعة أفعال. وهذا الكم الكبير من الأفعال في السورة الكريمة، ووجود هذا العدد من الأفعال المتعدية بالزيادة فيها كان سببا لاختيارها نموذجا ممثلا لموضوع الدراسة.

(30) عبد الرحمن شاهين، في تصريف الأفعال، ص٧٣

الفصل الأول

صيغة (أفعل) في سورة البقرة

المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة (أفْعَلَ)

المبحث الثاني: التضمين في صيغة (أفعَلَ)

المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفْعَلَ) في ضوء سياق الحال .

المبحث الرابع: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفعَلَ) في ضوء السياق اللغوي.

المبحث الأول

الدلالة المعجمية لصيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة

أولا- معاني الزيادة في صيغة (أفعلَ) كما تتجلّى في كتب الصرف

تناولت كتب النحو والصرف صيغ الأفعال المزيدة، و(أفْعَلَ) واحدة منها، وبينت المعاني المتحصلة بعد الزيادة فيها، وتجيء صيغة(أفْعَلَ) لعدّة معان هي: التعدية: وهو أغلب المعاني في (أفْعَلَ)، حيث تسمّى هذه الهمزة :همزة النقل[٣١]، يقول ابن القوطية: "فإذا أردت أن تعدي ما لا يتعدّى عدّيته إلى المكان والزمان والأشخاص بحروف الصفات، وبنقله إلى الرباعي مثل: أقمته وأقعدته، وتعدّي الفعل المتعدي إلى مفعول واحد إلى مفعولين أيضا بنقله إلى الرباعي مثل: أركبتك فرسا، وأعمرتك دارا"[٣٢]. ومعنى التعدية في صيغة أفعل أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان[٣٣]. ويأتي معنى الجعل على ثلاثة أشكال: [٣٤]أن يفعَل نحو (أذهبته) أي جعلته يذهب. وأن يكون على صفة نحو: (أطردته) أي طريدا على صفة الطرد. وجعل الفاعل صاحب شيء نحو: أقبرته، أي جعلت له قبرا. ودخول همزة النقل نقلت الفعل صرفيا من الثلاثي إلى الرباعي، ونحويا من اللزوم إلى التعدي، ومن المتعدي لواحد إلى المتعدي إلى اثنين، ومن المتعدي إلى اثنين إلى المتعدي إلى ثلاثة، ودلاليا بإيجاد معنى جديد.

وتأتي (أفْعَلَ) للتعريض، بمعنى تعريض المفعول لأمر ما نحو: أقتلته، أي: عرّضته للقتل[٣٥]. وللهجوم نحو: أطلعت عليهم أي هجمت عليهم[٣٦]. وللضياء نحو

---

(31) شرح الشافية، م١، ص٤٤٨.
(32) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي (ت٣٦٧ه)- الأفعال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص(٦،٧).
(33) ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر (ت٦٤٦ه)- الشافية في علم التصريف، ط١، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٩٩٥م، ج١، ص٨٧.
(34) أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف(ت٧٤٥ه)- المبدع قي التصريف، ط١، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م، ص١١١.
(35) السابق ، ص١١١.
(36) السابق، ص١١١.

أشرقت الشمس[٣٧]، ولنفي الغريزة نحو أسرع، وكأنك قلت عَجِلَ[٣٨]. والهمزة هنا ليست للتعدية، فالثلاثي والمزيد غير متعديين. وللتسمية نحو: أكفرته أي: سميته كافرا[٣٩]. وللدعاء نحو أسقيته أي: دعوت له بالسُّقيا[٤٠]. وللصيرورة وفيها يجيء (أفْعَل) بمعنى حان وقت يستحق فيه فاعل (أفْعَل) أن يوقع عليه أصل الفعل، كأحصد الزرع[٤١]. أي حان أن يحصد، وهو في الحقيقة بمعنى : صار ذا كذا، أي صار ذا حصاد وذلك بحينونة حصاده[٤٢]. ومنه دخول الفاعل في الوقت المشتق منه (أفْعَل) نحو: أصبح وأمسى أي: دخل في الصباح والمساء[٤٣]. ومنه دخول الفاعل في وقت ما اشتق منه(أفْعَلَ) نحو: أشملنا وأجنبنا أي: دخلنا في أوقات هذه الرياح[٤٤]. ومنه الدخول في المكان الذي هو أصله، والوصول إليه كأنجد أي: وصل إلى نجد[٤٥]. ومنه الوصول إلى العدد الذي هو أصله كأعشر وأتسع أي: وصل إلى العشرة والتسعة[٤٦]. وكلها بمعنى: صار ذا كذا. ويدخل في هذا المعنى ما جاء في بعض كتب الصرف: بالدلالة على الاستحقاق وهو استحقاق الفاعل صفة معينة نحو: أحصد الزرع أي: استحق الزرع الحصاد[٤٧]. وأحمدته أي: وجدته مستحقا للحمد[٤٨]. وتأتي (أفْعَلَ) للدلالة على الوجود نحو: أبصره الذي دلّ على وجود المُبصَر[٤٩].وللإزالة وهي أن يزيل الفاعل عن المفعول أصل الفعل، يقال: أعجمت الكتاب أي أزلت عُجمَته[٥٠]، فإذا كان الفعل لازما ودخلت عليه هذه الهمزة ، فأنها تكون لسلب أصل الفعل عن الفاعل نحو: أقسط الحاكم أي: زال عنه القسط، وهو الظلم[٥١]. وتأتي بمعنى المجرد وهي الدلالة على معنى(فَعَلَ) أي: نسبة أصل

---

(37)المبدع في التصريف، ص١١١.
(38)السابق، ص١١١.
(39) السابق، ص١١١.
(40) السابق، ص١١١.
(41) شرح الشافية، م١، ص٨٣.
(42) عصام نور الدين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٠٤.
(43) السابق، ص٢٠٤.
(44) السابق، ص٢٠٤.
(45) السابق ، ص٢٠٥.
(46) السابق، ص٢٠٥.
(47) ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن(ت٦٦٩ه)- الممتع الكبير في التصريف، ط١، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٢٨.
(48) السابق، ص١٢٨.
(49) السابق، ص١٢٨.
(50) قباوة،فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م، ص١١٢.
(51) السابق، ص١١٢.

الفعل إلى الفاعل، وهو للزيادة في المعنى نحو: شغلته وأشغلته[٥٢]. وقد يكون (فَعلتُ و أفعلت) متفقين في المعنى مختلفين في التعدي نحو: ذهبت بالشيء وأذهبته[٥٣]. كما يغني المزيد عن المجرد إذا لم يكن للمزيد فعل مجرد يشاركه في معناه الأصلي نحو: أفلح، وأقسم، وأدرك[٥٤]، علما بأن الأصل اختلاف المعاني بالزيادة. وتأتي للدلالة على معنى (فَعَّلَ) فيما يراد فيه التكثير، يقال: فتحت الأبواب وأغلقتها وغلّقتها[٥٥]. وللدلالة على الكثرة والقلة نحو: أشجر المكان إذا كثر شجره، وأقللت في معنى القلة[٥٦]. وللمبالغة وهي الزيادة في معنى الفعل وتوكيده، وتصح المبالغة إذا كان المجرد والمزيد لمعنى واحد، فقولك سقيت الضيف وأسقيته بمعنى واحد، إلّا أنّ أسقيته فيه مبالغة وتوكيد[٥٧]. وتأتي بمعنى أتى بذلك نحو: أذمّ أي: أتي بذميم. وبمعنى اتخذه نحو: أتلد: اتخذ تلدا من المال[٥٨]. وللإعانة نحو: أرعيته أي: أعنته على الرعي[٥٩]. وقد يجيء فعل الشيء في نفسه، وأفعل الشيء غيره نحو: أضاءت النار، وأضاءت غيرها[٦٠]. وتأتي مطاوعا (لفعَّل) نحو: بشّرته فأبشر وهو قليل[٦١].

ثانيا: تحولات البنية والدلالة في صيغة (أفعل)

عند تتبع أطراف الزيادة اللغوية الناتجة عن الزيادة المؤدية إلى تعدية الفعل، تكون البداية مع بنية الفعل، إذ تزاد الهمزة إلى أوله لينتقل من (فَعَلتُ) إلى (أفعَلتُه) وهذه الزيادة نقلت الفعل من حالة التجرد إلى حالة الزيادة، ومن الثلاثي إلى الرباعي، ومن اللزوم إلى التعدية. والمعنى الغالب في(أفْعَلَ) تعدية ما كان

(52) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٦.
(53) السابق، ص٢٠٦.
(54) تصريف الأسماء والأفعال، ص١١٣.
(55) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٧.
(56) السابق، ص٢٠٧.
(57) تصريف الأسماء والأفعال، ص١١٣.
(58) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٧.
(59) في تصريف الأفعال، ص٧٤.
(60) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٧.
(61) السابق، ص٢٠٧.

ثلاثيا[٦٢]، والمقصود بالتعدية بالهمزة: أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان، فمعنى أذهبت زيدا: جعلت زيدا ذاهبا، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة، فاعلا للذهاب كما كان في: ذهب زيد[٦٣]. وتقول: دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرت أن غيره صيّره إلى شيء من هذا قلت: أدخله وأخرجه وأجلسه، إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك بني الفعل منه على(أفعَلتُ)[٦٤]؛ فدخول همزة التعدية أحدث زيادة معنوية، وهذا المعنى الجديد تطلب دخول عناصر جديدة على تركيب الجملة لم تكن موجودة في الفعل قبل الزيادة، لأن المعنى المراد من الفعل المجرد لم يكن يتطلب وجود أكثر من فاعل، أمّا زيادة الهمزة فقد أدخلت على الفعل فاعلا جديدا نقل تأثيره إلى الفاعل السابق فصيّره مفعولا. فالصيغة الجديدة(أفعل) أوجدت دلالة جديدة، نقلت تأثير الفاعل الجديد إلى المفعول الجديد. وهكذا تستمر الزيادة بإدخال فاعل يحوّل القديم إلى مفعول "فإذا كان الفعل لازما صار متعديا إلى مفعول، وإذا كان متعديا إلى مفعول واحد صار بالهمزة متعديا إلى اثنين أولهما مفعول الجعل والثاني لأصل الفعل، وإذا كان الثلاثي متعديا إلى اثنين صار بالهمزة متعديا إلى ثلاثة أولهما للجعل والثاني والثالث لأصل الفعل وهما فعلان فقط: (أعلم) و(أرى)" [٦٥].

إنّ حاجتنا للتعبير عمّا حولنا كبيرة، وأشكالها متعددة، إذ نحتاج للإخبار عن وصول وتأثير الأحداث والمحدِثين إلى من حولنا، وما يتعلّق بهذه الأحداث من أمكنة وأزمنة وأشخاص، وهذا يتطلب وجود صيغة لغوية مؤثرة قادرة على حمل المعاني وإيصالها، وهذا متوفر في صيغة(أفعَلَ)، إذ إنها بفعلها التعدية توصل أثر الأحداث ومحدثيها إلى الأشخاص والزمان والمكان.

والزيادة تتيح المقارنة على مستويين الأول: بنية الفعل، والثاني: التركيب النحوي. فعلى مستوى بنية الفعل يشكل الجذر الثلاثي البنية العميقة، أمّا المزيد فيشكل البنية السطحيّة. وعلى مستوى التركيب النحوي فإن حدود التركيب قبل

(62) شرح الشافية، ج١، ص٨٦
(63) شرح الشافية، ج١، ص٨٦.
(64)الكتاب ، ج٢،ص٢٢٣
(65) شرح الشافية، ج١، ص٨٦.

الزيادة بصورتها البسيطة تمثل البنية العميقة، أما حدود التركيب بعد الزيادة فتمثل البنية السطحية، وبالمقارنة بينهما يتضح الأثر الدلالي والتركيبي الذي تركته همزة التعدية.

وهذه الزيادة التي عدّت الفعل جعلته يتحوّل من فعل عام إلى فعل خاص؛ "فالفعل العام يدل على فاعل فقط، أما الفعل الخاص فيدل على فاعل ومفعول"(٦٦)، وهي خصوصية الإيضاح والبيان والدقة؛ "إذ كلّما زادت عناصر المعنى ازدادت دقّة المعنى"(٦٧)،"والفعل له ابتداء وانتهاء؛ فابتداؤه الفاعل لأنه عنه يظهر ومنه يحدث، ونهايته وغايته المفعول لأنه إليه يصير وينقطع"(٦٨)، فالزيادة مستمرة التأثير بإيجاد مادة دلالية وأخرى لفظية مما يزيد الكلام وضوحا، في حين أن دلالة الفعل على الفاعل تؤدي معان عامة.

وفي الأفعال المجردة التي تشارك المزيد بالهمزة معناها نحو: حزنته وأحزنته، اللذان يشتركان في معنى واحد، يظل بينهما فارق دلالي؛ "فالمغزى من أحزنته وحزنته واحد، لأن من أدخلت فيه الحزن فقد جعلته حزينا، إلّا أن الأول يفيد المعنى على سبيل النقل والتصيير لمعنى فعل آخر- هو حزن- دون الثاني(٦٩).فالمعنى واحد لكنّ الإحداث مختلف فيه، وهذه إشارة أخرى إلى دقة المعنى المستفاد من الزيادة والتي وإن شاركت المجرّد في المعنى، يبقى فارق دقيق يفصل بينهما، وشكل من أشكال خصوصية(أفْعَلَ) التي توفر معلومات عن طريقة الإحداث، لا الوقوف على عموميات الحدث.

والجملة الفعلية تدل على الزمان والمكان والحدث. "والفعل إلى الزمن أقرب، والأشخاص إلى المكان أقرب"(٧٠). فالفعل يدل على الزمن بصيغته ودلالته، ويدل على الأشخاص الذين هم فاعلون ومفعولون، ويدل على المكان الذي فيه الأشخاص، ويدل على الحدث، وفهم الجملة الفعلية يتطلب معرفة هذه الجوانب، ومعرفة العلاقات القائمة بينها الرابطة لها. فالدلالة على الزمان تعني تجدد الإسناد

(66)الشريدة، عزام، دور الرتبة في الظاهرة النحوية، المنزلة والموقع، ط١، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٤م، ص٤٤.
(67)السيد حامد، عبد السلام ، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب، القاهرة، ص٢٢٧.
(68)الثمانيني، أبو القاسم عمر بن ثابت(ت٤٤٢ه)- الفوائد والقواعد، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠٢م، ص٢٥٣.
(69) شرح الشافية، ج١، ص٨٧.
(70) الكتاب، ج١، ص٣٧.

وتغيّره[٧١].وهذا يجعل الجملة الفعلية مرنة، تحرك الدلالة. وارتباط الحدث بالمكان يحتاج من المرسل والمتلقي إلى معرفة هذا الإطار للحدث اللغوي، مما يحدث تواصلا أكبر مع النص، بمعنى أن تعدد عناصر الجملة الفعلية وزيادتها بفعل الزيادة تجعلنا بحاجة لفهمها، وفهم أدوارها وتأثيراتها في صنع الحدث، ونقل الفعل بنقل دلالته يلزم من المتلقي تواصلا أكبر مع الوحدات اللغوية ليفهم المعنى، وهذا التكيّف التواصلي يجعل الجملة الفعلية أكثر تأثيرا.

وقدرة الفعل المتعدي على الوصف والتصوير والتعالق كبيرة، بفضل عناصره المتعددة، إذ لديه طاقات واسعة في إقامة العلاقات القبلية والبعدية مع الجمل السابقة واللاحقة عبره أو عبر أحد العناصر اللغوية المرتبطة به، مما يجعل الجمل مترابطة مع بعضها بسلسلة من العلاقات الدلالية المحكمة. كما أن لدى الفعل المتعدي قدرة على وصف مكنونات السلوك البشري، فهو يقدم بفعل وضوحه ودقته أساليب التصرف الفعلية والعقلية والنفسية من جهة المرسل، وهو قادر على التأثير في المتلقي. وإذا تحقق ذلك كانت الرسالة بينهما واضحة ، وبالتالي تحدث الاستجابة السلوكية المطلوبة المستهدفة. والتأثير لا يحدث إلّا إذا كان النص مقبولا، ويتحقق القبول بتقلص الاحتمالات الدلالية، الذي يرتفع بوجود كلام واضح دقيق، وهذا ما نجده في الأفعال المتعدية، التي تحصر هذه الاحتمالات فيحدث التواصل المطلوب مع النص فيكون أكثر قبولا ونجاحا.

(71)المخزومي، مهدي ، في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ط٣، ١٩٨٥م، ص٨٦.

ثالثا: الدلالة المعجمية لصيغة (أفعَلَ)

يشكل المعنى المعجمي المدخل الأول لتحليل النصوص وفهمها والمعنى الأساسي للجملة هو حاصل المعنيين المعجمي والنحوي كما أن "بذرة المعنى الدلالي تكمن في المعجم"[٧٢]؛ فالمعنى المعجمي يمتد أثره ليطال عناصر التشكيل اللغوي جميعها، ويتضافر مع المعنى النحوي ليصنع الدلالة الكلية، وهو بهذا أداة مهمة في الكشف عن عالم النص.

ولا شك أن إثراء المعجم اللغوي كان أحد نتاجات الزيادة على بنى الكلمات. والأفعال تحتل مساحة واسعة في هذا الجانب، نظرا لتعدد حروف الزيادة الداخلة عليها، وتعدد مواقعها؛ فمرة تزاد إلى أول الفعل، ومرة إلى وسطه، ومرة يزاد حرف وأخرى حرفان وثلاثة. وهذا يوسع دائرة المعاني والدلالات، ويغني المعجم بما يتحصّل للأفعال المزيدة من معانٍ متعددة، فترى الفعل المزيد الواحد تتعدد معانيه، في حين يقتصر معنى الفعل المجرد على معنى واحد رئيس، تنطلق منه معاني المزيد وتتشعب، وتظل متصلة بالمعنى الأصل. ويحتل المعنى المزيد مكانته بما يمتلك من طاقات تعبيرية مختلفة، تحمل معاني تعبر عن حالات خاصة.

ولإدراك الدلالة المعجمية التي تحصلت للفعل بالزيادة، لا بدّ من معرفة معنى الجذر الثلاثي، والموازنة بين المعنيين قبل الزيادة وبعدها، للوقوف على أثر الزيادة في صيغة (أفْعَلَ)، ثم عرض ما جاء به المفسرون ومساهمتهم في رصد التطوّر الدلالي لهذه الأفعال.

وفي سورة البقرة العديد من الأفعال المزيدة على وزن(أفْعَلَ)، ومنها: الفعل(آمن) الذي تكرر وروده في ثلاثة وستين موضعا من السورة الكريمة، و(آمن) من (أمِنَ) "الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنتُ فأنا آمن. وآمنت غيري من الأمن

(72) دور الرتبة، ص٢٢٦.

والأمـان. والإيمـان التصـديق، والله تعـالى المـؤمن لأنـه آمـن عبـاده مـن أن يظلمهـم، والأمن ضدّ الخوف"[٧٣]و"الأمَنَةُ من الأمْن، والأمان: إعطاء الأمَنَة، والأمانة نقيض الخيانة، والإيمان: التصديق، وفي قوله تعالى"وما أنت بمؤمن لنا" أي: بمصدق وهو من صفات الله عزّ اسمه: الذي لا يُخاف ظلمه وقيل أمِنَ أولياؤه عذابه"[٧٤]. و"آمن به: صدّقه. والإيمان الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة"[٧٥].

وبهذا فإن المعنى المعجمي للفعل (أمِنَ)هو الأمن ضد الخوف، والأمـان وهو إعطـاء الأمَنَـة وإزالـة الخـوف مـن قلـب المـؤمن، والأمانـة التـي هـي نقيض الخيانـة إحـلال الأمـن مكـان الخـوف علـى المـال. فـي حـين أن المعنـى المعجمـي للفعـل(آمَنَ) المزيد بهمزة التعدية إلى أولـه هو التصـديق والثقـة بقول مـا. وهو قول يصـدر عن شخص ثقة، إذ يشكل عنصـر المرسل طرفـا هامّـا فـي التصـديق، وعنصـرا مسـاعدا على أن يكون القول أكثر قبـولا.فانتقل المعنـى مـن الأمـن إلـى التصـديق، وهـو حالـة متقدمة من الشعور بالأمن إلى حالة اتخاذ موقف تجاه القول والقائل.

وفـي التفسير قـالوا فـي"يؤمنـون": يصـدقون ويخشـون، والإيمـان التصـديق، فيُدعَى المُصدِّق قوله بفعله مُؤمِنا، وقد تدخل الخشية لله فـي معنـى الإيمـان الـذي هو تصـديق القـول بالعمـل، والإيمـان كلمـة جامعـة للإقـرار بـالله وكتبـه ورسـله وتصـديق الإقرار بالفعل"[٧٦]"وحقيقـة الإيمـان التصـديق بالقلـب، وهـو فـي الشـريعة: الاعتقـاد بالقلـــب والإقـــرار باللســـان، والعمـــل بالأركـــان فســـمي الإقـــرار والعمـــل إيمانا"[٧٧]،"ويؤمنـون بالغيـب" أي: يعترفـون بـه أو يثقـون بأنـه حـق"[٧٨]، ومـنهم مـن

(73) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت١٣٠ه)- تاج اللغة وصحاح العربية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، مادة(أمِنَ).
(74) الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل(ت٣٨٥ه)- المحيط في اللغة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م، مادة(أمِنَ).
(75) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧ه)- القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، مادة(أمِنَ).
(76) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠ه)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٣٥.
(77) البغوي، أبو محمد الحسن بن مسعود(ت٥١٠ه)- معالم التنزيل، ط٤، تحقيق مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٥م، ،ج١، ص٦٠.
(78) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨ه)- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ج١، ص١٥٣.

فسره بالخشية لقوله تعالى:"إن الذين يخشون ربهم بالغيب"[٧٩]، والخشية خلاصة الإيمان والعلم كما قال تعالى:"إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء"[٨٠].

فالمفسرون يستعرضون المعنى المعجمي للأمن والإيمان، ويُفصّلون المعنى القرآني له، فأوضحوا بداية أن الإيمان تصديق قلبي وقولي، مضيفين إليها معاني جديدة كالطمأنينة والثقة والاعتراف، وذهبوا إلى أكثر من مجرد الشعور بتفسيره بالخشية، ثم ربط الخشية بالعلم، ليس هذا حسب، بل هو صورة شعورية لفظية وسلوكية، فإذا توفرت هذه الثلاث معا في وقت واحد، كان الإيمان الذي أوجده المفهوم القرآني والاصطلاح الشرعي، فإذا اعتقد القلب أقرّ اللسان، وهذان يوصلان نهاية المطاف إلى عمل يترجم هذا الاعتقاد القلبيّ والإقرار اللسانيّ.

وهذه المعاني كلها مُتحصِّلة بفعل دخول همزة التعدية إلى أول الفعل الثلاثي (أمِنَ) الذي لا يقوى بصورته المجردة على حمل معان تتعدى الأمن والأمان، أما المزيد فقد منحته الزيادة مساحة واسعة انطلقت من التصديق وتعددت معه المعاني، لينتقل المعنى القرآني من التصديق مطلقا إلى تصديق مشروط محدد على أكثر من جانب؛ تصديق القول والقائل ومصدر القول، وتصديق القلب واللسان، وتصديق القول والاعتقاد بالعمل، وبها جميعا تكتمل صورة الإيمان وإلّا ظلت منقوصة.

والإيمان على هذه الشاكلة هو الفيصل بين الفئات الأربع المذكورة في سورة البقرة: المؤمنون المصدقون المنتفعون بالهدي القرآني، يقول الله تعالى:"فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم"[٨١]. والمنافقون المصدقون بألسنتهم دون قلوبهم يقول تعالى:"ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين"[٨٢]. والكفار الذين لا يصدقون بقلوبهم أو ألسنتهم يقول تعالى:"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٨٣]، والمشركون الذين

(79) الملك(١٢).
(80) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤ه)- تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٧، ج١، ص٣٦. والآية من سورة فاطر(٢٨).
(81) البقرة(٢٦).
(82) البقرة(٨)
(83) البقرة(٦).

يصدقون بعض الكتاب ويكفرون ببعض يقول تعالى: " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض"(٨٤).

وهذا يظهر امتلاك الفعل المزيد بهمزة التعدية طاقات تعبيرية وتصويرية أثرت المعجم اللغوي، وجاء الاستخدام القرآني مستثمرا هذه الطاقات مضيفا إليها معانيَ ومفاهيم اصطلاحية جديدة، مما يؤكد أن الفعل المزيد فعل خاص، خاص بمعناه وحدثه وشروطه، وتعدد عناصره إبراز لهذه الخصوصية، ومقولة الطبري:"الإيمان كلمة جامعة"(٨٥) تأكيد أن الفعل المزيد(آمن) عالم خاص من المشاعر والأقوال والأفعال.

فالقرآن الكريم لم يأت بلغة جديدة، لكنه أوجد استعمالا جديدا للمفردات، فالعرب يعرفون أصول المفردات مثل (آمن)، أما الاستخدام القرآني الذي أوجد مفاهيم جديدة للأفعال، فقد فتح مساحة معرفيَّة جديدة، لامست المكنون المعرفي غير المكتمل عندهم، مما أحوجهم إلى مزيد من التواصل مع النص القرآني لفهمه، وإدراك بلاغته وإعجازه،لأن بلاغتهم على عظمها لم تمكنهم من استخدام المفردات استخدامات جديدة، بل كانت مقتصرة على المعاني المتفق عليها، التي يلتقي عندها الجميع. أما القرآن الكريم فقد كانت إحدى صور بلاغته هذا الاستخدام الجديد والتوظيف المفاهيميّ الذي يوضح الدين الجديد ويرتبط به.

وتمكين الأفعال المزيدة من حمل معان متعددة كلها صحيحة وكلها واردة، أوجدت للناس تقسيمات واضحة المعايير، تجعلهم ضمن فئات ومراتب؛ فمن قام بها كاملة كان من فئة وهم المؤمنون، ومن قام بها مختارا جزءا منها وتاركا آخر كان من فئة أخرى وهم المنافقون، ومن تركها بالكلية كان في فئة ثالثة وهم الكفار، ومن رأى أن يؤمن ببعض ما أنزل الله وترك بعضه الآخر بما يلائم هواه كان في فئة رابعة وهم المشركون، ولكل واحدة من هذه الفئات ما يميزها كما رسمها القرآن الكريم في سورة البقرة، وفيها يتضح الفارق الإيماني الكبير بينها، الذي كان سببا في هذا التقسيم.وهذا المعنى الإيماني هو الذي سيؤهل من يتصف به لتبوّء موقع

(84) البقرة(٨٥)
(85) جامع البيان، ج١، ص٢٣٥.

القيادة على سائر الفئات الأخرى. واجتزاؤه حينا، وانعدامه حينا آخر سيجعل من يتصف به موضع شك في أهليته للقيادة، عبر عرض أدلة تحاكي العقول وتخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الحقيقة. وبذلك اتخذ الفعل (آمن) طابعا حيا قائما على عدة جوانب إيمانية، وقدم اصطلاحا شرعيا جديدا، وترك الخيار للناس ينظرون ويميزون ثم يقررون أين يكونون.

والفعل (آتَى) الذي جاء في سورة البقرة في ثلاثة وثلاثين موضعا، في عشرة منها جاء مبنيا للمجهول، "والإتيان المجيء، وآتاه إيتاء أي: أعطاه"[٨٦] "وأتى يأتي أثيا ويأتوا أثوا حسنا، وآتى يُؤتي إيتاء في معنى أعطى"[٨٧]، "وآتى إليه الشيء ساقه، والإيتاء الإعطاء"[٨٨]. و"أتى يتعدى بنفسه، وآتى إليه الشيء بالمد إيتاء: ساقه وجعله يأتي إليه، فهو بالمد يستعمل في الإعطاء وفي الإتيان بالشيء، وأصله الإحضار. وقال الراغب: "الإتيان المجيء بسهولة، إلا أن الإيتاء خص بدفع الصدقة في القرآن دون الإعطاء، قال تعالى:"ويؤتون الزكاة"[٨٩]، "وآتوا الزكاة"[٩٠]، و"الإتيان يقال للمجيء بالذات، وبالأمر، والتدبير، وفي الخير، وفي الشر"[٩١].

يتبيّن أن الإيتاء إعطاء خاص، وغالبا ما يستعمل في الخير، وفي سورة البقرة جاء الإيتاء مرتبطا بأمرين: الأول: المال، من زكاة وصدقة ونفقة. والثاني: العلم، من آيات وكتاب وحكمة. ولمّا كان الإتيان- وهو المجيء- يستعمل للذوات، نجد الإيتاء تجاوز بفعل الزيادة الاستخدام مع الذوات وغيرها من المعاني، وهذا التجاوز جعله يحظى بظروف خاصة حسنة؛ فمصدره خير، والقيام به خير، والمؤتَى يناله الخير، والشيء المؤتى فيه كل الخير. ومما استعمل في الذوات، في إيتاء المال كما في قوله تعالى:"وآتوا الزكاة"[٩٢]، وقوله تعالى: "ولم يُؤتَ سَعَةً من

(86) الصحاح، مادة (أتَيَ).
(87) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت٣٢١ه) - جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة (أتَيَ).
(88) لسان العرب، مادة (أتَيَ).
(89) المائدة(٥٥).
(90) البقرة(٤٣).
(91) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢ه) - المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيثاني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص١٨.
(92) البقرة (٤٣) و (٨٣) و (١١٠).

المال"[٩٣]. ومن المجاز استعماله في العلم كما في قوله تعالى:"وآتينا عيسى ابن مريم البينات"[٩٤]. وما قول الراغب في اختصاص الفعل(آتى) بالصدقة إلّا تأكيد لدقة التعبير والتحديد لدرجة الاختصاص، وهو واحد من ثمار الزيادة. بما يلامسه الفعل المزيد من أطراف جديدة تدخل في بنية التركيب، ما كان للفعل المجرد ملامستها.

وفي التفاسير توضيح لمعنى الإيتاء؛ "فالإيتاء: الإعطاء"[٩٥]. وحقيقة الإيتاء الإعطاء فحقه أن يتعدى إلى الذوات، ويكون بمناولة اليد إلى اليد، ويستعمل مجازا شائعا في التعليم والعلوم، ولما كان القرآن الكريم على درجة عالية من الإيجاز اللغوي، وتوفير المعاني نجد أن المعنى الحقيقي والمجازي للإيتاء قد يردان في موضع واحد. فإمكانات الفعل المزيد ودلالاته يمكن تسخيرها لخدمة أكثر من دلالة في وقت واحد، فجاء للدلالة على الحفظ كما في قوله تعالى: "وآتوا اليتامى أموالهم"[٩٦]: أي: احفظوا أموال اليتامى. وبمعنى التمكين كقوله (صلّى الله عليه وسلّم): "ورجل آتاه الله الحكمة". وبمعنى الإنعام كقوله تعالى: "والله يؤتي ملكه من يشاء"[٩٧]. وبمعنى الإعطاء كقوله تعالى:"إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم"[٩٨]. إضافة إلى المعنى المجازي كقوله تعالى:"سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة"[٩٩]، وقوله تعالى:"ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة"[١٠٠].

واستعمال الفعل (آتى) فيما ينفع، يكسبه حضورا اجتماعيا يحمل سمة التميّز التي تنسحب على كافة أطراف التركيب: من حدث، وفاعل، ومفعول- أو مفعولين- . لذا فإن سماعه يعني وجود أمر نافع وهذا يجعله ذا قبول اجتماعي، ومعناه القرآني زاده قبولا وحضورا لأنه إعطاء وإنعام ربّاني.

---

(93) البقرة (٢٤٧).
(94) البقرة (٢٥٣).
(95) جامع البيان، ج٢، ص٥٧٤.
(96) النساء(٢).
(97) البقرة (٢٤٧).
(98) البقرة (٢٧١).
(99) البقرة (٢١١).
(100) البقرة (٢٠١).

والفعل (آتى) له علّة ونتائج؛ وبالتالي فإن المُؤتَى سيكون مُختارا. وإيتاء العلم والشريعة والكتاب في القرآن الكريم دل على تهيئة أسباب مراد الله تعالى، ومما يجعل الفعل (آتى) على قدر كبير من التميز تعديته إلى مفعولين، وهي زيادة على زيادة، واختصاص فوق اختصاص، لأن الفعل المتعدي خاص فكيف إذا تعدى على تعديته. وهذا يجعلنا بحاجة أكبر للتعمق في فهم العناصر المشكلة للمعنى لكسب المزيد من التواصل اللغوي معه.

والفعل (أنْفَقَ) الذي ورد في السورة الكريمة في تسعة عشر موضعا، من الفعل (نَفَقَ)و"نفق البيع: راج، ونفقت السوق أي: قامت وراجت، ونفق الفرس والدابة وسائر البهائم يَنْفُقُ نُفوقا: مات"(١٠١). ونَفَقَ الجرح نُفوقا: تقشّر وهو مجاز، ونفق ماله ودرهمه وطعامه: نفد وفنيَ وذهب أو نقص وقلَّ ورغب فيه وهذا عن اللحياني"(١٠٢). "ويقال: أنفق الرجل، إذا افتقر وذهب ماله. وقوله تعالى:"إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق"(١٠٣). أي: خشية الفناء والنفاد"(١٠٤). الفعل (أنفق) مختص بالمال، ورواج السوق، ونفاد المال وذهابه أو قلته ونقصانه، أمّا النفوق فليس كذلك.

لم يأت استخدام الفعل (أنفق) في القرآن الكريم بعيداً عن المعنى المعروف عند العرب: إطار المال. يقول الله تعالى:"ومما رزقناهم ينفقون"(١٠٥)، ويقول:"يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم"(١٠٦). "ينفقون: يتصدقون. وقال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته. وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق؛ لأنه تخرج فيه السلعة عن اليد."(١٠٧). "أنفق الشيء وأنفده أخوَان. وعن يعقوب: نفق الشيء ونفد واحد، وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء، فدالٌّ على معنى

(101) لسان العرب، مادة (نَفَقَ).
(102) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني(ت١٢٠٥ه)- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، مادة (نفق).
(103) الإسراء(١٠٠).
(104) التاج، مادة(نفق).
(105) البقرة (٣).
(106) البقرة(٢٥٤)
(107) معالم التنزيل، ج١، ص٦٣.

الخروج والذهاب" [١٠٨]. و"ينفقون: يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة، وما ندبهم إليه من غير ذلك" [١٠٩]

ومعنى الخروج والذهاب متفق عليه في المعاجم والتفاسير كمعنى لغوي أصل للإنفاق. أمّا المعنى القرآني فقد سلّط الضوء على عدة أمور متعلقة بالإنفاق، كالوجوب والندب، ونوعية المال، والأشخاص الذين من حقهم أخذ المال، والأهم من كلّ ذلك تغيير مفهوم الإنفاق، وتوضيح الأثر المترتب عليه، وبيان شروطه.

فالإنفاق عند العرب قبل الإسلام مرتبط بفناء المال، لكن الاستخدام القرآني نقله إلى مفهوم آخر مرغوب فيه، وصار علامة من علامات الإيمان، يقول تعالى:"الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[١١٠]، ولا يقتصر الإنفاق على صورة واحدة إلزاميّة، بل له صور طوعية، وهو إنفاق مشروط في مصدره المالي والنفسي؛ فمصدر المال يجب أن يكون حلالاً طيبا، يقول تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم"[١١١]. والمصدر النفسي في سبيل الله ورغبة في إرضائه كما في قوله تعالى:"مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة.."[١١٢]، وكما يكون إلزامياً وطوعياً، فإنه يكون سرّا وعلانية، يقول تعالى:"الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم"[١١٣]. لا كالذي:"ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر"[١١٤].

لقد تحولت دلالة الإنفاق من دلالة سلبية مرتبطة بالهدر والضياع إلى دلالة إيجابية فيها قوام المجتمعات. ورسم صورة لمجتمع الإيمان الجديد القائم على التكافل، وحوّل مفهوم الإنفاق من الحرص على المال، إلى الحرص على إنفاقه في سبيل الله في وجوه الخير المتعددة، يقول الله تعالى:"وما تنفقوا من خير فلأنفسكم،

---

(108) الكشاف.ج١ ص١٥٥.
(109) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب(ت٥٤٢ه)- المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، الدوحة، ١٩٧٧م، م١، ص١٤٨.
(110) البقرة (٣).
(111) البقرة (٢٦٧).
(112) البقرة (٢٦٥).
(113) البقرة (٢٧٤)
(114) البقرة (٢٦٤).

ويقول:"وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم"[١١٥]. مما أحدث قلبا في السلوك الإنساني، وأحدث تغييرا فكريا في طبيعة النظر إلى الأمور. كما سُلّط الضوء من خلال الفعل(أنفق) على زاوية أخرى هي زاوية الآخر المُحتاج، وهذا تحويل آخر في السلوك، بعدم الاقتصار على الذات، فترتسم الصورة الزكية للإنفاق.

ولترسيخ هذه الصورة الزكية جاء الحديث عن الإنفاق مدعوما بمثلين الأول في قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء"[١١٦]، والثاني في قوله تعالى: "ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أُكُلها ضعفين"[١١٧]وهكذا يُحدِث الاستخدام القرآني للفعل(أنفق) تغييرا في المفاهيم السائدة، وانزياحا عن المألوف الذي تشكلت أطره المفاهيمية الجمعية عند الناس. فالمسألة ليست مجرد تطور دلالي للفعل، بل لغة تحمل هدفا ساميا وتقصد سلوكا إنسانيا راقيا، يقلب الفناء إلى ادّخار، ويحول المال من وسيلة للحصول على الضرورات والحاجات إلى وسيلة للتقرب إلى الله وعبادته وطاعته، يقوم به الفاعل اختيارا وحبا تسمو به النفوس. وجاء المعنى القرآني ناطقا بألسنة المحرومين، ونلمس بذلك نقلة نوعية تمثلت في الانتقال من بؤرة الموجود المعروف إلى بؤرة الجديد الذي تطلّب من المتلقي تواصلا فكريا وحسيا وسلوكيا.

والفعل (أخرج) من الثلاثي (خرج) و"الخروج نقيض الدخول"[١١٨]، "وقد أخرجه وخرج به"[١١٩]. والخروج من صفات الذوات. "والإخراج: الإظهار والإعلان لمن خفي ذلك عنه وإطلاعهم عليه كما في قوله تعالى: "والله مخرج ما كنتم تكتمون"[١٢٠]. ويستخدم مجازا في معنى الإنقاذ كما في قوله تعالى: "أخرجوا أنفسكم"[١٢١].

---

(115) البقره (٢٧٢)
(116) البقرة (٢٦١).
(117) البقرة(٢٦٥).
(118) اللسان، مادة (خَرَجَ).
(119) التاج، مادة (خَرَجَ).
(120) جامع البيان، ج٢، ص٢٢٨.
(121) الأنعام(٩٣).

وقد ورد الفعل (أخرج) في سورة البقرة في أحد عشر موضعا، وجاء الإخراج فيها متعلقا بأمرين: الأول: إخراج الأنفس والذوات، والثاني: إخراج خيرات الأرض من زروع وثمار. فمن الأول قوله تعالى:"ولا تخرجون أنفسكم من دياركم"[١٢٢]. وقوله تعالى:"وأخرجوهم من حيث أخرجوكم"[١٢٣]. ومن الثاني قوله تعالى:"فأخرج به من الثمرات رزقا لكم"[١٢٤]. وقوله تعالى:"ومما أخرجنا لكم من الأرض" [١٢٥] .

والفعل (أخرج) بدلالته على إخراج الذوات يتخذ طابع العقاب والطرد. يقول تعالى: "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان" [١٢٦] . في حين يتخذ طابع الإنعام عند استخدامه في خيرات الأرض وإظهار قدرة الخالق في خلقه، يقول تعالى:" ادعُ لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض"[١٢٧] .

كما استعمل الفعل(أخرج) في جانب ثالث مجازي وهو إخراج عقلي وفكري كما في قوله تعالى:" الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" [١٢٨] . والجانب الآخر النقيض:"الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[١٢٩]. إذ تحدث نقلة نوعية فكرية في الأشخاص المقصودين، والفعل(أخرج) يتعلق بالمكان، والمكان يتعلق بالأشخاص الموجودين فيه، أي إنَّ المكان ومن فيه يحظيان بخصوصية؛ لأن الشيء المُخرج لهم خاص.

والفعل (أنزل) من الثلاثي (نَزَلَ) و"النزول: الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم وبهم ينزل نزولا ومَنزَلا ومَنزِلا وأنزله غيره. والنزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام"[١٣٠]. "النزول في الأصل انحطاط من علوّ والإنزال

---

(122) البقرة (٨٤).
(123) البقرة (١٩١).
(124) البقرة (٢٢).
(125) البقرة(٢٦٧)
(126) البقرة (٨٥).
(127) البقرة (٦١).
(128) البقرة (٢٥٧).
(129) البقرة (٢٥٧).
(130) اللسان، مادة (نَزَلَ).

دفعي... والإنزال عام" [١٣١] . "ثم إن إنزال الشيء قد يكون بنفسه كقوله تعالى:"وأنزلنا من السماء ماءً". وقد يكون بإنزال أسبابه والهداية إليه ومنه قوله تعالى:"وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد"[١٣٢]. فإذا كان النزول انحطاطاً وانحداراً من علو، فإن الإنزال قوة خارجة عن نطاق قدرة الأجسام. كما يصلح الفعل (أنزل) للتعبير عن المحسوسات والمعقولات، من إنزال شيء مادي، أو إنزال أسباب الهداية إلى أمر ما والإفادة منه، وفيه إعلاء لشأن المنزِل وإظهار قدرته، وتكريم للمهتدِي إلى هذه الأسباب بالعلم، ولفْتٌ للمادة المُنزَلة وما فيها من منافع. حيث يمتد أثر الفعل البؤرة ليُكسب عناصر التركيب اللغوي طاقة الفعل ومعناه.

وفي سورة البقرة جاء الفعل(أنزل) في واحد وعشرين موضعا، في ثمانية منها جاء مبنيا للمجهول، كما في قوله تعالى: " والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك"[١٣٣]، وفيها تعددت معاني الإنزال، بتعدد المفاعيل التي وجهت هذه المعاني."ومن معاني الإنزال: الإحداث والإنشاء كقوله تعالى:"وأنزل عليكم لباسا يواري سوءاتكم" [١٣٤] . "وقيل: إنه إنزال الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون فيه لباس، وقيل: "وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج"[١٣٥]: جعلها لكم نزلا ورزقا" [١٣٦] . "وأنزل في قوله تعالى:" وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج": خلق. [١٣٧] . "والإنزال بمعنى الإنشاء والإيجاد لقوله:"وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج". وقيل: الإنزال: بمعنى الإعطاء. وسماه إنزالا لأن أحكام الله إنما تنزل من السماء" [١٣٨] . "والإنزال: الإيصال والإبلاغ ولا يشترط أن يكون من أعلى" [١٣٩]. "وقيل: الإنزال مجاز من إطلاق السبب على مسببه؛ فإنزال المطر هو سبب مما يتهيأ فيه الناس أو بمعنى: خلق... وقال ابن عطية: أنزلنا تحتمل أن يريد: بالتدريج.

---

(131) التاج، مادة (نَزَلَ).
(132) السابق، مادة (نزل).
(133) البقرة(٤).
(134) معالم التنزيل، ج٧، ص١٠٨.
(135) الزمر(٦).
(136) السابق،ج٧ ص.١٠٩
(137) القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)- الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت،١٩٩٧م، ج٧، ص١٨٤.
(138) السابق ،ج١٠، ص١٥.
(139) أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت٧٥٤هـ)- البحر المحيط في التفسير، ط ج، دار الفكر، ج١، ص٦٩.

أي: لمَّا أنزل المطر فكان منه جميع ما يلبس. ويحتمل أن يريد: خلقنا. فجاءت العبارة بأنزلنا وأيضا فخلق الله وأفعاله إنما هي من علو في القدر والمنزلة" [١٤٠].

وفي قوله تعالى: " أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج": فإطلاق الإنزال هنا بمعنى التذليل والتمكين"[١٤١]، والإنزال: جعل الشيء نازلا. والنزول: الانتقال من علو إلى سفل، وهو حقيقة في انتقال الذوات من علو. ويطلق الإنزال ومادة اشتقاقه بوجه المجاز اللغوي على معان راجعة إلى تشبيه عمل النزول لاعتبار شرف ورفعة معنوية كما في قوله تعالى:"وقد أنزلنا عليكم لباسا". لأن خلق الله وعطاءه يجعل كوصول الشيء من جهة عليا لشرفه" [١٤٢] . " "وما أنزل على الملكين ببابل": الإنزال هو الإيصال. وهو إذا تعدى بعلى دل على إيصال من علو، واشتهر ذلك في إيصال العلم من وحي وإلهام أو نحوهما؛ فالإنزال هنا بمعنى الإلهام، وبمعنى الإيداع في العقل أو في الخلقة" [١٤٣] ." "وأنزل معهم الكتاب": الإنزال حقيقة: تدلية الجسم من علو

إلى سفل، وهو هنا مجاز من وصول الشيء من الأعلى مرتبة إلى من هو دونه" [١٤٤].

وفي سورة البقرة جاء الفعل (أنزل) للذوات كقوله تعالى:" وأنزل عليكم المن والسلوى"[١٤٥]. وقوله تعالى:"وما أنزل من السماء من ماء" [١٤٦] ، وللمعاني المجازية كقوله تعالى:" ولقد أنزلنا إليك آيات بينات" [١٤٧] ، وقوله تعالى:" وأنزل معهم الكتاب" [١٤٨] .وجاء ذكره للخير والنعم كقوله تعالى:" واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب" [١٤٩]، وذكر في العذاب كقوله تعالى:" فأنزل على

(140) السابق ج٥، ص٣٠.
(141) ابن عاشور، محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م، م١١، ج٢٣، ص٣٣٢.
(142) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٣٨.
(143) السابق، م١، ج٢، ص٦٤٠.
(144) السابق، م٢، ج٢، ص٢٠٧.
(145) البقرة (٥٧).
(146) البقرة (١٦٤).
(147) البقرة (٩٩).
(148) البقرة (٢١٣).
(149) البقرة (٢٣١).

الذين ظلموا رجزا من السماء" [١٥٠]، وهو على تعدد استخداماته ومعانيه فعل مختص بالله تعالى؛ فالمصدر الوحيد للإنزال أيا كان هو الله عزَّ وجلَّ.

وهذا الغنى والتعدد في الأوجه المعنوية المختلفة للفعل (أنزل) يتيح مساحة واسعة للتعامل مع المواقف المختلفة، وكلها إنعام خاص من الخالق، مرة للإنعام على البشر بمتطلباتهم اليومية، وأخرى إنعام على العقول والنفوس والمجتمعات.

والفعل (أنزل) في القرآن الكريم، مختص بالله تعالى، لذا ورد في سورة البقرة في عدة مواضع مبنيا للمجهول. وهذا يكسب الحدث والمفعول أهمية مميزة، فأفعال الله لا تتوجه إلا لعلّة، تتوجه للمفعول، وبه تتوجه دلالة الفعل، فالمفعول هو الذي يجعل الفعل ذا دلالة حقيقية أو مجازية.

والفعل (أقام) من الثلاثي (قام). " والقيام نقيض الجلوس، وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح، ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات. ويقال: قام الماء إذا ثبت متحيرا لا يجد منفذا وإذا جمد. وأقام الشيء: أدامه من قوله تعالى:" ويقيمون الصلاة" [١٥١].

إن الحفاظ والإدامة والثبات فيها تعليم وتربية سلوكية لبعض مجالات الحياة، التي تحتاج مثل هذا النوع من السلوك. وفي قوله تعالى: "ويقيمون الصلاة" [١٥٢]: "وإقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها على ما فرضت عليه"[١٥٣]، " وعن ابن عباس: "ويقيمون الصلاة" قال: إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها" [١٥٤]، "ويقيمون الصلاة" أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها" [١٥٥] . " يقال: قام بالأمر وأقام الأمر أي: أتى به معطى حقوقه" [١٥٦]. "يقيمون " يديمون، وأقامه أي: أدامه، وإلى هذا المعنى أشار عمر بن الخطاب بقوله: من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه،

---

(150) البقرة (٥٩).
(151) اللسان، مادة (قوم).
(152) البقرة (٣).
(153) جامع البيان، ج١، ص٢٤١.
(154) جامع البيان، ج١، ص٢٤١- ٢٤٢.
(155) معالم التنزيل، ج١، ص٦٢.
(156) السابق، ج١، ص٦٣.

ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع" [١٥٧]. " يقيمون: يظهرونها، ويثبتونها" [١٥٨]. "قال قتادة: إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها. وقال مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) فهذا إقامتها" [١٥٩]. "وقد جرت عادة الله في كتابه أنه لا يأمر بالصلاة ولا يمدح عليها إلا بلفظ الإقامة، ولم يذكر لفظ المصلي إلا في مقام المنافقين إشارة إلى أن المصلين كثر والمقيمين قليل" [١٦٠]." فلما كانت الصلاة دعاء، انضاف إليه هيئات وقراءة وسمي جميع ذلك باسم الدعاء" [١٦١].

من الواضح أن مفهوم الإقامة في القرآن الكريم قد اتخذ طابعه الخاص باقترانه بالصلاة كأسلوب مدح للمؤمنين على فعلهم. يقول تعالى:" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة" [١٦٢]. وإقامة الصلاة مرتبطة بالأعمال الصالحة، يقول تعالى:"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم" [١٦٣].

وإقامة الصلاة فعل يلزمه الإيمان القلبي، والحفاظ عليها وإدامتها تكون بأعمال تشمل كل أعمال الصلاة من بدايتها حتى نهايتها، لتكون بالشكل الذي مدح به المؤمنون.

إنها اجتماع العقل والحس للإقامة، معطاة حقوقها، تناسب وقوف العبد بين يدي ربه في لحظات إيمانية تفيض خشوعا وتأملا، منذ القيام للصلاة على وقتها ثم إسباغ الطهور والقيام بالصلاة على وجهها الصحيح بكل ما فيها من قراءة وركوع وسجود وتشهّد، ولما كان فعل الإقامة على هذه الأهمية وكان المقيمون قليلاً، وردت أغلب الأفعال بصيغة الأمر يقول تعالى:"وأقيموا الصلاة" [١٦٤].

---

(157) الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٦٠.
(158) المحرر الوجيز، ج١، ص١٤٦.
(159) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٧.
(160) من حاشية المحرر الوجيز، ج١، ص١٤٦.
(161) المحرر الوجيز، ج١، ص١٤٧.
(162) البقرة (٣).
(163) البقرة (٢٧٧).
(164) البقرة (٤٣) و (٨٣) و (١١٠).

لقد جاءت همزة التعدية محدثة نقلة حقيقية بيّنة الجوانب في الفعل(قام)، وجاء المعنى القرآني محدثا نقلة أخرى في إعطاء الفعل (أقام) معاني إضافية، ويمنحه طاقات تعبيرية جديدة تجعل الفعل صالحا للتعبير عن عدة جوانب إذا أتيت بأي منها كان المعنى صحيحا ومناسبا، وإذا جمعتها كان المعنى الوافي.

لقد استطاعت همزة التعدية في(أقام) أن تصف بدقة المقصود من إقامة الصلاة، وهذه المعاني المتعددة للإقامة تلتف- على كثرتها- حول وصف الكيفية الصحيحة التي تؤدى بها الصلاة حتى لا تكون مجرّد حركات لا محتوى إيماني لها، وتكون صورة حية لبعض علاقة العبد بربه، وتكون تربية جسمية وسلوكية وإيمانية؛ فالمحافظة على وقتها فيه احترام للوقت ، وطهارة البدن ، وتربية للوجدان. ودوام المحافظة على النظافة والخشوع، وهذه كلها معان حاضرة في مفهوم الإقامة.

لقد جاءت الإقامة في القرآن الكريم مطورة عن الإقامة المعروفة عند العرب بالثبات والإدامة إلى إقامة مزيدة محكومة بأوقات وهيئات وأركان وسنن خاصة، ومن صورة دالة على الإدامة إلى أفعال متعددة تحتاج للإدامة. إن لفظة الإقامة بوصفها دالة على إتيان الأمر معطى حقوقه، تعنى أن العربي عندما سمعها مقترنة بالصلاة، جالت في خاطره تساؤلات حول الأمور التي تجعل الصلاة كاملة الحقوق، فالفعل يطرح نفسه، وهذا أوجد تواصلا أكبر مع النص القرآني لمعرفة المعاني الجديدة التي جاءت في القرآن الكريم. كما تمكنت الزيادة من إكساب كافة جوانب الحدث أهمية خاصة، فالحدث نفسه مهم، والفاعل شخص خاص، والصلاة عمل خاص، وإقامتها تعني إقامة الدين وتثبيته.

والفعل(أفسد) من (فسد)" والفساد نقيض الصلاح. فَسَدَ يَفسُدُ وأفسدته أنا إفسادا" [١٦٥]." وأفسدته أنا وأفسده هو، وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام" [١٦٦]." ظهر الفساد في البر والبحر"[١٦٧]، الفساد هنا: الجدب في البر والقحط في

(165) المحيط في اللغة، مادة (فَسَدَ).
(166) اللسان، مادة (فسد).
(167) الروم(٤١).

البحر أي: في المدن التي على الأنهار يقال: أفسد فلان المال يفسده إفسادا وفسادا" [١٦٨]، " والفساد أخذ المال ظلما والجدب" [١٦٩].

فالفساد له سمة السوء. وهو فعل منبوذ اجتماعيا لأن معانيه تأنفها النفس فهو ضد الصلاح وفيه قطيعة الأرحام والجدب والقحط وأخذ المال ظلما. وهذا السوء ينسحب على كافة أطراف البناء اللغوي الخاصة بالفعل (فسد) و(أفسد).

و معنى الفساد في قوله تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"[١٧٠] "ولا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها." [١٧١]. ومن معاني الفساد: "إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر" [١٧٢].و"من عصى الله فقد طلب الفساد" [١٧٣]. "والفساد ضد الصلاح وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها، فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" [١٧٤]." والفساد التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة. فسد نقيضه الصلاح وهو اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحسنة" [١٧٥]." وإفسادهم في الأرض بالكفر أو المعاصي، أو بترك امتثال الأمر واجتناب النهي، أو بالنفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين، أو بإعراضهم عن الإيمان برسول الله والقرآن" [١٧٦]. ووجه الفساد بهذه الأقوال التي قيلت أنها كلها كبائر عظيمة ومعاص جسيمة"[١٧٧]، " والفساد ضد الإصلاح، ومعنى الفساد: إتلاف ما هو نافع للناس نفعا محضا أو راجحا" [١٧٨] ، "يفسدون في الأرض" كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها"[١٧٩] . "قال مجاهد: إذا سعي في الأرض فسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل" [١٨٠] ." والفساد في الأرض هَيْجُ الحروب، والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض، وانتفاء الاستقامة عن أحوال

---

(168) اللسان، مادة (فسد).
(169) القاموس المحيط، مادة (فسد).
(170) الأعراف(٥٦).
(171) جامع البيان، ج١٢، ص٤٨٧.
(172) معالم التنزيل، ج٤، ص٥٦.
(173) السابق، ج٦، ص٢٢٢.
(174) الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٩٦.
(175) البحر المحيط، ج١، ص١٠٠.
(176) البحر المحيط، ج١، ص١٠٦.
(177) السابق، ج١، ص ١٠٧.
(178) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٢٧٠.
(179) البحر المحيط، ج١، ص٢٠٧.
(180) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٨٠

الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك مما يؤدي إلى هَيْج الفتن بينهم، فلمَّا كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم:"لا تفسدوا" (١٨١).

فالإفساد عملية مقصودة واضحة، ومخطط لها، وهادفة إلى تخريب حياة الناس من خلال ارتكاب المعاصي. لكن الوقوع في المعصية ليس الفساد المقصود في القرآن الكريم، فلا يكون فسادا حتى يكون القصد منه إيصال الفساد للآخرين ووقوعهم فيه، عبر أي معصية، فمسألة الإفساد كما هو واضح من صيغة (أفعل): جعل الآخر يَفسُد. فالإفساد ليس شخصيا على مستوى الفرد العامل للمعصية فقط، بل يهدف بمعصيته تخريب إيمان الآخرين وتثبيط هممهم، بمعنى إفشاء المعاصي التي تؤدي إلى احتباس المطر وهلاك المخلوقات. وهذا عدول عن سواء السبيل؛ إذ يفترض أن يعيش الإنسان متنعما بخيرات الأرض منتفعا بها طالما استقام، فإذا عدل إلى غير الصواب لاقى غير ما يحب ويرضى، وهذا يعلمنا قوانين الخالق عز وجل في البشر. بمعنى أن النتائج محكومة بالمقدمات.

كما أن الفعل (أفسد) يرسم صورة الفاعل النفسية والفكرية، فالإنسان الذي يسعى لإفساد الآخرين وإفساد الأرض وإيقاع الهلاك بخيراتها والبشر المنتفعين بها، هو إنسان غير سوي وفي قلبه مرض يحاول عدوى الآخرين به، ويعاني الحقد والحسد ولا يحب أن يرى الخير بين الناس.

(181) الكشاف ، ج / ١ ، ص ١٧٩ – ١٨٠. والآية من البقرة(١١).

المبحث الثاني

التضمين في صيغة أفعل.

التضمين: "أن يؤدي فعل أو ما في معناه مُؤدى فعل آخر فيعطى حكمه في التعدية واللزوم فتؤدي الكلمة معنى كلمتين"[١٨٢]. " وقال السيوطي: التضمين أن تحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة"[١٨٣]. "والتضمين النحوي: إشراب كلمة معنى كلمة أخرى فتؤدي وظيفتها في التركيب" [١٨٤]. وبذلك فإن التضمين في الأفعال يكسب الفعل المُضمَّن إضافة على مستوى الدلالة والمعنى وعلى مستوى الوظيفة الجديدة التي اكتسبها بفعل التضمين، فالفعل المضمن سيحمل دلالة جديدة ووظيفة جديدة، وهنا سأكشف عن المعاني التي يضيفها التضمين للأفعال المزيدة على وزن(أفعل) وطرائق التضمين فيها.

فالفعل (آمن) الذي تكرر وروده بشكل لافت في السورة "يتعدى بنفسه وبالحرف" [١٨٥]. "والهمزة في(آمن) للصيرورة كأعشب أو لمطاوعة (فعَّل)، وضمن معنى الاعتراف أو الوثوق؛ فعدي بالباء وهو يتعدى بالباء واللام، والتعدية باللام في ضمنها تعدية بالباء فهذا فرق بين التعديتين"[١٨٦]. "ويضمنون (آمن) معنى أقر فيقولون: آمن بكذا أي أقر به. ويضمنونه معنى اطمأن فيقولون: آمن له"[١٨٧]. وما نجده هنا أن الفعل (آمن) يتعدى بطرائق ثلاث: بنفسه، وبحرف الجر الباء، وبحرف اللام. وأقول ثلاث لأن كل واحدة منها لها مؤدًّى معين مختلف عن الآخر، وتعديته بحرفي الجر اكتسبهما من التضمين الذي فتح أبواب الفعل على عوالم وفضاءات دلالية أحدثت انحرافا عن المعنى الأصل المتواضع عليه من حيث المعنى والدلالة، وعدولاً عن الاستخدام المعروف بإدخال حرفي الجر ليؤدي كل

---

(182) عباس، حسن، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ط١٣، دار المعارف، القاهرة، ج٢، ص١٦٦.
(183) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١ه)- الأشباه والنظائر، دار الحديث، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، ص١٤٤.
(184) حامد،أحمد حسن، التضمين في العربية، بحث في البلاغة والنحو، ط١، دار الشروق، ٢٠٠١م، ص٤٣.
(185) الأفعال في القرآن الكريم، ج١، ص١٤٩.
(186) البحر المحيط، ج١، ص٦٥.
(187) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٢٣٠.

منها معنى دقيقا خاصا يصف حالة بعينها "و(يؤمنون)معناه: يصدقون، و(آمن) مزيد (أمن) وهمزته المزيدة دلت
على التعدية، فأصل(آمن) تعدية(أمِنَ) ضد خاف، فآمن معناه جعل غيره آمنا، ثم أطلقوا (آمن) على معنى صدق ووثق" (١٨٨).

وهنا نجد مقارنة بين الأصل في (آمن) والاستخدام الجديد بفعل التضمين، مما يعني أن التضمين يساهم بشكل واضح في التطور الدلالي للأفعال المُضمَّنة في القرآن الكريم، بل يجعل هذا المعنى المُضمَّن الجديد هو المعنى المستخدم الشائع، الذي أضاف معنى جديدا للمعنى الأصل مع الاحتفاظ بالمعنى الأصل.

ومما تعدى باللام في سورة البقرة قوله تعالى:" وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" (١٨٩). وقوله تعالى: "أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه" (١٩٠). والفعل(آمن) في هاتين الآيتين ضُمِّن معنى اطمأن، والاطمئنان أعم من الاعتراف والوثوق والإقرار المضمنة بتعدية الفعل (آمن) بالباء. ذلك أن التعدية باللام في ضمنها تعدية بالباء، وإذا تأملنا الآيات الكريمة السابقة وجدنا أن حرف الجر اللام دخل على الأشخاص، وعبر عن انعدام حالة الثقة بين طرفي الخطاب: المرسل وهو بنو إسرائيل في الآية الأولى والمؤمنون في الآية الثانية، والمتلقي وهو موسى عليه السلام في الآية الأولى وبنو إسرائيل في الآية الثانية؛ فاليهود لا يطمئنون إلى دعوة موسى ويشكون فيها لذا يطلبون معجزة جديدة، وهي لا تعبر عن حالة شك فقط بل عن حالة عدم تصديق وطمأنينة وصلت حد الكفر.

كما أن دخول اللام عبَّر عن الطبيعة النفسية والعقلية التي يتصف بها أحد أطراف الخطاب تجاه الطرف الآخر، ويصف السلوك المتوقع منه في الموقف موضوع الحديث والمواقف المشابهة له لاحقا: تفسير ذلك أن بني إسرائيل طالبوا موسى عليه السلام في مواقف عدة بالمعجزات، وكانوا كلما أتتهم واحدة كفروا بها

(188) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٢٣٠.
(189) البقرة(٥٥).
(190) البقرة(٧٥).

وبه، وطالبوا بأخرى وهكذا يستمر سلوكهم على هذا النحو، وينتهي بهم الأمر إما بقتل نبي أو تكذيبه. ويقول الله تعالى: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" [١٩١]. لذا عندما قالوا لموسى عليه السلام: "لن نؤمن لك"[١٩٢]، كانت تنطق بما في قلوبهم حقا. وما قولهم:" حتى نرى الله جهرة"[١٩٣]، إلا حجة ومماطلة، لذا كانت النتيجة: " فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون"[١٩٤]. وفي الآية الثانية ،في قوله تعالى:"أفتطمعون أن يؤمنوا لكم" [١٩٥] تيئيس للمؤمنين من إمكانية حدوث اطمئنان اليهود لهم على مستوى الشعور، فكيف سيكون الحال مع العمل؟! ذلك أنهم وبعد جرائمهم الكثيرة والمتنوعة والمتعددة لا يمكن الركون إليهم، خاصة بعد تحريفهم كلام الله الذي يعبر عن الحسد العظيم تجاه المسلمين والدعوة المحمدية والتي يعرفون صدقها. لأن الصدارة والريادة والقيادة ستنتقل لفريق يحافظ على رسالة الله وكلامه وأنبيائه وهم المسلمون، لذا لا تطمعوا في اطمئنانهم لكم.

أما تعدية (آمن) بالباء فلتضمينه معنى الاعتراف والإقرار أو الوثوق . ومن أمثلة ما تعدى بالباء في قوله تعالى : "الذين يؤمنون بالغيب" [١٩٦] وقوله تعالى : "الذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك " [١٩٧]. وقوله تعالى: "ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر"[١٩٨]. والمعنى المُتضمَّن في (آمن بـ) معنى تجاوز مرحلة الاطمئنان إلى مرحلة أكثر دقة وخصوصية ومرحلة شعورية عُليا انتقلت فيها النفس إلى التصديق المعبّر عن الاعتراف بالمؤمن به والثقة بوجوده، وهذه الحالة ينطق بها اللسان وتستقر في القلب، وتعمل بوحيها الجوارح . وتعبر عن نفس آمنة مطمئنة لا شاكَّة أو مضطربة.

---

(191) البقرة(٨٧).
(192) البقرة(٥٥).
(193) البقرة(٥٥).
(194) البقرة(٥٥).
(195) البقرة(٧٥).
(196) البقرة(٣)
(197) البقرة(٤)
(198) البقرة(١٧٧) وعدد آخر من الآيات:(٨) (٤١) (٦٢) (٨٥) (٩١)...وغيرها

ومما يدعم هذا المعنى ما دخلت عليه الباء مع الفعل(آمن) :بالغيب،وبالله، وبما أُنزل إليك . التي تدل على خصوصية الحدث بالإضافة إلى خصوصية المُؤْمَن به، وأن الفاعل قد تجاوز بحسن تفكيره وتلقيه كل ما يقف حائلاً بينه وبين سلامة التلقي والتلّقف للمعاني القرآنية، والوصول إلى نقاء التفكير وصفائه. التي عُبر عنها بالثقة، وهي تعني من ضمن ما تعني عدم وجود حواجز بين النص والمتلقي قد تُدخِلُ الشك إلى النفوس، مما يجعل عملية التلقي مشوهة.

وبالنظر إلى ما سبق نجد أن التضمين في الفعل (آمن) قد احدث استبدالاً ضمن مستويين، الأول: معجمي مزدوج ذلك أن الفعل (آمن) قد احتفظ بالمعنى الأصل له، وأعطاه التضمين معنىً جديداً. والثاني ضمن المستوى التركيبي بدخول حرفي جر، هما الباء واللام الذين ساهما في تضمين الفعل معنيين مختلفين يصلح كل منهما للتعبير عن موقفين وحالتين مختلفتين، وهذا المستوى التركيبي نقل دلالة الفعل، وغير طريقة التعدية من تعدية الفعل بنفسه إلى تعديته بالحرف.

وكأن التضمين خلاصة عمليات استبدال بدأت مع الفعل المجرد(أمن) وحدثت العملية الاستبدالية الأولى بزيادة الهمزة إلى أوله، فاستبدل المعنى الأصل الأول بمعنى جديد دخل بدخول الهمزة "همزة التعدية" فأكسبه معنى الجعل وهو الأصل في هذه الصيغة، ثم حدثت عملية استبدال ثانية كانت على المستوى الدلالي بتضمين الفعل معنى فعل آخر أحدثت عملية استبدال على المستوى النحوي بتغيير طريقة التعدية من الطريقة المباشرة إلى التعدية بواسطة حرف الجر. والفعل في كل مرحلة من مراحله هذه قادر عن التعبير عن معنىً ما، يظل هذا المعنى يزداد دقة وخصوصية كلما مرت عليه مرحلة جديدة. وهو في كل حالة من حالاته يصلح للتعبير عن موقف لا تشاركه فيه أو تساويه حالة أخرى من حيث القدرة على الإبلاغ مما يوسع دائرة استخدام الفعل في المواقف المختلفة بما يناسبها من خيارات الكلام.

والفعل (أنبأ) الذي تكرر وروده في سوره البقرة ثلاث مرات متعديا إلى مفعولين، إلى الأول بنفسه مباشرة وإلى الثاني بحرف الجر الباء وهي : "أنبئوني

بأسماء هؤلاء"[١٩٩] و"أنبئهم بأسمائهم"[٢٠٠] . "ولتضمنه معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا، ولتضمنه معنى العلم يقال: أنبأته كذا، وقد أنبأه إياه إذا تضمن معنى العلم، وأنبأه به إذا تضمن معنى الخبر أي أخبره، وأعلمته بكذا مضمن معنى الإحاطة"[٢٠١]. "والإنباء: الإخبار بالنبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية، بحيث يحرص السامعون على اكتسابه ولذلك تضمن الإنباء معنى الإعلام"[٢٠٢]. و(أنبأ) في سورة البقرة جاء مضمنا معنى الخبر، أي: أخبر. وهو الخبر الذي يؤدي إلى علم المتلقي به علما جديدا مفيدا، وهو يدل على علم المُرسِل، وتضمين (أنبأ) معنى الخبر أقوى من تضمينه معنى العلم، ذلك أن الإخبار يشمل العلم والإخبار بما علم، وتعديته بالباء التي تدل على الإحاطة، توضح صورة المُرسِل العالِم، وصورة النص الذي يحمل الجدة والفائدة، وصورة المتلقي الذي يفيد منه، وصورة العلاقة بين النص والمتلقي الذي يحرص على تحصيل النص وفهمه، وهذا ما حدث في قصة آدم عليه السلام مع الملائكة، والتي أعجز الله عز وجل فيها عباده من الملأ الأعلى بما عند آدم من النبأ والقدرة على الإنباء.

والفعل (أنزل) الذي تكرر واحدة وعشرين مرة، جاء في ثلاث صور للتعدية: متعد بنفسه كما في قوله تعالى: " وأنزل من السماء ماء"[٢٠٣]. وقوله تعالى: " وأنزل معهم الكتاب بالحق"[٢٠٤]. ومتعد بحرف الجر(على) كما في قوله تعالى: " وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٢٠٥]. وقوله تعالى: " واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب"[٢٠٦]. ومتعد بحرف الجر(إلى) كما في قوله تعالى:" ولقد أنزلنا إليك آيات بينات"[٢٠٧]. وقوله تعالى: " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم"[٢٠٨].

---

(199) البقرة(٣١).
(200) البقرة(٣٢).
(201) التاج، مادة (نَبَأَ).
(202) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤١٢.
(203) البقرة(٢٢).
(204) البقرة(٢١٣).
(205) البقرة(٥٧).
(206) البقرة(٢٣١)
(207) البقرة(٩٠).
(208) البقرة(١٣٦).

و" عدي الإنزال بإلى لتضمينه معنى الوصف، فالمنزل إليه غاية النزول، والأكثر والأصل أن يعدى بحرف (على) لأنه في معنى السقوط كقوله تعالى: " نزَّل عليك الكتاب بالحق"[٢٠٩]، وإذا أُريد أن الشيء استقر عند المُنزَل عليه وتمكنه منه قال تعالى:" وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٢١٠]، واختيار إحدى التعديتين تفنن في الكلام" [٢١١]. ويقول صاحب التاج:" ما وصل من الملأ الأعلى بلا واسطة تعديته بعلى المختص بالعلو أولى، وما لم يكن كذلك تعديته بإلى المختص بالاتصال أولى"[٢١٢].

إن اختيار أحد حرفي الجر(على) و(إلى) مع فعل الإنزال يطبع الحدث بطابع خاص تظهر فيه طريقة الإنزال وطبيعته، ونوع المُنزَل، وهما يبرزان غاية الإنزال.

فتعدي (نزل) بعلى إشارة إلى استعلاء المُنزِل على المُنزَل عليه، وتمكنه منه وأنه قد صار كالمُلابِس له بخلاف إلى فإنها تدل على الانتهاء والوصول"[٢١٣]. فقوله تعالى:" وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٢١٤] تعني استعلاء الخالق ونعمته وفضله على بني إسرائيل بإنزال المن والسلوى، في وقت كانوا فيه في أمس الحاجة، أما تعدية فعل الإنزال (بعلى) في قوله تعالى: " وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"[٢١٥]. "فالإنزال هنا بمعنى الإلهام وبمعنى الإيداع في العقل"[٢١٦]. وظهر في ابتكار الملكين أساليب وأفانين في السحر لم يتعلماها من أحد سابقا.

أما تعدية فعل الإنزال بإلى الدالة على الانتهاء والوصول، التي تحمل اختصاصا بالمُنزَل إليه؛ ففي قوله تعالى:" الذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك" [٢١٧]. "المراد: المقدار الذي تحقق نزوله من القرآن قبل نزول هذه الآية"

---

(209) آل عمران(٣).
(210) البقرة(٥٧).
(211) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٢٣٩.
(212) التاج، مادة (نزل).
(213) البحر المحيط، ج١، ص١٦٨.
(214) البقرة(٥٧).
(215) البقرة(١٠٢).
(216) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٦٤٠.
(217) البقرة(٤).

[٢١٨]. فتعدية (أنزل) بإلى تحدث انحرافا في الدلالة بهدف الإشارة إلى جانب معين وهو أن الإيمان لا يتجزَّأ ومتصل لا ينقطع. وفي قوله تعالى:" ولقد أنزلنا إليك آيات بينات"[٢١٩]. جاء الإنزال تخصيصا للدعوة، فالآيات أُنزلت لهم ولأجلهم، وهذا الاختصاص يشعر بعظم المسؤولية.

وهكذا فإن التضمين يضاعف طاقة الفعل الدلالية ويحركها، لما يحمله الفعل المضمن من معنى الفعل الأصل مضافا إليه المعنى المُضمَّن فيه، وهذا يوسع دائرة التركيب والحدث، ويحدث انحرافا في خط سير الفعل بإدخال بعض العناصر اللغوية التي اعتاد العرب في لغتهم إدخالها على أفعال أخرى، ليسهم التضمين في إحداث الجدة والاتساع.

(218) لتحرير والتنوير، م١، ج١، ص٢٣٨.
(219) البقرة(٩٩).

المبحث الثالث

التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفعل) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال.

يُعَدُّ السياق "دعامة رئيسة في تحليل النص الأدبي" [٢٢٠]، نظرا لاحتوائه عناصر النص الداخلية والخارجية كافة، بوصفه معبرا عن أجزاء النص كافة وعلاقاتها وروابطها معاً. وعلاقة هذه الأجزاء بمحيطها الخارجي المتمثل بزمان النص وبيئته وأطراف الخطاب المتعلق بها، وما يرافقها من ظروف اجتماعية وثقافية. لذا "فإن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية لدى كل من منتج الكلام والمتلقي ... وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية" [٢٢١] . "وبالعودة إلى السياق ينكشف الغموض في كثير من الكلمات وبفهمها يتمكن المحلل من الدخول في الإطارين الزمني والمكاني للحدث اللغوي" [٢٢٢].

والسياق نوعان: سياق خارجي"مقامي" وهو يرتبط بالعناصر الخارجية ويشكل محيط الحدث الكلامي من مرسل ومتلق وموضوع وهدف وأثر. وسياق داخلي (مقالي)، وهو يرتبط بالمادة اللغوية المشكلة للنص، وما بينها من علاقات. وبهذين السياقين يتشكل المعنى الدلالي.

أولا: صيغة (أفْعَلَ) وموضوع الخطاب.

يُقصَد بالموضوع " تلك البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر، وحسب ما يتطلبه الخطاب من إيجاز أو إطناب أو شرح" [٢٢٣]. وهو يشكل حلقة الوصل بين طرفي الخطاب الرئيسيين: المُرسِل والمتلقي. "فلا بد من وجود قضية محورية

(220) العموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق (مثل من سورة البقرة)، عالم الكتب الحديثة، إربد، ٢٠٠٥م، ص٢٦.
(221) السابق، ص ٢٦.
(222) عمايرة، خليل أحمد، المسافة بين النظرية والتطبيق، ط١، وائل للنشر، عمَّان، ٢٠٠٤م، ص٣٥٥- ٥٦.
(223) الخطاب القرآني ، ص٢٥٣.

مركزية يتقابل أمامها المبدع والمتلقي" [٢٢٤]. بوصف النص حدثا تواصليا تلتف حوله أطراف الخطاب [٢٢٥]. وفي هذا المبحث سأحاول الكشف عن العلاقة التي تربط صيغة (أفعل) بالموضوع الذي وردت فيه، ومدى ملاءمتها لموضوع الخطاب "فالمعنى يحدد الشكل اللغوي المناسب له أو القادر على حمل المعنى" [٢٢٦].

في قوله تعالى:"الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" [٢٢٧]. الذي جاء بعد افتتاح السورة ب"الم" [٢٢٨]، وبعد تعظيم القرآن الكريم وتأكيد صدقه، وما فيه من الهدي للمتقين "ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين" [٢٢٩]. التي كان معها بداية التصنيف؛ إذ كان الموضوع الأول الذي يتلقاه قارئ سورة البقرة: تصنيف الناس تجاه تلقيهم الهدي القرآني إلى أربعة أصناف: المؤمنون والكافرون والمنافقون وأهل الكتاب ، ومن الطبيعي أن تكون الفئة الأولى الفئة الأشد انتفاعا بالقرآن مقدمة بالذكر والمكانة، ولها الصدارة على سائر الفئات الأخرى، لما لها من صفات.

وعليه فإن الوصف والمدح سيحتاج إلى ألفاظ تتلاءم مع الغرض والموصوف فكان الخطاب بالجملة الفعلية، وكان بصيغة (أفعل): "يؤمنون" و"يقيمون"و"ينفقون" خاصة أن سورة البقرة من أوائل السور المدنية التي تركز موضوعاتها على التشريع؛ فالسورة "تُعنى كغيرها من السور المدنية بالتشريع المنظم لحياة المسلمين في المجتمع الجديد بالمدينة: مجتمع الدين والدولة معا. فلا ينفصل أحدهما عن الآخر وإنما هما متلازمان تلازم الجسد والروح، لذا كان التشريع المدني قائما على تأصيل العقيدة الإسلامية" [٢٣٠].إذن فنحن أمام موضوع كبير رئيس يتناول تأصيل العقيدة في النفوس في جانب، ودنيوي يرسم معالم الدولة المتشكلة القائمة حديثا والتي ستقوم وتتأسس على أسس متينة محددة

(224) عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٩٨
(225) انظر: نحو النص، ص٣٠.
(226) دور الرتبة في الظاهرة النحوية، المنزلة والموقع، ص٢٢٦.
(227) البقرة (٣).
(228) البقرة (١).
(229) البقرة (٢)
(230) الزحيلي، وهبه، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م، ج١، ص ٦٨ .

لا تختل معنويا وماديا في جانب آخر، فجاء رسم معالم هذه الدولة، وجاء التعبير القرآني راسما هذه الصورة بالجمل الفعلية الثلاث التي اختصرت كل ما جاء في السورة.لقد جاءت الأفعال الثلاثة في إطار مدح فئة المؤمنين، وعبرت عن واقع نفسي وعقلي وعملي، فجاءت مبرزة صفاتهم؛ وهي فئة مخصوصة في مجتمع جديد ظهرت بظهوره فئات جديدة إذ "كانوا قبل الهجرة صنفان بحسب اختلاف أحوالهم في التلقي" (٢٣١). بمعنى أن الدولة الجديدة ساهمت في إطاريها: الزمني- بعد الهجرة-، والمكاني- المدينة المنورة- في إيجاد مجتمع جديد مقسم إلى فئات أربع، ثلاث منها ناصبت المؤمنين العداء.

والفعل "يؤمنون" يحمل معاني التصديق والعمل والخشية والعلم، ومن اتصف بهذه فحقه أن يُمدح كما مدحه الله تعالى. وهذا الإطار الصغير يقع ضمن إطار أوسع يقوم على المقارنة بين الفئات الأربع. وفعل الإيمان كما أورده المعنى القرآني فعل موسع الدلالة، دل على القول والاعتقاد والعمل، التي تشمل جوانب الحياة اليومية للمؤمن، فهو فعل يوضح صورة متكاملة لأبناء الدولة الجديدة التي تقوم على التوازن والشمولية.

والجملة الفعلية أدلّ على الحدوث وتجدده، وعبّر الفعل"يؤمنون" عن شكل مطور يفوق الإسلام، وهو التسليم والإذعان، إلى شكل آخر تمتزج فيه عدة جوانب لإتمامه: اللسان والعقل والنفس والجسد. وبها تتشكل الشخصية المؤمنة داخليا وخارجيا، وتتأهل للاقتداء، وعليها تقوم الدولة بمعالمها ذات الطبيعة الخاصة. وفي قوله تعالى:"ويقيمون الصلاة" (٢٣٢)، في مدحه تعالى للمؤمنين، والإقامة فعل عملي لا يتم إلا بشروط على المقيم فعلها و ترافق كل أعمال الصلاة، ولا تطلق إلا على الأمور المؤداة بشكل تام، وهي نمط مميز لصلة العبد بربه، والإقامة فعل يُرى، لذا فإن المقيم يكون محط أنظار الآخرين، ويعلم الناس أحَبَّ الأعمال إلى الله، "ألم تر كيف سمّى رسول الله (صلى الله عليه

(231) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت٨٧٥ه)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص١٧٤

(232) البقرة(٣).

وسلم) الصلاة عماد الدين، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة؟" [٢٣٣].

وفي الإطار ذاته جاء قوله تعالى: "ومما رزقناهم ينفقون"[٢٣٤]. و"ينفقون" فعل آخر من أركان قيام الدولة، وفعل يحتاج إلى نفس راقية، ارتقت على همّ الاحتفاظ، إلى حس عال بالآخرين، وهو موضع تنافس. كما كان ثواب الإنفاق في وجوه الخير عظيما وقد سمّى الرسول (صلى الله عليه وسلم) الزكاة: قنطرة الإسلام"[٢٣٥]. والمنفق استطاع التخلص من عادات النفس الحريصة على الكسب والاحتفاظ بالمال، كما هو معروف بين البشر.

والإنفاق فعل مشروط، فمصدره طيب، وطريقة الحصول عليه مشروعة، يقول تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم" [٢٣٦]. ويكون "ابتغاء مرضات الله"[٢٣٧]، ولا يكون "كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر" [٢٣٨] . بل يكون مثل: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم"[٢٣٩]. فإذا كان الإنفاق منظما محكما عرف المؤمن أن الإنفاق من أعمال المتقين، وإن كان ظاهر الأمر خروج المال للآخرين وكأنه نقص، يأتي قوله تعالى:"وما تنفقوا من خير فلأنفسكم"[٢٤٠]، وقوله تعالى:"وما تنفقوا من خير يوف إليكم "[٢٤١] ، وباتساع دائرة الحدث التي يطال نفعها الآخرين يكون الفعل محمودا.

إنه فعل ينطوي على جلب السلوك المرغوب باستخدام لفظ قادر على حمل الدلالات القادرة على إحداث التغيير الاجتماعي الذي يؤسس لمجتمع ودولة قوية. وهذا قانون إلهي آخر وسنة من سنن الله في خلقه؛ فإذا غيّر المجتمع سلوكه من السيئ إلى المحمود غيّر الله حاله إلى الخير وزاده، وهذا ما يحتاجه

---

(233) الكشاف، ج١، ص١٥١.
(234) البقرة(٣).
(235) الكشاف، ج١، ص١٥١.
(236) البقرة(٢٦٧).
(237) البقرة(٢٦٥).
(238) البقرة(٢٦٤).
(239) البقرة(٢٧٤).
(240) البقرة(٢٧٢).
(241) البقرة(٢٧٢).

مجتمع ناشئ كمجتمع المدينة والدولة الحديثة، التي تلزمها مقومات الاستمرار والديمومة، والإنفاق أحد أهم هذه المقومات الذي يقيم التوازن الفكري والعملي بين الدين و الدنيا، ودوله بهذه المواصفات مؤهلة للقيادة، قادرة على حمل الرسالة ونشرها، لأنها لن تكون حريصة يوما على مظاهر الحياة المادية، بل همها عمارة الأرض وإقامة دين الله فيها.

وفي قوله تعالى:"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" [٢٤٢]. الذي جاء عارضا صفات الفئة الثانية وهم فئة الكفار الخلّص الذين لا يعرفون الله ولا يعترفون به، ولا يؤمنون بأنه موجود أصلا، وهم فئة عرفت بعدائها الصريح للإسلام والمسلمين، فجاء وصف تلقيهم للهدي القرآني ممثلا في الفعل (أنذر) ومحددا بتساوي الإنذار وعدمه عندهم.

والإنذار حتى يكون مفيدا، لا بد أن يكون المُنذَر خائفا هائبا ما يُخوَّف منه وهو العذاب، يقول تعالى:" إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب" [٢٤٣]. "فالإنذار: التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي [٢٤٤]. وقد كان العرب يستخدمونه للتخويف من العدو، والإنذار قول، والفعل (أنذر) يتعدى إلى مفعولين، "والتقدير: أأنذرتهم العذاب على كفرهم أم لم تنذرهموه[٢٤٥].

والفعل (أنذر) يجعلنا أمام مقارنة بين فريقين، ذلك أن الإنذار ذكر عند الحديث عن المؤمنين، وعن الكافرين. يقول تعالى: "إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة" [٢٤٦]. ويقول تعالى: "وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا" [٢٤٧]. ويقول تعالى: "وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين" [٢٤٨].

---

(242) البقرة(٦).
(243) ياسين(١١).
(244) الكشاف، ج١، ص١٦٤.
(245) البحر المحيط، ج١، ص٧٩.
(246) فاطر(١٨).
(247) الكهف(٤).
(248) الأحقاف(١٢).

والإنذار الذي أدّاه الرسول (صلّى الله عليه وسلم) أمر ربه ورسالته يقول تعالى:"إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا" [٢٤٩]. ويقول تعالى: "إن أنت إلا نذير" [٢٥٠]. وهذا رد على مزاعم الكفار أن القرآن من عنده، فالرسالة ربانية، والإيصال بشري على لسان رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

والفعل (أنذر) يحمل التخويف؛ فنص الإنذار وطريقة الإبلاغ مخيفة، ويحمل العبرة والعظة مما حدث مع الأقوام السابقة يقول تعالى: "فانظر كيف كان عاقبة المُنذَرين"[٢٥١]. إذ يتضمن نص الإنذار قصص أقوام عذبها الله بكفرها، بعد إنذارها وعدم استجابتها. ورسالة الإنذار تلامس النفس الراغبة في النعيم والبعد عن العذاب، الخاشية سوء المنقلب، إذ يساهم الإنذار في هز النفوس وتنبيهها لإحداث الاستجابة المطلوبة والمتمثلة بالإيمان بالله. كما يتضمن الإنذار وجود مدة زمنية كافية بين الإنذار ومعرفته للاحتراز منه، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده.

لقد وصف الفعل (أنذر) عقول ونفسيات الكفار، إذ يصدون عن هدي القرآن ما وسعهم، وعطلوا حواسهم عن طبائعها من السماع والتأثر والخوف والاستجابة"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" [٢٥٢]. فقلوبهم لا تتأثر، وأسماعهم لا تعي، وأبصارهم ترى دون عبرة، وكأنما بينها وبين الحق حجاب هو حجاب الكفر والإنكار، فهي فئة ميئوس من إيمانها.

وفي قوله تعالى: "وعلَّمَ آدم الأسماء كلَّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" [٢٥٣] والتي جاءت في إطار عرض الله تعالى قدرته في خلقه، وهو غرض يصب في تأصيل العقيدة. حيث جاءت قصة خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفة الله تعالى في الأرض: "وإذ قال ربك

(249) فاطر(٢٤).
(250) فاطر(٢٣).
(251) يونس(٧٣).
(252) البقرة(٧).
(253) البقرة(٣١).

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" [٢٥٤] فجاء استفهام الملائكة عن الحكمة من خلق آدم واستخلافه وهم يسبحونه تعالى: "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"[٢٥٥]، فكان جوابه تعالى: "إني أعلم ما لا تعلمون"[٢٥٦] الذي كان فاتحة بقية القصة بين الملائكة وآدم أمام الله تعالى.

وبقوله تعالى:"إني أعلم" بدأت عملية المفاضلة بين الطرفين في الآية التالية بعد أن علَّم آدم "أنبئوني" "قال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقا وحقه أن يتعرَّى عن الكذب كالمتواتر وخبر الرسول(صلى الله عليه وسلم)" [٢٥٧] فاختيار الله تعالى الفعل (أنبأ) تدل على طلبه تعالى إلى الملائكة الإتيان بخبر فيه علم وصادق، وهو ما لم تستطعه الملائكة: "قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم" [٢٥٨] . فكان الأمر في"أنبئوني"أمر تعجيز" [٢٥٩] ليأتي بعدها عظيم صنع الله في تعليم آدم بقوله تعالى:"قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم" [٢٦٠].وجاء الأمر فيها موجها لآدم، وعرض ما لديه من علم نافع حيث الخبر مهم، ومصدره مهم، وقائله مهم بما لديه من العلم الذي كان أساس المفاضلة بينه وبين الملائكة، يدل على ذلك تكرار مفردات الفعل (علم)في الآيات (٣٠-٣٣) ثماني مرات دعما لمفهوم الفعل(أنبأ). فكان إنباء آدم ما علَّمه الله إياه دالا على قدرة الله فيه.

وفي قوله تعالى:"وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون" [٢٦١]. الذي جاء في معرض خطابه تعالى بني إسرائيل وتذكيرهم نعمه الكثيرة عليهم، والنعمة هنا إنجاؤهم، ونقمته على أعدائهم بإغراقهم. وجاء موضع هاتين النعمتين باستخدام فعلين على صيغة(أفعل):

---

(254) البقرة(٣٠).
(255) البقرة(٣٠).
(256) البقرة(٣٠).
(257) المفردات في غريب القرآن، ج١، ص٤٨١.
(258) البقرة(٣٢).
(259) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤١٢.
(260) البقرة(٣٣).
(261) البقرة(٥٠).

(أنجيناكم)و (أغرقنا) الدالين على تدخل رباني عظيم بإنجائهم الذي يعد نعمة ومنة عظمى لأنها أبقت على حياتهم، وخلصتهم من آل فرعون.

وفي قوله تعالى:"يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الذين من قبلكم لعلكم تتقون"[٢٦٢] الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون"[٢٦٣].الذي جاء ضمن غرض تأصيل العقيدة الذي تفرع منه التحدث عن قدرة الله تعالى، وفيه الفعل (أنزل)، وهو فعل مختص بالله تعالى، لذا كثر وروده مبنيا للمجهول كما في قوله تعالى: "الذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك"[٢٦٤] وبفاعل مقدر حينا آخر كما في قوله تعالى:"وأنزل معهم الكتاب بالحق"[٢٦٥]. وهو فعل متحرك الدلالة، إذ يستخدم حقيقة مع الذوات ومجازا مع غيرها، وهما استعمالان وردا في سورة البقرة؛ فمن الحقيقة قوله تعالى:"وأنزل من السماء ماء"[٢٦٦]، ومن المجاز قوله تعالى:"ولقد أنزلنا إليك آيات بينات"[٢٦٧]. كما ورد في موضع واحد إنزال العذاب في قوله تعالى:"فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء"[٢٦٨]. لقد مكنت الزيادة الفعل من تحريك الدلالة بين الحقيقة والمجاز، ووسعت دائرة استخدامه مع الذوات والمعاني، وهذا جعل الفعل (أنزل)ملائما لعدة موضوعات. ويدل على قدرة الله تعالى بإنزال الماء؛ إذ يحكي قصة تكوين الماء بقدرته، ثم إنزاله لحاجة البشر إليه يقول تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" [٢٦٩] .

وفي الآيات الكريمة التي تحدثت عن جرائم بني إسرائيل، وما لاقوا به النعم الكثيرة من الانحراف عن الصراط السوي انحرافا بلغ حد الكفر، فقد كان ورود الفعل(أنزل) واضحا بحَدَّيه: الحقيقي والمجازي في عدد من الآيات[٢٧٠] .ومما جاء

---

(262) البقرة(٢١).
(263) البقرة(٢٢).
(264) البقرة(٤).
(265) البقرة(٢١٣).
(266) البقرة(٢٢).
(267) البقرة(٩٩).
(268) البقرة(٥٩).
(269) الأنبياء(٣٠).
(270) البقرة (٤١) و(٥٧) و (٩٠) و (٩١) و (٩٩) و (١٠٢).

على الحقيقة قوله تعالى:"وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٢٧١] الذي يبدو فيه التكريم والتشريف لهم، أن يكون مصدر طعامهم من الله تعالى أنزله خاصة لهم، وهي نعمة تستحق الحمد والشكر.

ويكون من الإنزال نقمة وعذاب على الذين قابلوا النعم بالخداع والتحريف كما في قوله تعالى:"فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" (٢٧٢) . وهو إذ يدل على العذاب المنتظر لمن قابل نعم الله بالإساءة، فإنه تحذير للمؤمنين من الوقوع في أخطاء بني إسرائيل، وتنبيه إلى أن سلوك الكفر عندهم ليس جديدا بل قديم زمن دعوة موسى عليه السلام، فهو يستحضر الموقف والقصة الغائبة، وهذا يفتح المقارنة على طريقة تلقي الدعوة الإسلامية واستقبالها، لذا وجب الحذر و"لأن ذلك يلقي في النفوس شكا في تأهلهم للاقتداء بهم" (٢٧٣). وتذكير بني إسرائيل لم يقتصر على النعم المادية، بل كان ذلك مقدمة لنعمة أكبر ومنة أعظم وهي الكتاب. وبما أن القرآن الكريم جاء مصدقا لما في التوراة كان حقا عليهم تصديقه واتّباعه، لكنهم: "وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم" (٢٧٤) وهذا تفسير قوله تعالى:"أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" (٢٧٥) وما تكرار الفعل(أنزل) في عرض جرائم بني إسرائيل إلا لأنها الأساس الذي يبين اضطرابهم في استجابتهم له لأنهم يعرفون صدقه، لكن حسدهم منعهم من حسن التلقي.

ثانيا: صيغة(أفعل) وغرض المرسل.

يعد النص حدثا تواصليا، يربط أطراف الخطاب اللغوي من مرسل ومتلق حول موضوع النص. والمرسل في القرآن الكريم هو الله جل وعلا وهو تعالى أثناء عرض الرسالة الكبرى يعرض لإرسالات صغرى ضمن قصص ومواقف، فيغدو

(271) البقرة(٥٧).
(272) البقرة(٥٩).
(273) الجواهر الحسان، ج١، ص١٧٥.
(274) البقرة(٩١).
(275) البقرة ٨٥).

المعنى متصلا غزير الدلالة دقيقا نافذا إلى أدق التفاصيل، وهذا يظهر من خلال اختيار الشكل اللغوي المناسب القادر على حمل المعنى المراد وإيصاله بما يخدم غرض المرسل وغايته.

والله تعالى يرسل خطابه مباشرة إما لرسله أو المؤمنين أو عامة الناس أو فئة محددة من الناس، أو يكون إرساله مُتَضمَّنا في رسالة أخرى مرسلها شخص، ويبقى الله عز وجل في كلتا الحالتين هو المرسل، ولكن في إرساله رسالته مباشرة غرض وفي إرساله رسالته عبر قناة أخرى غرض، لا أقول مختلفين، بل متماسكان متضافران في تحقيق الهدف.

وقد يوجه الله تعالى رسالته بشكل عام أو خاص ، والله تعالى عندما يوجه خطابه فإنه مقصود، "والقصد: التعبير عن هدف النص، فالنص اللغوي وسيلة للوصول إلى غاية المنشئ والمقصد هو: توصيل مفهوم إلى المتلقي أو طلب شيء ما تعقبه استجابة" [٢٧٦] والمرسل في إطلاقه رسالته مرتبط بعدة عناصر كموضوع الرسالة وطبيعة المتلقي وثقافته، ومدى الالتقاء حول موضوع الرسالة، وهنا تبرز أهمية دور المرسل في اختيار الشكل اللغوي الأنسب القادر على حمل المعنى المراد من أجل تحقيق الهدف وإيجاد الاستجابة المطلوبة لتحقيق النص. ذلك أنه "إذا لم يتحقق القصد لم يتحقق النص" [٢٧٧] .

واختيار الشكل اللغوي الفعلي دون الاسمي تعبير عن الإحداث والقدرة والتجدد في حين أن التعبير الاسمي يدل على الثبات. والأنماط الفعلية متعددة متنوعة الطاقات، والأفعال المزيدة بهمزة التعدية يميزها تعمُّد الإحداث؛ ذلك أن دخول همزة التعدية إلى أول الفعل الثلاثي تكسبه معنى الجعل وهو " أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان" [٢٧٨] وهي نقلة معنوية واضحة بإيقاع الحدث عن قصد من الفاعل على المفعول، وهذا يعني أن المرسل عندما يستخدم صيغة(أفعل) فإنه يركز على الحدث الصادر من فاعل

(276) نحو النص، ص٨٣.
(277) نحو النص، ص٨٣
(278) شرح الشافية، ج١، ص٨٧.

معين على مفعول معين. فالفاعل في صيغة (أفعل) دخل على التركيب بعد الزيادة والمفعول وجد بعد الزيادة. وفي النماذج التالية سأبين التعالق بين غرض المرسل واستخدام صيغة (أفعل).

مدح الله تعالى المؤمنين باستخدام صيغة (أفعل) في قوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"[٢٧٩] فالمؤمنون يؤمنون بالغيب وهو أعلى درجات الإيمان، والإيمان حدث قلبي لساني عملي، وإقامة الصلاة فيها حفاظ وحرص وسعي، والإنفاق عمل يدل على الإيمان وسمو النفس، وهي أفعال تصف حدثا مميزا وفاعلا مميزا ومفعولا خاصا. أبرزت صفات فئة المؤمنين، والأفعال (يؤمنون) و(يقيمون) و(ينفقون) أفعال قابلة للتجدد والزيادة مع الزمن، وهي باب يتسابق فيه المؤمنون لتحصيلها، والحدث أعطى الفاعل والمفعول طابعا مميزا يجعلهما قدوة يُقتدى بها، سواء أكان السلوك قلبيا أو لسانيا أو عمليا أو بدنيا أو ماليا، وهي معا تؤكد أن الحياة كل متكامل، يأتلف من كافة الجوانب الإنسانية، وأن المجتمع السوي يقيمها جميعا ولا يغفل عن أحدها دون الآخر، فيحدث التوازن الاجتماعي.

وعندما وجه الله تعالى رسالته لبني إسرائيل والناس حول قدرته جل وعلا استخدم تعالى جملا فعلية منتقيا صيغة (أفعل) في الأفعال: (أنزل) و(أخرج) و(آتى) و(أحيا) و(أمات). حيث أراد سبحانه أن يوجه اهتمامهم إلى كافة أطراف الحدث، خاصة وأنها أحداث مشاهدة لا تخفى على أحد، فكانت محققة الغرض، وخلقت التساؤل المهم حول وجود الخالق خاصة للمنكرين، وتذكير الغافلين، وتوجيه المؤمنين.

ففي قوله تعالى: "أنزل من السماء ماء" [٢٨٠] بدل القول: نزل الماء. لإثارة قضية هامة في معرفة المُنزل، وما أنزل وكيف نزل. وهي أسئلة تحرك العقل وتوصل للحقائق والنتائج، وتوضيح قدرة الله تعالى في تكوين الماء ثم إنزاله ومكان نزوله وفائدة نزوله، فيرى المتأمل الحياة ماثلة أمامه في الفعل(أنزل).

---

(279) البقرة(٣).
(280) البقرة(٢٢).

وفي معرض الحديث عن قصة آدم عليه السلام في الجنة، ومُعاداة الشيطان له في قوله تعالى: "فأزلهما الشيطان عنها" [٢٨١]. حيث الفعل (فأزلهما) وفيه نرى تدخل الشيطان بالإغواء والوسوسة وتمكنه بهما من إخراج آدم وزوجه من الجنة، وهذا المعنى يولد في النفس حذر الشيطان ومعاداته.

وفي عرضه تعالى وتذكيره بني إسرائيل نعمه عليهم في قوله تعالى: "ولقد ءاتينا موسى الكتاب" [٢٨٢]. وفيه نجد الفعل (آتى) الذي يذكر بنعمة التوراة؛ فالإيتاء نعمة وفضل من الله تعالى للمؤتَى، وتكتمل صورة الإيتاء بالشيء المُؤتى الذي يحمل شريعة عظيمة تنظم حياتهم، كما جاء في التوراة ذكر صفات محمد(صلى الله عليه وسلم) وصفات رسالته والقرآن الكريم جاء مصدقا لما معهم، وهذه المعاني واردة في الفعل آتى الذي أظهر مقدار النعمة، ولما كانوا غير حافظين ما آتاهم الله جاء الوقت ليتولى حمل الرسالة الربانية قوم آخرون هم أقدر بحرصهم على حمل أعباء ما آتاهم الله.

ومن نعمه تعالى على بني إسرائيل وهي كثيرة ما جاء في قوله تعالى: " وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون"[٢٨٣]. وهي واحدة من رسائل التذكير بنعمه تعالى عليهم، ليذكرهم بتدخله تعالى لتخليصهم وإنقاذهم من آل فرعون، وهذه النجاة لم تكن مصادفة بل نعمة ومعجزة، لينظروا في عظيم صنع الله. واكتملت المنة في هذا الموقف بإغراق وإهلاك آل فرعون. فكانت صيغة (أفعل) حاضرة بقوة مؤثرة في شكل تدخل رباني، نعمة لبني إسرائيل ونقمة على عدوهم، فخلصهم تعالى من الحصار والموت، وخلصهم من عدوهم وإبقاء الحياة نعمة عظمى على سائر النعم. لقد وجه الله تعالى لهم رسالة عامة في قوله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" [٢٨٤] تلتها رسائل خاصة مفصلة في قوله تعالى: "فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون"[٢٨٥]. وقوله تعالى: "وإذ آتينا موسى

(281) البقرة(٣٦).
(282) البقرة(٨٧).
(283) البقرة(٥٠).
(284) البقرة(٤٠).
(285) البقرة(٥٠).

الكتاب والفرقان"[٢٨٦]. وقوله تعالى:" وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٢٨٧]. وكلها جاءت فيها مواضع النعم في أفعال على صيغة(أفعل)، فهي صيغة تستطيع أن تبرز دور الفاعل القاصد، وفي الوقت الذي يذكّر الله تعالى بني إسرائيل نعمه عيهم، فإن الرسالة تأخذ منحى مزدوجا في توجيه الخطاب للمؤمنين لأخذ الحيطة والحذر منهم وعدم الوقوع في أخطائهم .

إن الرسائل التي يوجهها الله تعالى محكومة بالهدف المراد والأثر المتوقع. أي إن المرسل يختار المادة اللغوية التي تثري رسالته، بما يحقق الهدف منها، وبما يجعله مؤثرا قادرا على تحقيق الاستجابة المطلوبة؛ لذا يختار تعالى رسائل متنوعة يتراوح تأثيرها بين الحس والعقل؛ فهذان الجانبان يخدمان الرسالة ويقويان أثرها في نفوس المتلقين خاصة أن حياة الإنسان مزيج منهما ولكل منهما أثره فيها. ولما كانت طباع البشر وأهواؤهم متعددة ومتغيرة كان وجود الاستخدام اللغوي للحس والعقل يضمن تحقيق الرسالة، وذلك نابع من علم الله تعالى بالبشر فيخاطب كلا بما يلائمه، ومن الرسائل الحسية قوله تعالى:" أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم"[٢٨٨]، وقوله تعالى:" فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون"[٢٨٩]، وقوله تعالى:" ومما أخرجنا لكم من الأرض"[٢٩٠]، فهي نماذج تخاطب العقل لما فيها من المشاهدة والمعاينة بالنظر. ومن العقلية قوله تعالى:" ربنا أفرغ علينا صبرا"[٢٩١]، وقوله تعالى:" أرنا مناسكنا"[٢٩٢]، وغيرها مما تعلق بالعلم والمعرفة.

وكثيرا ما يؤدي فعل واحد المعنيين، كما في الفعل (آتى) فمن الحس قوله تعالى: "آتوا الزكاة"[٢٩٣]؛ إذ إيتاء المال الحسي يتضمن جانبا شعوريا من المعطي بالشعور بالرضا، لأنه يطيع الله تعالى، ومن المُعطى لأنه يشعر بقرب الآخر منه، وحرصه عليه. ومن العقل قوله تعالى:" آتنا في الدنيا حسنة"[٢٩٤]. والاختيار

(286) البقرة(٥٣).
(287) البقرة(٥٧).
(288) البقرة(٢٢).
(289) البقرة(٥٠).
(290) البقرة(٢٦٧).
(291) البقرة(٢٥٠).
(292) البقرة(١٢٨).
(293) البقرة(٤٣).
(294) البقرة(٢٠١).

والقصد من المرسل يشمل نوع الرسالة ونمطها الخاص بما يلائم حال المتلقي، فقد تكون لسانية كما في قوله تعالى:"أنبئهم"[٢٩٥]، فالخبر والعلم ينقلان باللسان. وقد تكون بصرية كما في قوله تعالى:" كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا"[٢٩٦]، حيث جاء المثل يقدم صورة بصرية واضحة تعبيرا عن انعدام الرؤية عند المنافقين، أو تكون علاجية كما في قوله تعالى:" يقيمون الصلاة"[٢٩٧]، فالإقامة سلوك عملي مرئي. أو سمعية كما في قوله تعالى:"أأنذرتهم أم لم تنذرهم"[٢٩٨]. ومن الأفعال ما يحمل في طاقاته التعبيرية أكثر من نمط كما في الفعل (آمن) الذي يتضافر فيه القلب واللسان والعمل لأداء معناه.

القرآن كله كلام الله ورسالته، وفي ثنايا هذه الرسالة الكبرى تظهر رسائل صغرى ولها مرسلون، كقوله تعالى:"وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون"[٢٩٩] وفيه يظهر مرسل الخطاب للمفسدين، وهم المؤمنون الذين علموا بإفسادهم، ومثله قوله تعالى: "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس"[٣٠٠]، ومثله قوله تعالى:" وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"[٣٠١]. وهي رسائل تتناول مواقف خاصة تكشف طبيعة الموقف، وتعرض صفات المتلقي، وتخدم الغرض الكبير الذي جاءت في إطاره؛ فالآية الأولى تكشف عن التقاء فريقين نقيضين الأول المرسل وسعيه لإيقاف الفساد، والثاني المتلقي وهم المنافقون وسعيهم للإفساد، والرسالة تؤكد فساد المتلقي وتقدم النصح والوعظ لما بين الفريقين من علاقة قرابة بينهما. وفي الآية الثانية دعوة واضحة في الفعل (آمنوا) موجهة للمنافقين التي تبرز دور المرسل في الدعوة إلى الله بالحسنى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي الآية الثالثة يتضح عناد اليهود وكِبرهم بعد رؤية المعجزات في قولهم :" لن نؤمن لك "[٣٠٢].

---

(295) البقرة(٣٣).
(296) البقرة(٢٠).
(297) البقرة(٣).
(298) البقرة(٦).
(299) البقرة(١١).
(300) البقرة(١٣).
(301) البقرة(٥٥).
(302) البقرة(٥٥).

ثالثا: صيغة (أفْعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي.

المتلقي طرف الخطاب الثاني، وإليه يوجه الخطاب وينتهي، ومن عناصر التقاء المرسل بالمتلقي موضوع الخطاب، ومنها "المكنون المعرفي ويشمل مخزون الفرد المبدع أو المتلقي من المعلومات حول موضوع البناء النصي"(٣٠٣). ومنها "القبول الذي يرتبط بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك"(٣٠٤). وبها يتحقق أثر النص في المتلقي، وتشكل نمط استجابته التي تظهر بأشكال متعددة فمنها: اللساني، ومنها الإنكار، والرفض، والرضى، والقبول. إلى غير ذلك من أشكال الاستجابة النابعة من التواصل مع النص وفهمه والأخذ به.

وأول ما يلاقينا في سورة البقرة ما تناولته في بدايتها من تقسيم الناس تجاه الهدي القرآني إلى أربع فئات من المتلقين، كل منها تلقت النص القرآني بطريقة مختلفة عن الأخرى، وهذا التفاوت في التلقي كان متأثرا بمجموعة من العوامل؛ كالزمان، والمكان، وطبيعة الاعتقاد الديني، وثقافة المتلقي. فالزمان مختص بالزمن الذي سبق الهجرة وما جاء بعدها، وكانت ثماره إقامة دولة إسلامية. والمكان مختص بمكة قبل الهجرة والمدينة بعدها، وما للمدينة من طبيعة خاصة من حيث ساكنيها وما حولها. ثم يأتي ساكنو المدينة والمتفاعلون معهم من حولهم وما لديهم من اعتقاد.

وهناك متلقون من نوع خاص هم أهل الكتاب فالمتلقون للنص القرآني "كانوا قبل الهجرة صنفان بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك التلقي" (٣٠٥). وهما: مؤمنون وكافرون. أما بعد الهجرة فقد صاروا أربعة أصناف: المؤمنون والكافرون والمنافقون وأهل الكتاب. مما جعل دائرة الحدث تتسع باتساع دائرة المتلقين الذين يحمل كل منهم خصوصيته العقلية والنفسية والعقدية. والمكان هو المدينة بعد أن

(303) المسافة بين النظرية والتطبيق، ص٣٥٧
(304) نقلا عن نحو النص، لروبرت دي بوجراند، ص٨٧
(305) نقلا عن حاشية الجواهر الحسان، ص١٧٤.

انتقل المسلمون من أذى كفار قريش إليها حيث اليهود والنصارى بالإضافة إلى القبائل المحيطة بها.

وإذا كنا نتحدث عن المكان فإن لسورة البقرة خصوصية مكانية واضحة فهي السورة الأولى التي نزلت في المدينة مقر الدولة الإسلامية الجديدة، وهي الآن في أطوارها التأسيسية وتحتاج إلى مصدر تشريعي رباني يقيم دعائمها وينظم أمورها. والمؤمنون كما آمنوا بما أُنزل من قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) آمنوا بما أُنزل عليه مواصلين بذلك إيمانهم، فالإيمان عندهم عملية موصولة لا تنقطع ولا تتوقف ولا تنتهي، وكان هذا التلقي ينعكس على أوجه حياتهم اليومية طمأنينة وبذلا وإحساسا بالآخرين، وارتقاء بالحس إلى مراتب عليا بعيدا عن صغائر الدنيا وهم القدوة والمثل وهم الخيرة.

وفئة الكفار المعروفة بعدائها الصريح للدعوة الإسلامية، والتي تلقتها بالإنكار، وكانت استجابتهم متناسبة مع معتقدهم؛ فهم ينكرون وجود إله فكيف يصدقون رسله؟! وهؤلاء "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" (٣٠٦). فإيمانهم ميئوس منه، ولن يتأثروا بالتخويف فإنذارهم وعدمه سواء، ذلك أنهم عطلوا حواسهم عن الفهم السويّ.وفئة المنافقين وهي أشد ضررا وخطرا على المسلمين من الكفار الصرحاء، ذلك أنهم يبدون غير ما يبطنون، وهؤلاء لاقوا الهدي القرآني على هذه الشاكلة ظنا منهم أن إظهار الإيمان وإبطان الكفر يدفع عنهم الأذى من جهة، ويمكنهم من إلحاق الأذى بصفوف المسلمين بطرقهم الخاصة من جهة أخرى، وكشف الله تعالى ألاعيبهم في قوله: "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين" (٣٠٧) . فكان قبولهم وتلقيهم للقرآن لسانيا فقط، في حين أن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

ولم يتوقف تلقيهم عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الإفساد المعبر عن فساد النفوس وانحرافها حيث يقول تعالى:" وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما

(306) البقرة(٦).
(307) البقرة(٨).

نحن مصلحون"[٣٠٨] . ومما جعلهم يتلقون القرآن بهذه الصورة ما فيهم من كبر إذ يرون أنفسهم خيرا من المؤمنين الذين وصفوهم بالسفه:" أنؤمن كما آمن السفهاء"[٣٠٩].

ولإكمال صورة المنافقين جاء النص القرآني يوضحها في صورتين متتاليتين تصوران حالهم من التخبط وعدم الاستقرار من خلال مشهدين الأول في قوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم"[٣١٠]. والثاني في قوله تعالى: "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين"[٣١١]. وفيهما عد بعض المفسرين المشهدين لنوعين من المنافقين لا لنوع واحد، وفي ذلك دقة في الوصف، ودقة في إيضاح النص القرآني لمكنونات النفوس والعقول.

أما الفئة الرابعة فهي أهل الكتاب، واليهود تحديدا الذين احتل الحديث عن جرائمهم ثلث السورة، وكيفية مقابلتهم دعوة موسى عليه السلام وغيره من الرسل، وما هذا العرض المكثف لجرائمهم إلا تقديم لشكل التلقي الذي سيحظى به الهدي القرآني والدعوة المحمدية من قبلهم. وقد تضمن خطابه تعالى بني إسرائيل تذكيرهم بنعمه الكثيرة والمتتابعة عليهم، وتذكيرهم بالكيفية التي تلقوا بها هذه النعم، والتي بدأت بقوله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون"[٣١٢]. وفيه جاء الفعلان (أنعمت) و(أوفوا) و(أوف) تؤكد مصدر النعم وأن ما قدمه الله لهم كان تشريفا وتكريما، كما كان قوله تعالى:"وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به" [٣١٣]. دعوة إلى تلقي القرآن لأنه مصدق للتوراة، فلا يكون إيمانهم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) إلا إيفاء بعهدهم مع الله، وبوصل إيمانهم بالتوراة التي وصفت محمدا ورسالته بإيمانهم بالقرآن.

---

(308) البقرة(١١).
(309) البقرة(١٣).
(310) البقرة(١٧).
(311) البقرة(١٩).
(312) البقرة(٤٠).
(313) البقرة(٤١).

ثم توالت الآيات الكريمة عارضة نعم الله تعالى عليهم ومنها: "فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون"[٣١٤]، ومنها: "وإذ آتينا موسى الكتاب"[٣١٥]، ومنها: " وأنزلنا عليكم المن والسلوى"[٣١٦]، والتي قوبلت جميعها رغم كثرتها بالكفر.

وبتعدد النعم تعددت صور تلقيهم لنعم الله؛ فمرة يحرفون كلام الله:"أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" [٣١٧]. ومرة يمنعون بعضهم من الخوض فيما في كتابهم حول محمد ودعوته: "وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون" [٣١٨]. ومرة يكذبون الرسل ومرة يقتلونهم: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" [٣١٩]. فكان استكبارهم عن قبول الحق دافعا لهم إلى هذه الأنماط من التلقي.

وقد وصل بهم سوء التلقي إلى الافتراء على الله وادعاء أن له ولد: "وقالت اليهود عزير ابن الله"[٣٢٠]. وطلبوا المزيد من المعجزات. وهذا النمط من التلقي يلقي في النفوس الشك في قدرتهم على نشر رسالة الله، لذا كان لا بد من وجود فريق يحسن تلقي كلام الله تعالى ودعوته، ويحسن نشرها.

وهكذا فإن كل عنصر من عناصر أطراف الخطاب الخارجية يفتح عالما أو أكثر من عوالم النص ويشير إلى جانب مهم فيه، بحيث لا تنكشف معالم النص إلا بالكشف عنه وإظهار دوره؛ فالموضوع يشير إلى قضية النص، وغرض الخطاب يتناول القصد منه وأثره، والمتلقي يشير إلى الاستجابة ومدى القبول. وهي معا تسهم في تشكيل العالم الخارجي المحيط بالنص والتي تتبادل معه التأثير والتأثر.

---

(314) البقرة(٥٠).
(315) البقرة(٥٣).
(316) البقرة(٥٧).
(317) البقرة(٧٥).
(318) البقرة(٧٦).
(319) البقرة(٨٧).
(320) التوبة(٣٠).

المبحث الرابع

التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفعل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي.

أولاً: الأشكال التركيبية لصيغة (أفعل) في سورة البقرة

الرموز المستخدمة ومعانيها

الرمز	معناه
ف	فعل
فا	فاعل
مف	مفعول به
مف١	مفعول به أول
مف٢	مفعول به ثان
ض	ضمير
ضس	ضمير مستتر
ضف	ضمير منفصل
ضم	ضمير متصل
ظ	اسم ظاهر
ج	حرف جر
Ø	محذوف
مج	اسم مجرور

بعد رصد الأشكال التركيبية لصيغة (أفعل) في سورة البقرة كانت على النحو الآتي:

الشكل الأول: فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(في)+ مجرور اسم ظاهر

ف + فا(ضم)+ (ج(في)+مج (ظ).

مثالــه قولــه تعــالى: "وإذا قيــل لهــم لا **تفســدوا فــي الأرض** قــالوا إنمــا نحــن مصلحون"(٣٢١).

الشكل الثاني:

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(الباء) + مجرور اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + (ج(الباء) + مج (ظ).

مثاله قوله تعالى: **"يؤمنون بالغيب"**(٣٢٢).

الشكل الثالث:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + مف(ظ)

مثاله قوله تعالى: **"يقيمون الصلاة"**(٣٢٣).

الشكل الرابع:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول أول ضمير متصل + مفعول ثان محذوف

ف + فا(ضس) + مف١(ضم) + مف٢ Ø.

مثاله قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم **أأنذرتهم** أم لم **تنذرهم** لا يؤمنون" (٣٢٤).

الشكل الخامس:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول محذوف

ف + فا(ضم) + مفØ.

مثاله قوله تعالى: **"لا يؤمنون"**(٣٢٥).

الشكل السادس:

فعل + فاعل ضمير مستتر + حرف الجر(اللام) + مجرور ضمير متصل

ف + فا(ضم) + (ج(اللام)+ مج(ضم).

---

(321) البقرة(١١).
(322) البقرة(٣).
(323) البقرة(٣).
(324) البقرة(٦).
(325) البقرة(٦).

مثاله قوله تعالى: "وإذ قلتم يا موسى لن **نؤمن لك** "[٣٢٦].

الشكل السابع:

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(على) + مجرور ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + (ج(على) + مج(ضم) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "**وأنزلنا عليكم المن** والسلوى"[٣٢٧].

الشكل الثامن:

فعل + فاعل ضمير متصل + من حرف الجر(إلى) + مجرور ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + (ج(إلى) + مج(ضم) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "ولقد **أنزلنا إليك آيات** بينات"[٣٢٨].

الشكل التاسع:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ضمير متصل

ف + فا(ضس) + مف(ضم).

مثاله قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا **فأحياكم** ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون"[٣٢٩].

الشكل العاشر:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول ضمير متصل + حرف الجر(الباء) + مجرور اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + مف١(ضم) + مف٢(ج(الباء) + مج(ظ).

مثاله قوله تعالى: "فقال **أنبئوني بأسماء** هؤلاء إن كنتم صادقين"[٣٣٠].

الشكل الحادي عشر:

فعل + مفعول به ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر.

---

(326) البقرة(٥٥).
(327) البقرة(٥٧).
(328) البقرة(٩٩).
(329) البقرة(٢٨).
(330) البقرة(٣١).

ف + مف(ضم) + فا(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"فأزلهما الشيطان** عنها فأخرجهما مما كانا فيه**"**[٣٣١].

الشكل الثاني عشر:

فعل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ظ) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "كذلك **يحيي الله الموتى"**[٣٣٢].

الشكل الثالث عشر:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به ضمير متصل.

ف + فا(ضم) + مف(ضم)

مثاله قوله تعالى: **"فأنجيناكم** وأغرقنا آل فرعون**"**[٣٣٣].

الشكل الرابع عشر:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول اسم ظاهر + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف١(ظ) + مف٢(ظ)

مثاله قوله تعالى: "ولقد **آتينا موسى الكتاب"**[٣٣٤].

الشكل الخامس عشر:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به أول ضمير متصل + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف١(ضم) + مف٢ (ظ).

مثاله قوله تعالى: **"يريكم آياته"**[٣٣٥].

الشكل السادس عشر:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول محذوف + مفعول به ثان محذوف

ف + فا(ضم) + مف١∅ + مف٢ ∅

---

(331) البقرة(٣٦).
(332) البقرة(٧٣).
(333) البقرة(٥٠).
(334) البقرة(٨٧).
(335) البقرة(٧٣).

مثاله قوله تعالى: "إذا سلَّمتم ما **آتيتم** بالمعروف"[٣٣٦].

الشكل السابع عشر:

فعل + مفعول به أول ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به ثان اسم ظاهر

ف + مف١(ضم) + فا(ظ) + مف٢(ظ).

مثاله قوله تعالى: "**آتاه الله الملك**"[٣٣٧].

الشكل الثامن عشر:

حرف الجر(من) + مجرور اسم ظاهر + فعل + فاعل ضمير متصل.

مف ج(من) + مج(ظ) + ف + فا(ضم).

مثاله قوله تعالى: "**ومما رزقناهم ينفقون**"[٣٣٨].

الشكل التاسع عشر:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ضمير متصل.

ف + فا(ضس) + مف(ضم).

مثاله قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات **فأتمهن**"[٣٣٩].

ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (أفعل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي

تعد دراسة السياق اللغوي الأساس في رصد التشكلات الأسلوبية، لأن النص أيا كانت الجوانب الداخلة في إظهاره وإبراز دلالته تظل اللغة هي مادته الخام. وفي هذا الإطار سأبين تضافر العناصر اللغوية ومن بينها صيغة (أفعل) في سورة البقرة في صناعة المعنى والدلالة، وهي صيغة من نمط خاص بما تقدمه من معنى، وبما تكونه من تركيب، وهما يشكلان معا نمطا إبلاغيا إيصاليا تدور في فلكه العناصر الخارجية، ويلتقي حولها طرفا الخطاب، ولا أقصد بالالتقاء الاتفاق، بل وجود مادة

([336]) البقرة(٢٣٣).
([337]) البقرة(٢٥١).
([338]) البقرة(٣).
([339]) البقرة(١٢٤).

لغوية مشتركة تجمع الطرفين، وعندها يكون الاتفاق أو الاختلاف التقاء، لأن النص أوجد نواة حوارية، وأوجد تفاعلا، وشكل استجابة، وفيما يلي دراسة في السياق اللغوي لآيات كريمة من سورة البقرة، وردت فيها أفعال على صيغة (أفعل) تظهر تفاعلها مع عناصر البناء اللغوي حولها وتآلفها وانسجامها.

في قوله تعالى:" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" (٣٤٠). الذي عنون للسورة ومحتواها، لتكرر الأفعال الثلاثة الواردة فيها في أنحاء متفرقة من السورة، فكانت هذه الآية الكريمة بمنزلة افتتاحية منتقاة جاءت بعد تعظيم أمر القرآن الكريم وإثبات إعجازه في قوله تعالى:" الم". إذ " افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم و واطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم" (٣٤١). وهم بهذه الصفات يتصدرون المكانة ويتقدمون بالذكر.

وبدأت الآية بالاسم الموصول (الذين)، الذي يشير إلى صلته بالقول السابق وهو(المتقين) فمن كان تقيا كانت هذه صفاته وأفعاله فالقول الذي سيلي (الذين) هو من أفعال المتقين؛ فالاسم الموصول يصل المعنى و الفكرة ويفتح الآية الكريمة على سابقتها وإن بدتا منفصلتين. واليقين: "أعلى درجات العلم، وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك وهو استقرار العلم و ارتفاع الريب في مشهد الغيب" (٣٤٢). وهذا المعنى يرتبط مباشرة بالمعنى في "يؤمنون بالغيب"، وهو المعنى الذي تصدر وافتتح السورة الكريمة في الخطاب الموجه لمجتمع الإيمان ودولة الإيمان الناشئة حديثا، والإيمان يشمل كل عمل صالح، فالإيمان فعل وحدث يتضمن القول اللساني و الشعور القلبي و العمل البدني، ومما يؤكد هذه الجملة من المعاني المتضمنة في فعل واحد تعديته بالباء في "بالغيب" التي تدل على الإيمان باللسان والقلب في حين أن تعدية الفعل (آمن) باللام (آمن له) تدل على تصديق القول لسانا لا قلبا و الموقف الذي نتحدث عنه موقف يحتاج إلى إيمان قلبي خالص يؤسس لاعتقاد راسخ.

---

(340) البقرة(٣).
(341) الكشاف، ج١، ص١٧.
(342) من حاشية المحرر الوجيز، ص١٤٩.

كما جاء لفظ المُتَعدَّى إليه أيضا دالا على هذا المعنى القلبي وهو "الغيب" وهو ما غاب عنه الحس، وهذه الزيادات المتتابعة ابتداء من زيادة الهمزة إلى أول الفعل (آمن)، ثم دخول الباء على المفعول به، و الحاجة إلى وجود مفعول به كلها أوجدت معنى جديدا للتصديق في الفعل (آمن) وهو الاعتراف و الوثوق، ثم إن لفظة "الغيب" لا يقتصر معناها على شيء واحد مفرد، بل تفتح الباب على عالم الغيبيات الرحيب، ومن هنا قال أبو حيان الأندلسي: "وتفسير الإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، و القدر خير وشره، و إياه نختار لأنه شرح حال المتقين بأنهم الذين يؤمنون بالغيب"(٣٤٣). ففي اختيار لفظة "الغيب" مفعولا اختزال لغوي وتكثيف دلالي واضح بما تنطوي عليه هذه المفردة من غيبيات كثيرة.

كما أنها في جانب آخر من جوانبها تربط النص القرآني بالكتب السماوية السابقة، ومنها التوراة، إذ إن الغيب يعني من ضمن ما يعنيه ما أخبرت به الشرائع السابقة، مما يفتح النص القرآني على عوالم أخرى؛فالقرآن والكتب السابقة تشترك في أن مصدرها واحد، ويلزمها إيمان قلبي واضح للوثوق بها وإقرارها. ولماذا الإيمان "بالغيب"دون سواه؟ لأن الإيمان بالغيب أعلى درجات الإيمان، ومن آمن به آمن بما دونه ولأن "الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لايدرك إلا ما تدركه الحواس إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيِّز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس"(٣٤٤). يضاف إلى ذلك ما يتركه الإيمان بالغيب من أثر على حياة الإنسان وسلوكاته الظاهرة منها و الباطنة، التي منطلقها الشعور بالرقابة الإلهية المستمرة. والفاعل في (يؤمنون) يقوم بالفعل اختيارا وقصدا، فهو مؤثر وله دور.

والمعنى الإيماني الكبير في: "يؤمنون بالغيب" هو الأساس الذي تتفرع منه فروع أخرى ومنها: " ويقيمون الصلاة"(٣٤٥). ووجود حرف العطف (الواو) يؤكد

(343) البحر المحيط، ج١، ص٦٨.
(344)قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٤م، م١، ج١، ص٤٠.
(345) البقرة(٣).

الصلة والرابطة بين الجملتين الفعليتين، وهذا يجعل المعنى مستمرا، فالإقامة عمل قائم على الثبات والاستمرار، ودعم هذا المعنى صيغة المضارعة، ومن آمن بالغيب أدى ما عليه من عبادات وأهمها إقامة الصلاة، وإقامة الصلاة التعبير العملي الصادق عن الإيمان بالغيب؛ فالمؤمن يتوجه في صلاته لرب لم يره لكنه يؤمن بوجوده، ويتلقى رسالة رسوله وكتابه ويطبقها.

وينبثق عن الإيمان فرع آخر هو:" ومما رزقناهم ينفقون"[٣٤٦]. " والرزق ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم يسد بها ضروراته. والإنفاق إعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس والأهل والعيال " [٣٤٧]، فالإنفاق يحقق واحدة من أهم غايات الشريعة، وهي شمول المنفعة المالية ودوران المال، ويظهر الجانب الإيماني في أن المال من عند الله رزقه عبده، والإنفاق مع الإيمان والإقامة يكمل صور الإيمان وخصاله، وهو الإيمان الذي يحيط بجوانب الحياة القلبية والبدنية والمالية، إذ " الإيمان بالغيب حظ القلب، وإقام الصلاة حظ البدن، ومما رزقناهم ينفقون حظ المال" [٣٤٨]. كما ارتبطت الأفعال الثلاثة في الآية الكريمة برابط زمني، حيث جاءت كلها مضارعة، وتدل على الاستمرار والتجدد، وترتبت في الآية ترتيبا له دلالة خاصة،"فالإيمان بالغيب لازم للمكلف دائما، والصلاة لازمة في أكثر الأوقات، والنفقة لازمة في بعض الأوقات" [٣٤٩].

وفي قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٣٥٠]. وصف لحال فئة ثانية هي فئة الكفار، وعنوانها انعدام الإيمان (لا يؤمنون) بحال، يؤكد ذلك (إن) أداة التوكيد. وكفرهم قديم لا يتغير أظهرته صيغة الفعل الماضي في (كفروا). والإنذار: التخويف من عذاب الله تعالى، ويدل على قيام المنذر بمحاولات سابقة للإنذار، الذي يشكل مرحلة متقدمة تتطلب الإيمان والخشية حتى يؤتي الإنذار ثماره، ولما كانت قلوب الكفار قاسية متحجرة فما عاد ينفع معها التخويف ولا تستجيب بحال، لذا لن تنتفع بما هو أقل ترهيبا من الإنذار ومن هنا

(346) البقرة(٣).
(347) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٣٤.
(348) الجامع لأحكام القرآن، م١، ج١، ص١٧٥.
(349) البحر المحيط، ج١، ص٦٩
(350) البقرة(٦).

جاءت همزة التسوية تساوي بين وقوع الإنذار وعدمه. والفعل(أنذر) فعل يتعدى إلى مفعولين، الثاني محذوف لدلالة المعنى في (أنذر) عليه. أي: أنذرتهم العذاب. ولمَّا كانوا ميئوسا من إيمانهم جاء الحديث عنهم في آيتين فقط.

وفي قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون" [٣٥١]. الذي جاء في وصف المنافقين، وعنوانهم: إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهذه الآية توضح طرفا من أفعالهم، حيث ارتبطت الآية بسابقاتها بحرف العطف (الواو). و(إذا) للظرفية وللماضي، والظرفية تقدم موقفا دقيقا وحالة خاصة من حالات تعامل المنافقين مع المؤمنين، والقائل في (قيل) "من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقرابة أو صحبة" [٣٥٢]. وصيغة المبني للمجهول في (قيل) تسلط الضوء على صفة القائل وفعله لا شخصه، وهي الستر وخلوص النصيحة والإرشاد، وهم بذلك يقتدون برسولهم (صلى الله عليه وسلم) في التغاضي عن زلاتهم، لذا كان الحديث خاصا (لهم) على أمل الإصلاح.

وقول المؤمنين للمنافقين: "لا تفسدوا" يدل على أن المؤمنين كانوا متأكدين من إحداثهم الفساد. والإفساد في الأرض: المعاصي التي يطال أثرها الآخرين، وهذا يبين خطورة وجودهم بين صفوف المؤمنين، لأنهم يتعمدون إيقاع الفتنة وإيصالها للآخرين، وهو سبب رئيس لنفاقهم. والنفي في :"لا تفسدوا" يؤدي معنى العموم، ساعده في ذلك حذف متعلق (تفسدوا) فهو "تأكيد للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي"[٣٥٣]. ومن معنى العموم نلمس أنهم لا يفوتون فرصة في إفساد أي شيء؛ فهم يفسدون أنفسهم بنفاقهم وإصرارهم عليه، ويفسدون أبناءهم والناس والمجتمع حولهم، و(في الأرض) دعمت معنى العموم، إذ الإفساد يقع في بقعة محددة من الأرض، لكنه تعالى قال:"في الأرض". "لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث، ولأن وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها"[٣٥٤]. وتفسير ذلك أن "الأرض متى

(351) البقرة(١١).
(352) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٨٤.
(353) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٨٥
(354) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٨٥.

كثـرت معاصــي أهلهــا وتــواترت، قلــت خيراتهــا ونزعــت بركتهــا ومنــع عنهــا الغيث"[٣٥٥].

والأرض عليها البشر والحيوان والنبات، والفساد سينالها جميعا، يقول الله تعالى:"وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد"[٣٥٦]. فهذه الأرض التي منها وفيها مادة الحياة للبشر وسائر المخلوقات، الأصل أن تكون محلا للإصلاح لا محلا للإفساد.

ويأتي رد المنافقين على من قال لهم:"لا تفسدوا في الأرض": "إنما نحن مصلحون". وهو رد يدل على جهل وكذب، وألسنتهم تنطق بمذمتهم "فإن هذا الجواب الصادر من المفسدين لا ينشأ إلا عن مرض القلب وأفن الرأي"[٣٥٧]. وهو ما أكده تعالى بقوله:" في قلوبهم مرض"[٣٥٨]. " لأنَّ شأن الفساد أن لا يخفى ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد الإيقاظ إليه والموعظة إفراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل"[٣٥٩]. وهذا يفسر مجيء الظرف (إذا) في بداية الآية الكريمة، إذ تظهر مذمتهم وقبح جوابهم حين يقولونه ردا على من قال لهم: "لا تفسدوا" فهو موضع تعجب من حالهم حينها. وقول المنافقين: "إنما نحن مصلحون" بدأ بإنما وهي لقصر الموصوف على الصفة، واختير التركيب الاسمي: "نحن مصلحون" الدال على الثبات؛ ففي الوقت الذي كان اتهام المؤمنين لهم في "لا تفسدوا" جملة فعلية دالة على التجدد والاستمرار في صيغة المضارعة، جاء جوابهم جملة اسمية وهي قول لا دليل عليه، ولا يؤكده فعل وهذا دليل على كذبهم، وهو ما أخبرنا به تعالى في الآية السابقة: "بما كانوا يكذبون"[٣٦٠].

وفي إطار وصف المنافقين، نجده تعالى، بعد أن فصل الحديث في صفاتهم، خصص لتوضيح حالهم مثلين في قوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما

---

(355) البحر المحيط، ج١، ص١٠٧.
(356) البقرة(٢٠٥).
(357) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٨٣.
(358) البقرة(١٠).
(359) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٨٣
(360) البقرة(١٠).

أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" [٣٦١]. والمثل: هو المِثل والنظير، والقصد من استخدام المثل في وصف حال المنافقين التأثير في القلوب، وإعطاء الصورة الحقيقية الدقيقة لهم "لأن الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل" [٣٦٢]. يقول تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"[٣٦٣]. و(الذي) اسم موصول للمفرد المذكر، والمنافقون جماعة وهم المقصودون بالذي استوقد، وإفراد (الذي) هدفه وصف حال كل منافق بحال المستوقد.

والاستيقاد: طلب إيقاد النار الذي يدل على السعي، وجاءت (نارا) نكرة مفردة لتصف حال المنافقين من قلة النور المتحصل لهم، والمقصود عدم تقيدهم بنور الإسلام، و(الفاء) في (فلما) للتعقيب وقد عطفت جملة الشرط على جملة الصلة. والفعل (أضاءت) وهو بؤرة الآية الكريمة يأتي لازما ومتعديا وهنا جاء متعديا وهو الأصل، والتقدير "فلما أضاءت النار المكان الذي حوله"[٣٦٤]. جاءت المفاجأة: "ذهب الله بنورهم". والمعنى:"فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار" [٣٦٥]. والباء في (بنورهم) للتعدية وهي تؤكد ذهاب نورهم. وقال تعالى:"بنورهم" ولم يقل: بضوئهم ذلك أن "إذهاب النور أبلغ من إذهاب الضوء لاندراج الأخص في نفي الأعم" [٣٦٦]. كما أن المقصود إذهاب النور عنهم أصلا وجاء الضمير (هم) مضافا إلى (نور) في: (بنورهم) لانتفاعهم بنور تلك النار، وكلمة (نور) مفردة لتدل على قلة انتفاعهم بهدي الإسلام.

---

(361) البقرة (١٧)
(362) البحر المحيط، ج١، ص١٢٢.
(363) العنكبوت(٤٣).
(364) البحر المحيط، ج١، ص١٢٨.
(365) السابق، ج١، ص١٢٩.
(366) السابق، ج١، ص١٣١..

وقوله تعالى: "وتركهم في ظلمات لا يبصرون"[٣٦٧]، عبرت عما ينتهي إليه حال المنافق من فقد البصر والبصيرة وأكد هذا الجمع في (ظلمات) التي أبدت حالة التأزم وشدة التخبط والحيرة والخيبة. و(ظلمات) نكرة اختصرت اللفظ بدل: ظلماتهم، ودلت على جهلهم بنتائج ما يفعلون. وبذا فإن التشبيه كشف ما عندهم من تضاد بين إيمان جميل يظهرونه، وكفر قبيح يخفونه. وفي جمع (ظلمات) ارتباط بما مر من أحوال المنافقين، التي يصلح كل منها أن يُشبَّه ويُوصَف بالظلمة وهي: الكفر: "وما هم بمؤمنين"[٣٦٨]، والكذب: "إنما نحن مصلحون"[٣٦٩]، والاستهزاء بالمؤمنين: "إنما نحن مستهزئون"[٣٧٠]، يضاف إليها ما تجره هذه الظلمات من آثار. وقوله تعالى:"لا يبصرون" تُصوِّر حالة انطفاء النور بعد استضاءته. ووجود الفعل في حيز النفي يدل على العموم، وحذف مفعول (يبصرون) يؤكد عموم نفي المبصرات التي توضحها: "ذهب الله بنورهم".

أما المغايرة بين الضمائر من المفرد في (حوله) والجمع في (بنورهم) و(تركهم) بدل (بنوره) و(تركه)، فهو مؤذن بالانتقال من التشبيه إلى الحقيقة، وفيه إيجاز في التعبير عن إذهاب الله نور الإيمان من قلوب المنافقين، "كأنه قيل: فلما أضاءت ذهب الله بنوره فكذلك ذهب الله بنورهم، وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله، فهو من أساليب الإعجاز" [٣٧١]. والمثل الثاني الذي ضربه الله تعالى للمنافقين في قوله تعالى:"أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق" [٣٧٢]. وتم بيانه في الآية التالية: "يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير" [٣٧٣].وفيه تعود الإضاءة والإظلام مجددا لتبين عجيب حال المنافقين، وتكشف حالة خاصة في سعيهم الحثيث لاقتناص الفرص وعدم تفويتها مهما كان وهو معطوف على المثل السابق (بأو)، ولكنه تمثيل يحمل أوصافا أخرى، بدليل (أو) دون (الواو).

---

(367) البقرة(١٧).
(368) البقرة(٨).
(369) البقرة(١١).
(370) البقرة(١٤).
(371) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٣٠٩.
(372) البقرة(١٩).
(373) البقرة(٢٠).

ويصف المنافقين في تنازعهم جواذب الخير والشر بصورة السماء: "فيه ظلمات ورعد وبرق" وما فيها من أكدار، وفي الآية العشرين وهي موضوع الحديث نجد توضيحا بدأ بقوله تعالى: "يكاد البرق يخطف أبصارهم" الذي يظهر أثر البرق على أبصارهم، والمقصود بالبرق حجج القرآن الواضحة التي تبهرهم، و"يكاد البرق يخطف أبصارهم " وضَّحت جزعهم من آيات الوعيد بحال السائرين في ليلة مظلمة شديدة، وحاجتهم للضوء الذي يظهر القليل منه ثم ينقطع.

و(كلما): كل ظرفية اتصلت بما المصدرية، و(كل) تفيد العموم، وتبين شدة حرص المنافقين على ترصد الإضاءة والسعي للمشي فيها، فلا يضيعون فرصة تمكنهم من استمرار المشي في أجواء تسودها الظلمة، كما أن (كل) تفيد التكرار كلما واتتهم الفرصة. "وأضاء عند المبرد هنا متعد: كلما أضاء لهم البرق الطريق" [٣٧٤]. وفي :"وإذا أظلم عليهم قاموا" تسهم (واو) العطف في إفادة التكرار المستفاد من(كلما)، "لأنهم حِرَاصٌ على وجود ما هممهم به معقودة من إمكان المشي وتَأتِّيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها"[٣٧٥]. فالتكرار في:"كلما أضاء لهم مشوا فيه"، يرافقه تكرار في: "وإذا أظلم عليهم قاموا"، فالإضاءة تمنحهم فرصة الفعل، والإظلام يمنعهم منها. "قال الزمخشري: وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين، بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون" [٣٧٦]. فهم خابطون في حالين ضدين ، وفي هذا العرض دعوة لهم للكف عن نفاقهم الذي كشفه الله تعالى، فالفرصة للعودة والتوبة قائمة. وفي:" ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم" تهديد ووعيد، نلمسه في قوله أيضا:"والله محيط بالكافرين"، وفيه تذكير بقدرة الله تعالى ومشيئته.

وبالعودة إلى مفردات المثل نجدها إما من متعلقات السمع أو البصر؛ فمن متعلقات السمع: الرعد والصواعق، ومن متعلقات البصر: البرق والظلمات، لذا جاء قوله تعالى: " ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم" متلائما مع هذه الحواس،

---

(374) البحر المحيط، ج١، ص١٤٧
(375) السابق، ج١، ص١٤٨.
(376) السابق، ج١، ص١٤٩.

ونجده منبها على وجه الشبه "وتقريرا لقوة مشابهة الزواجر وآيات الهدى والإيمان بالرعد والبرق وحصول أثري النفع والضر عنهما" [٣٧٧]. وقوله: "إن الله على كل شيء قدير" تأكيد للتهديد والوعيد، ومزيد من توضيح قدرة الله إرادته، "وإبلاغا لهم وقطعا لمعذرتهم في الدنيا والآخرة" [٣٧٨].

والمثلان جاءا لتتميم البيان في وصف المنافقين وصفين مختلفين كما يرى ابن عاشور: فالتمثيل الأول الناري"تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر فوجه الشبه في ظهور أمر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به" [٣٧٩]. أما المثل الثاني المائي فتمثيل "لحال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسماعهم آيات البشارة. في حين "ذهب ابن جرير رحمه الله إلى أن المثلين كلاهما مضروب لصنف واحد من المنافقين" [٣٨٠]. وأرجح أن يكون المثلان لصنفين مختلفين، يؤيد ذلك استخدام حرف العطف (أو) بين المثلين، ومادة المثلين مختلفة فالأول ناري والثاني مائي، وبداية حدوث الأول الأرض والثاني السماء، ووجود فعلين مزيدين متضادين: أضاء وأظلم .

وفي قوله تعالى: " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون" [٣٨١]. الذي جاء في حق الذين خُوطِبوا بقوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم"[٣٨٢]. وذكر تعالى بعدها عددا من مظاهر قدرته، مثل: بسط الأرض، ورفع السماء، وإخراج الثمرات. وحذر تعالى من جعل شركاء له، فتعين الخطاب في الآية: "كيف تكفرون" أن يكون موجها للمشركين لا لليهود؛ "لأن اليهود لم يكفروا بالله ولا أنكروا الإحياء الثاني" [٣٨٣]. وكان الانتقال من خطاب الناس في:"يا أيها الناس اعبدوا ربكم" وهم اليهود. إلى خطاب المشركين

---

(377) التحرير والتنوير، ج١، ص٣٢٠.
(378) السابق، ج١، ص٣٢٣.
(379) التحرير والتنوير، ج١، ص٣١٢.
(380) من حاشية المُحرر الوجيز، ج١، ص١٨٩.
(381) البقرة(٢٨).
(382) البقرة(٢١).
(383) التحرير والتنوير، ج١، ص٣٧٣.

في: "كيف تكفرون بالله" انتقالا بديعا لأن "العلل التي قرن بها الأمر بعبادة الله هي العلل التي قرن بها إنكار ضد العبادة وهو الكفر"[٣٨٤].

و(كيف) اسم استفهام يدل على حالة خاصة، ودل هنا على التعجب والإنكار؛ فبعد ذكر عدد من الدلائل الظاهرة الدالة على قدرة الله تعالى وتصرفه في خلقه، وهو تعالى الذي يرجع الخلق إليه في النهاية من غير اللائق أن يكفر به " والإنكار بكيف إنكار لحال الفعل، وإنكار حاله إنكار لذاته؛ لأن ذاته لا تخلو من حال يقع فيها فاستلزم إنكار الحال إنكار الذات ضرورة وهو أبلغ" [٣٨٥]. وتوجيه الإنكار للمخاطب أبلغ من توجيهه للغائب، وفي هذا الإنكار قطع لحجة المخاطب وإلزامه بإظهار دواعي الكفر، حتى إذا لم يأت بشيء كان حقه الوعيد.

و"تكفرون" فعل مضارع، والكفر جحود النعمة "وهو الحجب والتغطية لأن جاحد النعمة قد أخفى الاعتراف بها" [٣٨٦]. والكفر بصيغة المصدر جاء لمعنى الإشراك بالله في القرآن الكريم، وهذا يؤكد توجه الخطاب في الآية الكريمة للمشركين تحديدا. وصيغة المضارعة في "تكفرون" تدل على استمرارهم فيه وهو موضع الإنكار والتعجب "أي إن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفيا لا تركن إليه النفوس الرشيدة لوجود ما يصرف عنه" [٣٨٧]. وصيغة المضارعة في "تكفرون" توجه الخطاب تحديدا لمن وصله الخطاب وما زال كافرا، ويخرج منه من كان كافرا وآمن.

"وكنتم" الواو للحال، وقد دخلت على جميع الكلام بعدها تحكي قصة الخلق وحال المخلوقين، وما سيحدث لهم وما سيؤول إليه مصيرهم؛ فكلمة "أمواتا" تدل على حالهم قبل الخلق، و(الفاء) في "فأحياكم" عاطفة للتعقيب الدال على القدرة، "فلا نعمة أعظم من نعمة الاختراع ثم نعمة الاصطناع وقد شمل النعمتين قوله تعالى: "وكنتم أمواتا فأحياكم"[٣٨٨]. الذي يتَضمَّن أيضا معنى رعاية الله تعالى وعنايته بخلقه والإحسان إليهم، مما يستدعي شكره تعالى. وجاء حرف العطف(ثم)

(384) السابق، ج١، ص٣٧٣.
(385) البحر المحيط، ج١، ص٣٠٩.
(386) التحرير والتنوير، ج١، ص٣٧٤.
(387) السابق، ج١، ص٣٧٤.
(388) البحر المحيط، ج١، ص٢١٠.

الدال على المهلة، مهلة الحياة قبل الموت الذي يعرفه الخلق كلهم، ثم يتكرر الحرف بمهلة ثانية إلى أن "يحييكم" الثانية، ويتكرر مرة ثالثة حتى يأتي موعد:"ثم إليه ترجعون" الدال على النشر والحشر، وهو أمر لا يملكون فيه لأنفسهم شيئا، وفيه ترغيب ووعيد يرد المسيء ويزيد المحسن إحسانا.

وقوله تعالى:" وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" (٣٨٩). وهو معطوف على قوله تعالى:"إني أعلم ما لا تعلمون" (٣٩٠). وهو عطف المفصل على المجمل. ففيها تفاصيل مشيئة الله تعالى في خلق آدم واستخلافه في الأرض، وفيها يتحدد السبب الذي جعل آدم عليه السلام أهلا للخلافة دون الملائكة، وهذا التفضيل يظهر في الفعل (علَّم)، وفيه اختصاص واعتناء رباني، ويظهر التكريم بذكر اسمه صراحة:"علَّم آدم". و"الأسماء" جمع اسم وهي مادة التعليم " وهو في اللغة لفظ يدل على معنى يفهمه ذهن السامع، فيختص بالألفاظ سواء أكان مدلولها ذاتا وهو الأصل الأول، أو صفة أو فعلا" (٣٩١).

وقد اختلف المفسرون بالمقصود من الأسماء وكيفية التعليم، لكنه مهما كان المقصود منها وأيا كانت طريقة التعليم فإن المراد إظهار فضل آدم بهذا العلم. وإذا كانت اللغة والكلام مجالاً لتفضيل البشر على الملائكة، فإنها مجال لتفاضل البشر على بعضهم "هل يستوي الذين يعلمون الذين لا يعلمون" (٣٩٢). واللغة والألفاظ هي الأساس في نشأة العلوم "فإذا نظرت إلى المعارف كلها وجدتها وضع أسماء لمسميات، وتعريف معاني تلك الأسماء وتحديدها" (٣٩٣).ومجيء الأسماء جَمْعاً يدل على الكثرة والشمول يؤكده كلمة (كلها) الدالة على الشمول أيضا، مما يؤكد أن العلم الذي تعلمه آدم من الله تعالى كان عظيما. و(ثم) حرف عطف للمهلة "وهي مدة تلقين الأسماء لآدم" (٣٩٤). أي المدة الفاصلة بين التعليم إلى حين العرض، والقصد

---

(389) البقرة(٣١).
(390) البقرة(٣٠).
(391) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤٠٨.
(392) الزمر(٩).
(393) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤١٠.
(394) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤١١.

من هذه المدة أن يثبت العلم ويتحقق في قلب آدم. وبعدها "عرضهم" أي عرض المسميات، ويرجح أن المقصود المسميات لا الأسماء أمران: الأول: استخدام الفعل (عَرَضَ)، فالمسميات تُعرَض أما الأسماء فلا "لأن العرض إظهار الذات بعد خفائها"[٣٩٥]. والثاني: استخدام الضمير(هم) الدال على العقلاء. وبعد العرض يوجه الله تعالى خطابه للملائكة في:"فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء" الذي بدأ (بالفاء) العاطفة الدالة على التعقيب؛ فالمهلة التي أعطاها الله تعالى لآدم لم يعطها للملائكة، وكان القول(أنبئوني) "فلما لم يتقدم لهم تعريف لم يخبروا" [٣٩٦].

والأمر في (أنبئوني) أمر تعجيز لا تكليف، وفيه ظهر عجزهم وقوة آدم، قوة العلم التي تؤهله للقيادة والخلافة في الأرض. وقوله تعالى:"إن كنتم صادقين" يعيدنا إلى بداية القصة والحوار بين الله تعالى وملائكته. والصدق هنا مرتبط بأمرين هما: "إن كنتم صادقين في عدم جدارة آدم بالخلافة" [٣٩٧]. وهو الوارد في قوله تعالى:"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" [٣٩٨]. وصدقهم في أنهم أفضل من آدم وهو الوارد في قوله تعالى:" ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" . فكان عدم قدرتهم على الإنباء دليلا واضحا على أن ما عند آدم من علم وكرامة هو خلاف ما ظنوه.

يضاف إلى ذلك أن تقييد الشرط بالصدق في:"إن كنتم صادقين" يدل على عدم جواز اجتهاد الملائكة في الإنباء، في حين لو لم يقيد بالصدق لجاز اجتهادهم لأنهم معصومون عن الكذب، فكلمة(صادقين) كانت حاسمة لذا قالوا لله تعالى:"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" [٣٩٩]. وفيه يقول أبو حيان: "فانظر إلى حسن هذا الجواب، كيف قدموا بين يديه تنزيه الله ثم اعترفوا بالجهل، ثم نسبوا إلى الله العلم والحكمة"[٤٠٠]. وجاءت بقية القصة في قوله تعالى: "قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب

(395) السابق،م١، ج٢، ص٤١٢.
(396) السابق، م١، ج٢، ص٤١٢-٤١٣.
(397) السابق، نفسه.
(398) البقرة(٣٠).
(399) البقرة(٣٢).
(400) البحر المحيط، ج١، ص٢٣٩.

السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" [٤٠١]. ومجيء الفعل (قال) يدل على ترتيب الأحداث والمعاني، ثم يوجه الله تعالى خطابه لآدم: " يا آدم" والنداء "للتنويه بشأن آدم وإظهار اسمه في الملأ الأعلى حتى ينال بذلك حسن السمعة مع ما فيه من التكريم عند الآمر" [٤٠٢].

والتكريم الثاني في قوله "أنبئهم بأسمائهم" الذي تبدو فيه آثار العناية الإلهية بالتعليم المفيد، و(أنبأ) فعل يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه وهو الضمير المتصل (هم) والعائد على الملائكة بإجماع، والثاني بحرف الجر (الباء) "بأسمائهم" وفي الفعل (أنبأ) من آثار العناية الربانية ما يبدو جليا بإقامة آدم عليه السلام مقام المعلم المفيد، وإقامة الملائكة مقام المتعلم المستفيد، ولما علم الله آدم وأعطاه المهلة أنبأ عن قدرة الله فيه "فلما أنبأهم بأسمائهم" على وجه التعقيب الوارد في (الفاء).

ونستشعر أهمية الإنباء بتكرير الفعل في: "أنبئوني بأسماء" و"أنبئهم بأسمائهم" و"أنبأهم بأسمائهم" وأهمية عناصر الفعل، التي تصب في ضرورة تحصيل العلم وإفادة الآخرين؛ إذ به تتحقق حكمة استخلاف آدم في الأرض. "فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ظهرت فضيلته عليهم فقال تعالى: "ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات"[٤٠٣]. وهو ما سبق في قوله تعالى: "إني أعلم ما لا تعلمون". والهمزة في (ألم) استفهام للتقرير، و(اللام) في (لكم) للتبليغ، و(إني) للتأكيد، والفعل (أعلمُ) جاء مضارعا، واختص تعالى من علمه هنا: "غيب السماوات والأرض" لأن الملائكة رغم قربهم من الله تعالى لم تَعْلَمه ولم تَعْرفه، وفيه رد على استفهام الملائكة: "أتجعل فيها من يفسد فيها"، وفيه لفت إلى ضرورة إطاعة الله فيما يأمر دون معرفة الحكمة. إذ "كان الامتثال والتسليم بغير تعجب ولا استفهام أليق بمقامهم لطهارة ذواتهم وكمال صفاتهم" [٤٠٤].

وفي تكرير الفعل (أعلمُ) زيادة للبيان، وتأكيد لعلم الله الذي لا يطاله عالم إلا بما شاء، فالله تعالى يعلم ما يبدي الملائكة من الطاعة، وما يكتمون من دعواهم في

---

(401) البقرة(٣٣).
(402) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٤١٧.
(403) البحر المحيط، ج١، ص٢٤٠.
(404) السابق، ج١، ص٢٤١

أنفسهم أنهم أجدر من آدم، وجاء الفعل (تبدون) مضارعا دالا على استمرار العبودية والطاعة، في حين جاء (كنتم تكتمون) بصيغة الماضي وهي ادعاء الأفضلية على آدم التي ثبت ضدها.

وفي إطار قصة خلق آدم وإظهار فضله، تطالعنا قصة أخرى هي قصة آدم عليه السلام مع إبليس وإخراجه من الجنة في قوله تعالى: "فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين"[٤٠٥]. فبعد تعليم الله تعالى آدم، واستحقاقه التفضيل وتهيئته للخلافة، أمر تعالى الملائكة بالسجود له ففعلوا إلا إبليس: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"[٤٠٦] وكان هذا الرفض مؤذنا بعداوة مقيمة بين آدم وإبليس الذي أخرجه من الجنة.

حيث (أزلَّهُما) وهو فعل متعد بزيادة الهمزة، ومعناه: حمل آدم وحواء على الوقوع في الزَّلَّة، وهذا المعنى أفادته همزة التعدية. وفي وجود (الفاء) مع الفعل (أزَلَّ) وهي للعطف والتعقيب. وفي التعقيب ما يدل على السرعة في استجابة آدم لوسواس الشيطان. والزَّلَّة " فيها خروج فاعلها عن طريق الاستقامة وبعده عنها"[٤٠٧]. وفي فعل الشيطان الإزلال إشارة إلى الأساس الذي سيتعامل فيه مع آدم وذريته.

و(عنها) قيل: المقصود الشجرة، وقيل الجنة أي: أذهبهما عنها وأبعدهما.والزلل حالة، ولنا أن نتصور بذكره حالة أخرى سابقة وهي حالة الثبات، وبالتالي فإن الزلل تغيُّر الحال من سعادة إلى شقاء؛ فسعادتهما وجودهما في الجنة وشقاؤهما خروجهما منها، وفي هذا ما يُربي نفوس البشر على ضرورة طاعة الله وامتثال أوامره وعدم مخالفتها باتباع خطوات الشيطان، وإلا فإن حالهم ستتغير كما تغيرت حال أبيهم آدم، ولما وقعا في الزَّلَّة كانت النتيجة: "فأخرجهما مما كانا فيه". وفي هذه الجملة ما يدل على النعيم الذي كانا يعيشانه. و(فاء) العطف للتعقيب تدل

(405) البقرة(٣٦).
(406) البقرة(٣٤).
(407) البحر المحيط، ج١، ص٢٦٠.

على سرعة تغيير الحال التي تلائم سرعة الوقوع في الزَّلَّة. و(أخرج) فعل مزيد بهمزة التعدية وهو هنا بصيغته هذه يؤكد الفعل (فأزلهما) فكلاهما اتصلت به (فاء) العطف والتعقيب. وكلاهما على وزن (أفعل) وكلاهما اتصل به الضمير(هما) العائد على آدم وزوجه، وهو تفريع عن الإزلال "كان هذا التفريع تفريع المفصل عن المجمل"(٤٠٨).

وفي: "مما كانا فيه" جاء الاسم الموصول وصلته تعبر عن عظمة ما كانا فيه من النعيم، ثم تأتي الإرادة الربانية في قوله تعالى: "وقلنا اهبطوا" والقائل هو الله تعالى، و الضمير(نا) في (قلنا) للعظمة، و(اهبطوا) هبوط من الجنة، والهبوط: نزول وانحطاط من رتبة عليا إلى أخرى دنيا، وفي هذه الآية الكريمة ترى أن اسم (آدم) لم يرد فيها كما في الآيات السابقة حيث نوَّه به تعالى في: "علَّم آدم" و: "قال يا آدم أنبئهم" و: "يا آدم اسكن". وهنا لم يذكره لأن الموقف مرتبط بمخالفة أمر الله، ونتج عنه انحطاط رتبته فلا مكان للتنويه بذكره.

و(اهبطوا) فعل أمر وهو أمر تكليف تنفيذا لإرادة الله تعالى في قوله: "إني جاعل في الأرض خليفة" (٤٠٩). والهبوط يشير إلى المعاناة في تحصيل الرزق وأسباب العيش على الأرض. و"بعضكم لبعض عدو" يشير إلى وجود عداء في بعض ذرية آدم لا كلها. وفي "ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين" جاءت صيغة الجمع في (لكم) لتشمل ذرية آدم كلها، فالأرض مبتدؤهم ومنشؤهم ومكان استقرارهم وعيشهم ورزقهم، وفي قوله: "إلى حين" تحديد لوجود الإنسان على الأرض وعودته بعدها إلى ربه.

والآية كلها تحذير من مخالفة أمر الله "وتنبيه إلى أن مخالفة أمر الله يتبعها إزالة عن مقام الولاية. وكانت هذه الآية مقدمة للحديث عن مخالفات بني إسرائيل، التي لم يستحقوا بسببها الولاية والصدارة.

بدأ جل وعلا تذكيره بني إسرائيل نعمه عليهم، قبل الحديث عن جرائمهم، وهذا من روعة الخطاب القرآني الذي يذكر بالنعم استحضارا لها لتكون سببا في

(408) التحرير والتنوير، ج١، ص٤٣٤.
(409) البقرة(٣٠).

جلب الرضا والقبول، ومنها قوله تعالى: "وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون" [٤١٠]. و(الواو) الواقعة أول الآية للعطف على قوله تعالى: "وإذ نجَّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب" [٤١١]. و(فرقنا) أي: جعلناه فرقا، وعبَّر عن وجود الفرق منهم وهم الأسباط وعددهم اثنا عشر سبطا، فكان البحر اثني عشر مسلكا بلا خلاف، وفيه تسهيل وتيسير. و(بكم) تعبر عن موضع المنة على بني إسرائيل واختصاصهم برحمة الله في وقت صعب، فكان التدخل الرباني لأجلهم وهو ما دلت عليه (الباء) في (بكم) التي تعني السبب.

ثم تبرز النعمة العظمى في (فأنجيناكم)، و(الفاء) فيه عاطفة للتعقيب تعبيرا عن سرعة الإنجاء ومنحهم إياه بسهولة نعمة واختصاصا، فإدامة الحياة والحفاظ عليها نعمة كبيرة، وتعدية الفعل (نجا) بالهمزة دلت على التدخل الرباني الذي أنجاهم، ولم يعطوا هذه النعمة في هذا الموقف حسب، بل "وأغرقنا آل فرعون" فكان من تمام النعمة عليهم أن أنجاهم الله تعالى وأغرق عدوهم في وقت واحد، ولم يذكر الله تعالى في هذه الآية (فرعون) بل (آل فرعون) وهذا ناسب ما ذكر في الآية السابقة لها: "وإذ نجَّيناكم من آل فرعون" كما أن ذكر الآل يدل على ضخامة ما تحقق من إنجاز بالقضاء عليهم جميعا وليس على فرعون حسب، وهو إتمام آخر للنعمة. وجاءت نهاية الآية: "وأنتم تنظرون" جملة حالية، تبين حال بني إسرائيل أثنا الإنجاء والإغراق في مشاهدتهم ومعاينتهم لها، وهذا يؤثر في النفوس والعقول أكثر من السماع، ورؤية المعجزة أدعى لإدراك قيمتها وعظمة الخالق المنجي المغرق وهذا يدعو إلى شكر المنعم وذكره وعبادته.

وقوله تعالى: "ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" [٤١٢]. وفيها نعمة أخرى من نعم الله على بني إسرائيل، التي قوبلت كغيرها بالنكران والكفر. وجاءت هذه الآية بعد ذكر عدد من

---

(410) البقرة(٥٠).
(411) البقرة(٤٩).
(412) البقرة(٨٧).

الأوامر والنواهي التي لم يمتثلوها، فهواهم يحكم أفعالهم :"أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض"[٤١٣].

(ولقد) اللام وقد تفيدان التأكيد، وتكرار التأكيد يدل على أهمية المذكور بعده (آتينا) وهو فعل مزيد بهمزة التعدية، وتعدى إلى مفعولين في مواضع كثيرة، وقد يحذف أحد مفعوليه اختصارا على عادة القرآن في الإيجاز، ويشيع استخدام (الإيتاء) فيما ينفع وما له قبول، والوقوف عنده يعطينا فكرة عن المذكور بعده.

ومما يزيد الفعل (آتينا) أهمية وحظوة إسناده إلى الله تعالى، وزيادة في الأهمية جاء لفظ الجلالة مقترنا (بنون) العظمة، وعليه فإن الشخص المُعطى والشيء الذي أُعطيَ له يحظيان بعناية إلهية، والشخص المُعطى موسى عليه السلام، ومن صور عناية الله تعالى به أن أعطاه (الكتاب) وتكمن أهميته بما فيه من شريعة تنظم حياة بني إسرائيل، فكان إرسال موسى نعمة، وإتمامها بإنزال الكتاب.

وبعد موسى استمرت النعم "وقفينا من بعده بالرسل"[٤١٤] أي: رسل يقفو بعضهم بعضا، والتقفية تدل على التتابع والاستمرار والكثرة والسير على شريعة موسى عليه السلام، وفي إسناد التقفية إلى لفظ الجلالة المعبر عنه ب(نا) العظمة مرة أخرى زيادة في تثبيت أثر النعمة ودورها في حياتهم، وما يدل على اختصاص الله لهم. و(من بعده) لابتداء الغاية، ولفظ (الرسل) جمع يدل على التعدد والكثرة، والتعريف فيه تعبير عن معرفتهم ذلك جيدا فموضوع البناء النصي في الآية معروف عند بني إسرائيل الذي يستدعي قبول النص القرآني.

ويكرر الفعل (آتينا) بما فيه من زخم وقوة دلالية لتأكيد النعم وله دلالته من حيث استجابة بني إسرائيل التي ستأتي تفاصيلها فيما تبقى من الآية الكريمة، فالجمل السابقة تمهد لبعضها وكلها تمهد لما سيكون عليه حال اليهود تجاه الدعوة الإسلامية. والإيتاء الثاني كان خاصا بعيسى ابن مريم عليه السلام، حيث آتاه الله (البينات) وهي المعجزات الواضحة الباهرة التي لا يلقاها الفهم السوي إلا بالقبول والإيمان، وخص تعالى عيسى بالذكر لأن الله آتاه شرعا نسخ به كثيرا من شرع موسى،

(413) البقرة(٨٥).
(414) البقرة(٨٧).

"وأيدناه بروح القدس"[٤١٥] أي: قويناه بالروح المقدسة الطاهرة، وهو اسم من أسماء الله تعالى، "والروح يطلق على قوة من لدن الله تعالى يكون بها عمل عجيب"[٤١٦].

فالروح تتوافق مع معنى (أيدناه). وظهرت عناية الله تعالى واختصاصه عيسى عليه السلام أن خصه بالحديث بفعلين من نوع خاص: (آتينا) و(أيدناه) مسندان إلى (نا) العظمة. وهذا الإيتاء والتأييد دال على كثرة المعجزات ووضوحها، وفي ذكر إيتاء عيسى ابن مريم كذكر إيتاء موسى عليهما السلام "زيادة في التنكيل على اليهود لأنهم يكفرون به ويكذبونه"[٤١٧]. كما كان في "إضافة عيسى إلى أمه ردا على اليهود فيما أضافوه إليه" [٤١٨].

وبعد كل هذا الذكر للنعم يأتي الاستفهام في (أفكلما) دالا على عجيب حال اليهود إزاءه، وتوبيخا على شدة طغيانهم وتكرره واستمراره مع كل رسول يرسل إليهم، "وقد دل العموم الذي في كلما على شمول التكذيب" [٤١٩]. وجاء الفعل (جاءكم) بصيغة الماضي لأن المقام مقام تذكير بما مضى، ولكنه تذكير يعرض لما هم عليه زمن الدعوة الإسلامية، فالزمن مختلف والتلقي واحد.

ودلت كلمة(رسول) على العموم، وفي: "بما لا تهوى أنفسكم" دلالة على فساد رأيهم؛ فالهوى يستعمل كثيرا فيما ليس بحق. فكان في هذه العبارة بعدما تقدم من حسن الإنعام والإعطاء ما يدل على فساد رأيهم الذي يدعوهم لمخالفة ما سلف، وهذا يوضح وجود الفعل (استكبرتم) وهو فعل يدل على البعد عن الحق، وفساد في النظر، وإعجاب بالنفس، "واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل ويكونوا أتباعا لهم"[٤٢٠] هو استكبار وفساد رأي ونظر. وهذا يعني أنهم يخالفون الرسل لمجرد المخالفة فكانوا: "ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" وتقدم التكذيب على القتل لأنه شامل للجميع حتى موسى الذي كذبوه ضمنا بتصرفاتهم، أما بقية الرسل فقد كُذِّبوا

(415) البقرة(٨٧).
(416) التحرير والتنوير، م١، ج٢، ص٥٩٥.
(417) السابق، م١،ج٢، ص٥٩٤.
(418) البحر المحيط، ج١، ص٤٨٠.
(419) التحرير، م١،ج٢، ص٥٩٨.
(420) السابق، م١، ج٢، ص٥٩٨.

صراحة، ثم قتل الرسل الدال على شدة الكفر "وجاء (تقتلون) بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رسلهم" [٤٢١].

وهذه الآية الكريمة تمهد لما ستلقاه الدعوة الإسلامية من رفض واستكبار ومخالفة الحق؛ "فلو كانت معاندتهم للإسلام هي الأولى في تاريخهم، لأوهموا الناس أن إعراضهم كان صحيحا لما رأوه من بطلانه"[٤٢٢]. ولما كانت الدعوة الإسلامية صادقة فإن تكذيبهم محمدا (صلى الله عليه وسلم) مكابرة وحسد، وهذه سجيتهم.

الفصل الثاني

(421) التحرير، م١، ج٢، ص٥٩٨.
(422) التحرير والتنوير، ج١، ص٥٩٣.

صيغة (فعَّل)

المبحث الأول: الدلالة المعجمية في صيغة (فعَّلَ) في سورة البقرة.

المبحث الثاني: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة. في ضوء سياق الحال .

المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي.

المبحث الأول

الدلالة المعجمية لصيغة (فعَّلَ) في سورة البقرة.

أولا: صيغة (فعَّل) ومعاني الزيادة كما تتجلى في كتب الصرف

(فعّل) واحدة من صيغ الزيادة التي تُعدِّي الفعل، فالتضعيف فيها تضعيف نقل. نقل الثلاثي رباعيا، ونقل اللازم للتعدية، وهذا النقل يحدث تغييرا في معنى الفعل والتركيب عموما. وتتفق صيغة (فعَّل) مع صيغة (أفعل) في معنى التعدية، فكلتاهما تُصيِّر الفاعل مفعولا نحو: فرّحته، بمعنى جعلته فرحا. بمعنى دخول فاعل جديد على الحدث يؤثر في المفعول، فيصير الفاعل القديم مفعولا.

وينتقل المتعدي إلى واحد بالتضعيف إلى متعد إلى اثنين "لكنه لا يتعدى إلى ثلاثة (كأفعل) إلا محمولا على (أفعل) كحدَّث وخبّر" [٤٢٣]. ولصيغة (فعَّل) معان أخرى غير التعدية وهي: الدلالة على التكثير والمبالغة، ف"الأغلب في (فعّل) أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل نحو: ذبَّحْتُ الغنم"[٤٢٤]، ونسبة المفعول إلى أصل الفعل وتسميته به نحو: كفّرته أي سميته كافرا[٤٢٥]، ومنهم من سمّاه: نسبة المفعول إلى صفة من الصفات "والجعل على صفة"[٤٢٦]، وقد أعاد بعض النحاة هذا المعنى إلى التعدية ومعنى الجعل أي: جعلته كافرا كما في شرح الشافية [٤٢٧].

والدعاء على المفعول أو له بأصل الفعل[٤٢٨]؛ فمن الدعاء على المفعول: عَقّرتُه، أي: قلت له عَقَرك الله. ومن الدعاء له: سَقّيْتُه، أي قلت له: سقاك الله. والسلب والإزالة [٤٢٩]نحو: جلّدت البعير، أي: أزلت جلده بالسلخ. وللإغناء عن المجرد نحو: زيّلته أي: زلته[٤٣٠]، ونحو: سلّم. وبمعنى: صار ذا أصله، كورّق، أي صار ذا ورق، وجعل ابن الحاجب هذا المعنى من معاني الجعل في (فعَّل)[٤٣١]. وبمعنى صيرورة

(423) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٩.
(424)المبدع في التصريف، ص١١٢.
(425) السابق، ص١١٣.
(426) السابق، ص١١٢.
(427) شرح الشافية، م١، ص٩٤
(428) الممتع الكبير في التصريف، ص١٢٩.
(429) الشافية، ص٢٠
(430) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٠٩
(431) شرح الشافية، م١، ص٩٣.

فاعله أصله المشتق منه، كروَّض المكان، أي: صار روضا. وبمعنى تصيير مفعوله على ما هو عليه مثل: ضوّأ الأضواء، أي: جعلها أضواء [٤٣٢] .

وبمعنى عمل شيء في الوقت المشتق منه كصبّح، أي: أتى صباحا. وبمعنى المشي إلى الموضع المشتق منه، نحو: كوّف، أي: مشى إلى الكوفة. وسمّيَ التوجه[٤٣٣]: فشرَّقَ: توجه شرقا، وغرّب توجه غربا. ولاختصار حكاية المُركَّب، نحو: سبّح وهلّل وكبّر، أي: قال: سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر. وبمعنى (تفعّل) نحو: فكّر وتفكّر. [٤٣٤]. وللقيام على الشيء كقولك: مرّضته، أي قمت عليه[435] . ويُراد بها كذلك: رميته بذلك كقولك: شَجَّعْتُه أي: رميته بالشجاعة [٤٣٦]. "وقد تجيء لمعان غير ما ذكر، غير مضبوطة بمثل الضوابط المذكورة نحو: جَرّب وكلّم" [٤٣٧]. وهذه المعاني تظهر أن الزيادة التي تطرأ على البناء الأساسي العميق للفعل، تُساهم في طرح دلالات متعددة وتظهر في البنية السطحية، تتيح أمام المتكلم اختيار الملائم للموضوع والمناسبة بما يوصل إلى درجة عالية من الإبلاغ.

ثانيا: الدلالة المعجمية في صيغة (فعَّلَ).

يشكل المعنى المعجمي الممر الأول الذي علينا اجتيازه للتواصل مع النص، ويعيننا على فهم مدى ترابط المفردة الواحدة مع بقية المفردات في إطارها البسيط على مستوى التركيب النحوي المتمثل بالجملة ثم الإطار الأوسع في النص بأكمله إذ" المعنى المعجمي مهم في تحديد الإعراب إضافة إلى المعنى الوظيفي"[٤٣٨]. فالدلالة المعجمية تزودنا بمعرفة خاصة للعلاقات القائمة بين المفردات خاصة ما يحقق منها تماسك النص، ويقدم مفاتيح لفتح ما استعصى من عوالم النص. وفي هذا المبحث

(432) شرح الشافية، م١، ص٩٥.
(433) تصريف الأسماء والأفعال، ص١١٤.
(434) السيد، عبد الحميد مصطفى، المغني في التصريف، ط١، دار صفاء، عمَّان، ١٩٩٨م، ص١٤١.
(435) الممتع في التصريف، ص١٢٩.
(436) السابق، ص١٢٩.
(437) شرح الشافية، م١، ص٩٦.
(438) الشكل والدلالة، ص٧٤.

اخترت عددا من الأفعال على صيغة (فعَّلَ) كانت الأكثر تكرارا، وبعضها لم يرد إلا مرة واحدة ومنها الفعل (بَيَّنَ) و" البين الفراق والبين الوصل وهو من الأضداد. وبان الشيء بيانا: اتَّضح فهو بَيِّن، والتبيين: الإيضاح والوضوح"[٤٣٩]". والبيان ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها، والتبيين: التثبُّت في الأمر والتأني فيه" [٤٤٠]. "والبيان الإفصاح مع ذكاء، والبَيِّن: الفصيح"[٤٤١]. فالوضوح هو المعنى الأصل الذي تلتقي حوله معاني الزيادة في الفعل (بان)، وله صلة باللغة والفصاحة والإبانة عن الدلالة، أما معنى (بَيَّنَ) المزيد بتضعيف عينه: أوضح وعرّف. ففي حين كان معنى(بان): اتضح، صار معنى(بَيَّنَ): أوضَح.

وعند النظر في الصيغتين نرى أمرين، الأول: عموم دلالة المجرد، وخصوص دلالة المزيد، فوضوح الأمر عام لم يتعلق بشيء، أما المزيد فدل على عملية توضيح خاصة محددة. والثاني: اقتصار الحدث في المجرد على الفاعل: بان الأمر، أما المزيد فقد دخل الحدث فاعل جديد قام بالتبيين ووجهها للمفعول؛ فقولنا: أوضح وعرَّف تعني وجود شخص تولى القيام بالفعل فزاده وضوحا وبيانا.

والفعل (بَيَّنَ) يدل على سلوك مميز هو التثبت في الأمر والتأني فيه، مما يجعل المُتَبَيِّنَ متميزا لا يقف عند عموميات الأمور بل يغوص في معرفتها، فالفعل(بيَّن) فعل خاص بدلالة خاصة تلقي ظلالها على كافة عناصر الحدث، وزيادته وسعت دائرة تأثيره بإيجاد عناصر لغوية جديدة.

وفي سورة البقرة تكرر الفعل (بيَّن) اثنتا عشرة مرة، جاءت بالزمنين: الماضي والمضارع. يقول الطبري: "يبيِّن لكم": يعرفكم الحق ويوضح لكم أعلام الهدى ويرشدكم إلى دين الله المرتضى" [٤٤٢]. وفي قول الطبري نقف على ثلاث مفردات: يعرِّف، ويوضح ويرشد، وإذا دققنا النظر فيها وجدنا أنها ترصد مراحل وخطوات التبيين، التي تبدأ بالمعرفة، يليها التوضيح ثم الإرشاد إلى ما يهدف له

(439) الصحاح، مادة (بين).
(440) اللسان، مادة (بين).
(441) التاج، مادة (بين).
(442) جامع البيان، ج١٠، ص١٥٦.

التعريف والإيضاح. وقوله تعالى: "قد بيَّنا الآيات لقوم يوقنون"[٤٤٣]،" فكأن الكلام: قد هدينا من هدينا" [٤٤٤] فالهداية للحق هي النتيجة المرجوَّة من التبيين.

وتبيين الآيات يدل على أن التبيين يتضمن تقديم أدلة، وعرض تفاصيل توصل للفهم وهذه كلها يتبعها العمل . فالتبيين حدث مفتوح على أفعال تسبقه تتمثل بالمعرفة وما يتبعها من تبيين وتفصيل، وأخرى تلحقه وتتمثل بالفهم والعمل والتطبيق.

وفي قوله تعالى: "كذلك يبين الله لكم ءاياته"[٤٤٥]، يقول ابن عاشور:"يجوز أن يراد بها دلائل عنايته بهم وتثقيف عقولهم وقلوبهم بأنوار المعارف الإلهية، وأن يراد بها آيات القرآن، فإنها غاية في الإفصاح عن المقاصد وإبلاغ المعاني إلى الأذهان" [٤٤٦]. فالفعل(بيَّن) يشكل خطة عمل متكاملة: لها مقدمات ومدخلات، ويشكل عملا ويعبر عن جهد، ثم نتائج ومخرجات، كما يوضح شكل العلاقات الإنسانية اللائقة القائمة على التواصل العلمي والفكري المنتج .

والفعل (علَّمَ) و"العَلامَة والعَلَم: الجبل. والعَلَم: عَلَم الثوب. والعَلَم: الراية. وعَلِمْت الشيء أعْلَمُه علما: عرفته"[٤٤٧]. "ومن صفات الله تعالى العليم والعالم والعلَّام. ويجوز أن يقال للإنسان الذي علَّمه الله علما من العلوم: عليم" [٤٤٨]. فالعَلَمُ والعلامة يستخدمان لما تميَّز وبرز ظهر. والعِلم والمعرفة ميزة لصاحبهما. "وقال بعضهم: العالم: الذي يعمل بما علِم" [٤٤٩] فالعلم لا يكتمل ما لم يصدقه العمل ويقترن به.

وفي(علَّمَ) نجد معنى جديدا، تطلب دخول فاعل على التركيب يقوم بالتعليم، ووجود مفعول يتلقى التعليم ويتجاوب معه، وبقدر تجاوبه واكتسابه يكون مميزا. ومما يلاحظ في المعاجم عند تناول(علَّم)، قولهم: علَّمته فتعلَّم، أي: اقتران (فعَّل) بمطاوعه(تفعَّل)، وفيه إشارة إلى الاستجابة لأثر الفعل على أكثر من مستوى: بالتلقي

(443) البقرة(١١٨).
(444) المحرر الوجيز، ج١، ص٤٦٦.
(445) البقرة(٢٤٢).
(446) التحرير، م٣، ج٢ ، ص٣٦.
(447) الصحاح، مادة (علم).
(448) اللسان، مادة (علم).
(449) السابق، مادة (علم).

والعمل وتعليم الآخرين. وبها تكتمل دائرة التعليم وتستمر، وتستمر معها دورة الحياة. وفي اللسان:" معنى قوله: "علَّمه البيان": جعله مميزا أي الإنسان حتى انفصل عن جميع الحيوان" [٤٥٠]. وحالة الجعل هذه تتطلب زمنا ومدة ومهلة يتمكَّن فيها المُعَلِّمُ من إعطاء المُعَلَّم مادة العلم حتى يحصل له الفهم والإدراك والتمييز. وحتى تنهضم المادة في عقله تماما، فيصير قادرا على تطبيقها وإعطائها للآخرين. وفي التاج:" والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم. وقال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلُّم تنبُّه النفس لتصور ذلك" [٤٥١].وهنا يظهر دور المعلم في صبره وتركيزه إلى أن يترك العلم أثره المطلوب في نفس المتعلم. ودور المعلم في كيفية إثارة اهتمام المتعلم بتنبيه نفسه لتصور المعاني المختلفة. وبذلك تكون الزيادة قد نقلت الفعل إلى عالمه الخاص الذي يدور في فلكه متعلقاته، وهو حدث يتطلب أحداثا تسبقه من تعليم وتكرير من طرفي التعليم، وأحداثا أخرى تلحقه تتمثل في العمل والتطبيق، وإعادة الكرة مع الآخرين.

والفعل (علَّم) من الأفعال التي تكررت في سورة البقرة، حيث وردت في أحد عشر موضعا منها، وجاء بصيغتي الماضي والمضارع. ومنه قوله تعالى:" ويعلمهم الكتاب والحكمة"[٤٥٢]. "يعني: ويعلمهم كتابك الذي تنزِّله عليهم، وأحكامك التي تعلمه إياها"[٤٥٣]. وفي قوله تعالى: "الرحمن علَّم القرآن"[٤٥٤] "الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن فأنعم بذلك عليكم إذ بصركم بما فيه رضا ربكم وعرفكم ما فيه سخطه لتطيعوه"[٤٥٥]. وهذا يؤكد أن التعليم نعمة للبشر، وأنه تبصير الناس بالمعاني وإزالة ما من شأنه طمس البصيرة، والأهم ثمرة العلم بالعمل به؛ إذ معرفة أوامر الله ونواهيه لا من أجل المعرفة فقط بل معرفة توصل للعمل بها. "والتعليم يكون بمعنى التفهيم وحصول العلم للمتعلم، ويكون بإلقاء أسباب العلم، ولا يحصل به

(450) اللسان، مادة (علم).
(451) التاج، مادة (علِم).
(452) البقرة(١٢٩).
(453) جامع البيان، م١، ص٣٩١.
(454) الرحمن(١) و(٢).
(455) جامع البيان، م٧، ص١٧٦.

العلم ولذلك يقبل النقيضين تقول: علمته فتعلم، وعلمته فما تعلم"[٤٥٦]. والتعليم نعمة بما أعطى الله تعالى الإنسان من نعمة العقل ومكنه به من فهم الأشياء واكتساب المعارف والعلوم.

ومجيء الفاعل للفعل (علَّم) الله تعالى أو الرسول له دلالة خاصة. فما تعلَّمه المسلمون ما كانوا ليصلوا إليه دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وإذا فقد الإنسان العلم، فقد ميزته التي كرم الله تعالى بها آدم وميَّزه على الملأ الأعلى. وإسناد التعليم إلى الرسول إنعام وتكريم وتشريف.

والفعل (نزَّل) "والنزول الحلول والتنزيل الترتيب"[٤٥٧]. "والتنزيل الترتيب، والتنزيل النزول في مهلة، والنزول والصعود من صفات الأجسام. وزاد ابن سيدة: لا يكون إلا في حسن الحال"[٤٥٨]. "وفرق جماعة من أربا ب التحقيق فقالوا: التنزيل تدريجي والإنزال دفعي. وزعم أقوام أن التفريق أكثرية"[٤٥٩]. "ومن المجاز النزل الفضل والعطاء والبركة، ومن المجاز المنزلة: الدرجة والرتبة وهي في الأمور المعنوية كالمكانة. وقال الحرَّالي: هو التقريب للفهم بنحو تفسير وترجمة"[٤٦٠]. وتنزيل شيء على شخص يدل على مكانتة ، واستخدامه في حسن الحال والاستقامة يلف أطرافه كلها بالخير، ويهدف إلى الاستقامة وتحسين أحوال البشر. وفيه عطاء وبركة من المُنزِل إلى المُنزَل عليه. ورغم التشابه بين صيغتي(أفعل) و(فعَّل) في معنى الجعل فيهما، إلا أن الإنزال عام دفعي، والتنزيل تدريجي متفرق متكرر. ووصف نزول القرآن الكريم بالتنزيل، يدل على التدرج والتفرق الدالان على الدقة والإفهام.

وفي سورة البقرة تكرر الفعل(نزَّل) خمس مرات، جاءت بصيغة الماضي، وجاء دالا على الترتيب والإرسال[٤٦١]. والتنزيل على هذه الصورة يمهد فيه كل جزء نازل لما بعده أي: يترتب بعضه على بعض، وفي هذا المُنَزَّل رسالة واختبار:

---

(456) البحر المحيط، ج١، ص٦٢٦.
(457) الصحاح، مادة (نزل).
(458) اللسان، مادة (نزل).
(459) التاج، مادة (نزل).
(460) السابق، مادة (نزل).
(461) انظر تفسير القرطبي، ج٤، ص٥.

"إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا"[٤٦٢]: أي نزلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلا ابتلاء منا واختيارا وتبليغ رسالاته والقيام بما ألزمك القيام به"[٤٦٣]. فالتنزيل رسائل متتابعة تحتاج إلى الإيصال بالتبليغ والإفهام والرسول صاحب هذه الوظيفة. وقد تحدى الله تعالى أعداء الرسالة باستخدام الفعل (نزَّل) في قوله تعالى:"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم إن كنتم صادقين" [٤٦٤]. حيث كان التنزيل أساسا لتحدي المنكرين المشككين بصحة القرآن أن يأتوا بسورة على نحوه. كما لا يمكن تجاهل التضعيف في (نزل) مقارنة بالفعل غير المضعف فالتضعيف يعبر عن قوة الفعل في كيفيته أو كميته . والتضعيف في (نزَّل) يرسم عدة تحولات مرَّ بها من التجرد إلى الزيادة بالتضعيف التي أكسبته قوة وتكثيرا إلى التعدية التي أعطت المعنى أهمية وخصوصية وعمقا.

والفعل (نجَّى) "نجا: النجاء الخلاص من الشيء، أنجيت غيري ونجَّيته، وقرئ بهما في قوله تعالى:"فاليوم ننجِّيك ببدنك"[٤٦٥]، ونجا إذا أحدث ذنبا" [٤٦٦]. " وقيل: النجاة: الخلاص مما فيه المخافة، وقيل هو من النجوة وهي الارتفاع" [٤٦٧]. وتتصل النجاة بالماء كثيرا، وتلتف معانيها حول طرق الخلاص كالسرعة والارتفاع وترتبط بثمار النجاة. ولما دل على الخلاص مما فيه مخافة كان نعمة، بها تستمر الحياة.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (نجَّى) مرة واحدة في قوله تعالى:" وإذ نجَّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم" [٤٦٨]. "والمعنى: خلصتكم من آل فرعون" [٤٦٩]. وهي نعمة للسالفين والحاضرين من بني إسرائيل لأن تنجية أسلافهم تنجية لهم، ولا نعمة أكبر من نعمة الحياة.

---

(462) الإنسان(٢٣).
(463) جامع البيان، م٧، ص٤٢٦.
(464) البقرة(٢٣).
(465) يونس(٩٢).
(466) اللسان، مادة (نجو).
(467) التاج، مادة (نجو).
(468) البقرة(٤٩).
(469) البحر المحيط، ج١، ص٣١١.

وبالنظر في معنى الفعل (نجا) المجرد نجده يصف حدثا عاما، أما (نجَّى) فيصف حدثا خاصا قويا في شكله وطريقته، فتخليصهم من كرب عظيم يحتاج قوة تفوق قدراتهم وطاقاتهم البشرية، وهذا يجعلهم يدركون عظمة المُنجِّي وقدرته وهو الفاعل الذي دخل بعد الزيادة بالتضعيف، الذي تدخل قصدا لتنجيتهم، وما تركته التنجية على حياتهم لاحقا.

وتحمل الزيادة في الفعل (نجَّى) التدرج الدال على الإعداد؛ فإرسال موسى مرحلة، ونزول التوراة وما فيها من شرع عظيم صاروا بفضلها أهل العلم على من عاصرهم مرحلة أخرى، وفرق البحر وإخراجهم من مصر مرحلة، وهذا تدرج في الإنعام وتمهيد للتمكين في الأرض.

والفعل (بدَّل) "والبديل: البدل وبدل الشيء غيره. يقال: بَدَل وبدْل. وتبديل الشيء تغييره .وإن لم يأت ببدل"[٤٧٠]. "يقال: أبدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه وبدَّلت الخاتم الحلقة إذا أذبته وسويته حلقة. وبدَّلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتما"[٤٧١]. " قال أبو العباس: وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى"[٤٧٢]. فالتبديل تغيير جذري يوجد صورة جديدة مختلفة تماما عن الأصل. "والمراد بالبدل: أن يوضع لفظ موضع لفظ كوضعك الواو موضع الياء في (موقن) وبدَّله تبديلا: حرَّفه وغيره بغيره"[٤٧٣].

يقارن المعجميون غالبا بين صيغتي (أفْعَلَ) و(فعَّل) لما بينهما من تقارب وتشابه في معنى تعديتهما، لكنه تقارب لا يلغي خصوصية أحدهما، بل يبقى التمايز حاصلا؛ إذ رغم التقارب تستقل كل صيغة بدلالة دقيقة تميزها.

وفي سورة البقرة تكرر الفعل (بدَّل) أربع مرات جاء بصيغتي الماضي والمضارع، ومنه قوله تعالى: "فبدَّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم"[٤٧٤]. "فبدَّل: فغيَّر. بدَّلوا قولا غير الذي أمروا أن يقولوه. فقالوا خلافه"[٤٧٥]. والفعل (بدَّل)

---

(470)اللسان، مادة (بدل).
(471) السابق، مادة (بدل).
(472) السابق، مادة (بدل).
(473) التاج، مادة (بدل).
(474) البقرة(٥٩).
(475) جامع البيان، ج٢، ص١١٢

يقتضي وجود(مُبدَل) و(مبدل له) فهو متعد لمفعولين: واحد بنفسه والثاني بحرف الجر، ففي قوله تعالى:" ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا"[٤٧٦]. فإن نعمة الله مُبدل، والكفر بَدَل. وجاء التبديل ليصف جريمة من جرائم بني إسرائيل مع الله تعالى في قوله:"فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه"[٤٧٧].

وقوله:"سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدِّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب"[٤٧٨]. فهم يخفون كلام الله وشرعه وعلمه الذي علمهم إياه وقد أُمروا بتبيينه، ويغيرونه بوضع كلام آخر ومعان مختلفة غير الذي قاله الله تعالى، وبها يضللون الناس عن الفهم السوي. فالفعل(بدَّل) تضمن أفعالاً ومقاصد عديدة. وهو وإن بدا في ظاهرة أن معناه (غيّر)، إلا أن معناه ينطوي على أفعال كثيرة سابقة له، وأفعال عديدة لاحقة له، فما وصلوا إلى هذا الحد من التمادي إلا لتعودهم على الجريمة حتى صارت طبعاً وسلوكاً حياتياً ومن كان كذلك فإنه لا يتورع عن فعل شيء ليحقق أهدافه ففعل الجرم وتكريره يسهل على فاعله ويستصغره ويستهين به، وتبديل كلام الله يغير دوره ويصير غير صالح شرعا منظما للحياة؛ لذا جاء القرآن ليتصدر ويحتل المكانة بحفظ الله له من التبديل والتغيير"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[٤٧٩].

(476) إبراهيم(٢٨).
(477) البقرة(١٨١).
(478) البقرة(٢١١).
(479) الحجر(٩).

المبحث الثاني

التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة.

في ضوء سياق الحال.

أولا: صيغة (فعَّل) وموضوع الخطاب.

جاء قوله تعالى:"وإن كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين" (٤٨٠). في معرض الحديث عن قدرة الله عز وجل والدعوة لعبادته تعالى خالق البشر والسماوات والأرض في قوله تعالى:" يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (٤٨١). حيث جاءت الآية الكريمة تنتصر لصدق نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم). وتقدم الدليل على صحة رسالته أمام المرتابين الشاكين بهذه الرسالة ومصدرها.

وهي تحمل تعجيز الكفار في إمكانية الإتيان بسورة من أمثال السور القرآنية، والفعل (نزَّلنا) يشير إلى عدة جوانب تتعلق بالحدث، أولها المُنزِل جلَّ وعلا؛ فكل فعل فاعله الله تعالى يدل على أهمية الحدث، وثانيها المُنزَل عليه وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) المعروف بصدقه، ومجيئه بكتاب معجز شهد له فصحاؤهم وبلغاؤهم وهو الأمي، وثالثها النص القرآني المُعجِز.

وورود الفعل (نزَّل) في هذه الآية الكريمة يدل على غاية الحرص والعناية بالنص القرآني، وجعله نازلا في مراحل ومتفرقا تعبير عن إحكام آياته. ومع أن أفعال الله تعالى لا يقاس إحكامها وإتقانها بالتدرج والتفرق، إلا أنه تعالى أراد أن يصف شدة الإعجاز ومبلغ العناية بهذا النص. ودلالة التنزيل على الترتيب والتفرق تشير إلى تلاؤمه مع المكان والزمان؛ فبعضه مكي وبعضه مدني، وقد فصل العلماء القول فيهما فلكل خصائصه من حيث: طبيعة الخطاب، والمُخاطَب، ومادة الخطاب، ولغة الخطاب، وأن تنزيلها من حيث المكان جاء مرتبا على نحو خاص؛ فسورة

---

(480) البقرة(٢٣).
(481) البقرة(٢١)

البقرة أول سورة مدنية جاء تنزيلها متوافقا مع أحد أعظم الأحداث من عمر الإسلام وهو إنشاء الدولة، وجاءت مادة الخطاب تؤسس لدولة ستقود العالم.

والتكثير الوارد في صيغة (فعَّل) عبّر عن تكثير قوة الحدث في طبيعته وكيفيته، تأكيداً لأهميته، وأهمية العمل به لأن عزتهم بذلك. وفي هذا المعنى تعريض باليهود الذين أنزل الله عليهم كتابا ولكنهم لم يحسنوا تلقيه وتطبيقه. وجاء طلب تنزيل سورة على دلالات التنزيل مناسبا للتحدي، يكشف زيف مزاعم الكافرين فيكون إنكارهم حجة عليهم.

وجاء قوله تعالى:"وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"[٤٨٢]. في قصة خلق آدم عليه السلام، وجاءت افتتاحية الآية بالفعل (علَّم) الذي أظهر عناية الله بآدم، وكان أساس المفاضلة بين الملائكة وآدم، والأساس الذي قام عليه استخلافه بالأرض.

وفي (علَّم) دليل على إيداع الله تعالى في البشر ما يؤهلهم لقبول العلم. وفي تعديته لمفعولين: المُتعلِّم والعلم إشارة إلى الأهمية الخاصة لهما، والميزة التي يتمتعان بها، ويكفي نعمة أن كان الفعل (علَّم) تفضيلا واختصاصا لآدم وذريته على الخلق من الملأ الأعلى. والعلاقة بين العلم والخلافة العمل. إذ بالعمل بما علَّمنا الله تعالى يتحقق إعمار الأرض وإقامة دين الله بالعبادات. ولما كان العمل واحدا من معاني الإيمان، كان تحصيل العلم فعلا إيمانيا يجعل العمل به كاملا، وإذا كان التعليم وجه مفاضلة بين البشر والملائكة، فإنه وجه مفاضلة أيضا بين البشر بقدر سعي كل منهم له.

إن المعاني المتضمنة في (علَّم) جعلته يتصدر الآية الكريمة ويتصدر أولويات البشر ووجودهم على الأرض، ونجده تكرر في سورة البقرة في الجزء الخاص بالتشريعات كقوله تعالى:"ويعلّمهم الكتاب والحكمة" [٤٨٣]. وقوله تعالى:"ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" [٤٨٤]. وكان التعليم فيها من مهام

(482) البقرة(٣١).
(483) البقرة(١٢٩).
(484) البقرة(١٥١)

الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفيها دعوة للاقتداء به (صلى الله عليه وسلم) فلا يكون حكرا على أحد دون الآخر كما فعل اليهود؛ إذ كان علم التوراة حكرا على خاصتهم من الأحبار والعلماء. فجاء القرآن ينشر نور العلم، ويكون المسلمون كلهم من الخاصة وينالون فضل أبيهم آدم الذي ناله من قبل.

وجاء قوله تعالى:"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" [٤٨٥]. في معرض تذكير الله تعالى بني إسرائيل نعمه عليهم، وكان (فضَّلتكم) أولها، حيث عطف تعالى التفضيل على الإنعام فكان الإنعام عاما والتفضيل واحدٌ من تفاصيله. فقد حاز بنو إسرائيل واجتمع لهم من النعم ما لم يجتمع لغيرهم، قال تعالى:"وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين" [٤٨٦]. وهي النعم الواردة في فعل التفضيل.

والكثرة والتَّميُّز واضحة فيها وهي من معاني (فعَّل)، ولما كان التفضيل عطية لا يلزم إعطاؤها[٤٨٧]، دل ذلك على اختصاصه تعالى بني إسرائيل بهذه النعم من التعدد والكثرة والتكرار، وكانت هذه الآية فاتحة لنعم أخرى كثيرة كان عنوانها التفضيل.

وجاء قوله تعالى:"وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٤٨٨]. وفيها نعمة خاصة وهي التنجية من سوء العذاب كتذبيح الأبناء واستحياء النساء، وهي نعمة تتم بها النعم الأخرى. والتنجية نعمة سبقها الابتلاء والاختبار وتلاها تمكين في الأرض؛ فإرسال موسى عليه السلام قائد التنجية مرحلة، وإزالة العذاب لينعموا بحياة طيبة مرحلة ،وإنزال التوراة وما فيها من علم وشرع مرحلة، فنالوا بالتنجية خير الدنيا و الآخرة. وتبرز أهمية التنجية في الزمان الذي أتت به وهم في أمس الحاجة لقوة عظيمة

(485) البقرة(٤٧)
(486) المائدة(٢٠).
(487) التاج، مادة(فضل): وكل عطية لا يلزم إعطاؤها لمن تعطى له، يقال لها فضل.
(488) البقرة(٤٩).

تخلصهم من ظلم طاغية مثل فرعون. فكان الفعل (نجّى) نعمة بعدها صاروا ملوكا وأهل كتاب.

وفي قوله تعالى:"سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب" [٤٨٩]. الذي كان توبيخا لبني إسرائيل على انتهاكهم أوامر الله تعالى، بتبديل نعمه. فقد وصف الله تعالى محمدا (صلى الله عليه وسلم) ووصف رسالته في التوراة، وأخذ عليهم عهدا أن يؤمنوا به إذا ظهر، لكنهم عمدوا إلى تبديل الآيات الخاصة بهذا الموضوع.

واتخذ التبديل صورا متعددة كالكتمان والإنكار والإعراض، فما وافق هواهم أخذوه وما خالفه أعرضوا عنه، وكان للإعراض صوره أيضا، منها تكذيب الأنبياء وقتل بعضهم، ومن صور التبديل الكبرى: التحريف وتغيير كلام الله تعالى عن صورته التي نزل عليها بقول تعالى: "وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون"[٤٩٠]. وهذا الفعل يجعلهم غير مؤتمنين على الرسالة حفظا ونشرا.

وجاء قوله تعالى:"إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" [٤٩١]. في وصف فعل اليهود من كتم الآيات في مواجهة الدعوة الإسلامية، وقلة الوفاء طبع فيهم فقد كذبوا رسل الله قديما. والفعل (بيَّن) يعني: التوضيح وكشف المعاني والمقاصد وإيصالها إلى الناس للتفريق بين الحق والضلال والإرشاد إلى أحكام الله في كتابه. لكن اليهود خالفوا أمر الله بتبيين ما جاء في كتابه، وضللوا الناس بتفسيرات بعيدة لإنكار رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم).

والفعل (بيَّن) يفتح النص القرآني الحاضر على النص التوراتي الغائب، ويظهر علمهم بالتوراة، وأن القرآن جاء مصدقا له، وهذا يُظهر عظيم جرمهم بكتمان

(489) البقرة(٢١١).
(490) البقرة(٧٥).
(491) البقرة(١٥٩).

ما وضح في كتاب الله وتغييره، ولذا كفروا حسدا لعلمهم أن الرسالة والريادة انتقلت منهم للعرب، بجعل الرسول عربيا لا منهم.

والتبيين لا يقف عند حدود التوضيح والتفسير والإفهام، بل يتعداها إلى ما يوصل بها إلى العمل بها وتطبيقها، فخُلوُّ المعرفة من عمل يفقدها روحها ومضمونها. وقد تكرر الفعل (بيَّن) في سورة البقرة في الجزء الخاص بالتشريعات، كقوله تعالى:"كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون" [٤٩٢]. بعد ذكر الخمر والميسر. وقوله:"يبيِّن آياته للناس لعلَّهم يتفكرون" [٤٩٣]. بعد حكم نكاح المشركة. وقوله:"تلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون" [٤٩٤]. بعد أحكام الطلاق. وقوله:"كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون" [٤٩٥]. بعد الحديث عن الطلاق والصلاة والوصية. وقوله:"كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون" [٤٩٦]. بعد الحديث عن الإنفاق وضرب الأمثال المبينة أثره وثوابه. وهذه الخواتم المتعلقة بآيات التشريعات تؤكد أن التبيين هدفه التنبيه إلى أهمية العمل بها كما أمر الله.

كما اقترن التبيين فيها بالتقوى والتفكير والتذكير والعلم والعقل، وفيها تربية إيمانية وعلمية كبيرة تتمثل في التفكير والتدبر والتساؤل. وأهمية الاستدلال لتنشأ هذه الأمة أمة علم وفطنة وبحث، تحمل راية العلم والمعرفة. فالفعل (بيَّن) يعبر عن خصيصة من خصائص هذه الأمة.

وجاء قوله تعالى:"كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" [٤٩٧]. في معرض الحديث عما اختص تعالى به أمة الإسلام وادخره لها دون غيرها ومنه استقبال الكعبة، وفيه ربط بين دعوة إبراهيم عليه السلام ودعوة محمد (صلى الله عليه وسلم). وأن الإسلام على ملة إبراهيم القائم على التوحيد.

---

(492) البقرة(١٨٧).
(493) البقرة(٢١٩).
(494) البقرة(٢٣٠).
(495) البقرة(٢٤٢).
(496) البقرة(٢٦٦).
(497) البقرة(١٥١).

وجاء الفعل (زكّى) دالا على امتنانه تعالى على المسلمين، حيث منَّ على العرب أن كان رسولهم منهم، عربي يعرفونه ويعرفون نسبه، ويتكلم لغتهم ويعيش بينهم، وهو الأمي الذي لم يسبق له قراءة أو كتابة، ليأتي لهم بكتاب عظيم معجز ينطق بصدق رسالته، وكان من ثمرات رسالته (يزكيكم).

والتزكية تدل على الصلاح والتطهير والاصطفاء، ومما يؤلف بين هذه المعاني السعي لتحصيلها؛ فالتزكية فعل يُكتسب، وتُهذَّب النفس وتُمرَّنُ للحصول عليه، وذلك بتحري ما فيه الطهارة، وفي ذلك توجيه من الله تعالى بتعهُّد النفس بالخيرات والاستزادة منها، وهي ثمرة من ثمار تلاوة القرآن وتعليمه. وكل عمل فيه رعاية للنفس تزكية، وتمتد إلى البدن بالصلاة والمال بالزكاة، و العقل بالتعليم والجوارح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا تقف التزكية عند حدود الذات بل يتعدى أثرها إلى الآخرين، وتكون شكلا من أشكال استمرار الدعوة.

ثانياً: صيغة (فعَّل) وغرض المرسل.

جاء الفعل (نزَّل) في خمسة مواضع في سورة البقرة [٤٩٨]. مرة منها مبنياً للمجهول وهو من الأفعال المختصة بالله تعالى. وجاء في موضعه الأول موضع تحد لما فيه من معان تمكنه من التحدي، في قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"[٤٩٩].

فتنزيل الله تعالى القرآن منجما له مقاصده وأهمها التروي في فهم الآيات وحسن التلقي والتنفيذ وما في ذلك من ترتيب المعاني على بعضها، وكل جزء يمهد لسابقه وهذا يتيح قدرا أكبر للفهم. وتنزيل القرآن إشارة إلى وضوح معانيه، وتنزيل القرآن على هذا النحو يشهد بعظمة المُنزِل وأهمية المُنزَل والعناية بالمُنزَل إليهم.

---

(498) انظر ملحق (٢)، ص١٩٨.
(499) البقرة(٢٣).

ومخاطبة المنكرين بفعل التنزيل يعطيهم فرصة ومهلة لإحضار نص يشبه النص القرآني في ترتيبه وإحكام آياته، وفي هذا التحدي والإمهال دليل ينطق بصدق محمد(صلى الله عليه وسلم) وعدم إحضارهم شيئا دليل آخر. فكان الفعل (نزَّل) دالا على إعجاز القرآن الكريم، وقوله تعالى:"فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا"[٥٠٠]. يمثل المعنى المراد إيصاله لهؤلاء، وقوله تعالى:"فاتقوا النار التي وقودها النار والحجارة" [٥٠١] يمثل الاستجابة المطلوبة بعد التحدي.

والفعل (علَّم) الذي جاء في سورة البقرة في ستة مواضع متفرقة، الأول منها قوله تعالى:"وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" [٥٠٢]. وكان الغرض من الفعل (علَّم) حجة له تعالى على قوله للملائكة:"إني أعلم ما لا تعلمون" [٥٠٣]. فكان تفضيلا وتمييزا لآدم بما أودع فيه تعالى من قبول العلم وفهمه.

وبدلالة صيغة (فعَّل) على التكثير، واقتران هذه الدلالة بالتعدية دل على صيغة نوعية تخص الحدث والمُحدِث ونهاية الحدث، وكان علامة من علامات جدارة آدم في استخلافه في الأرض. وبقدر تعهد العقل بالعلم والعناية به، يكون الابتكار والتطوير. وبإرساله تعالى قصة آدم عليه السلام مرتبطة بالتعليم، قصد تعالى أن نعرف فضل العلم والعلماء وهما مفعولا (علَّم): (آدم) و(الأسماء). واختيار التعليم دون غيره لأن العلم طريق للحلم والحكمة والعمل، والمفاعيل التي تعدَّى إليها فعل التعليم في آيات أخرى من غير سورة البقرة تُظهر ذلك. مثاله قوله تعالى:"علَّم القرآن" [٥٠٤]. وقوله تعالى:"علَّمه البيان" [٥٠٥]. وفي البقرة قوله تعالى:"ويعلمكم الكتاب والحكمة" [٥٠٦]. وكلها ترفع قدر الإنسان، ويكفي أن يكون التعليم طريقا للخشية يقول تعالى:"إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء" [٥٠٧]. وفي إسناد التعليم إلى

---

(500) البقرة(٢٤).
(501) البقرة(٢٤).
(502) البقرة(٣١).
(503) البقرة(٣٠).
(504))الرحمن(٢).
(505) الرحمن(٤)
(506) البقرة(١٥١)
(507) فاطر(٢٨).

الله تعالى حينا وإلى رسوله حينا آخر ربط بين إطاعة أمر الله وإطاعة رسوله، لما يترتب عليه من عظيم الفائدة في الدنيا والآخرة.

والفعل (فضَّل) الذي ورد في سورة البقرة في ثلاثة مواضع، وتفضيله تعالى يعني اختصاصه وتمييزه للمُفضَّل، وجاء في وصف إنعامه تعالى على بني إسرائيل في قوله تعالى : "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضَّلتكم على العالمين" [٥٠٨]. حيث فضَّلهم بالمكانة والشريعة وجعلهم ملوكا دون أمم عصرهم، وفيه تفضيل على تفضيل؛ ذلك أن الله تعالى فضَّل آدم على غيره من الخلق، وفضَّل بني إسرائيل على أهل زمانهم، فهذه زيادة ومضاعفة للفضل. ولمَّا كان التفضيل مقصودا موجها كان الغرض من التذكير به استجلاب الطاعة واستقبال القرآن بما يليق بالمُنعم من الانقياد والتسليم لأمره.

كما كان الفعل(فضَّل) في الآية الكريمة دليلا باهرا على صحة القرآن وصدق محمد (صلى الله عليه وسلم)، ذلك أن الخطاب فيها موجه لليهود الحاضرين زمن الدعوة الإسلامية من الأحبار أهل العلم بالتوراة التي جاء فيها ذكر أخبار أسلافهم وأمور هم فيها مختصون بها عالمون ، ومجيء القرآن عليها وذكرها والتذكير بها دون أن يسبق لمحمد (صلى الله عليه وسلم) علم بها أو معرفة بالكتب السابقة دليل أن ذلك لم يصل إليه إلا بوحي من الله تعالى، فيكون ذلك دليلا باهرا ، ويكون أدعى لإيمانهم.

والفعل(نجَّى) الذي ورد في السورة الكريمة في موضع واحد في قوله تعالى:"وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم" [٥٠٩]. وجاءت في معرض تذكير بني إسرائيل نعمة خاصة من نعمه تعالى عليهم وهي تنجيتهم من آل فرعون.

ويظهر عظم النعمة بمعرفة ما كان يلاقيهم من العذاب، فكانت تنجيتهم من عظيم النعم عليهم التي حفظت حياتهم آنذاك ومهدت لنعم تالية، وحفظت نسلهم إلى حين ظهور الدعوة الإسلامية. وفي ذكر أخبارهم التي يعدون أنفسهم بها أهل علم

(508) البقرة(٤٧).
(509) البقرة(٤٩).

وفضل على الناس، ما يشهد بإعجاز القرآن الذي جعل علم الخاصة منهم علما إسلاميا عاما، وتوبيخ لهم على كتمهم ما جاء في التوراة، وأن تصرفاتهم ليست من أخلاق أهل العلم والإيمان، إذ كانت مقابلة النعم بالشكر والطاعة أولى وأجدر، لكنهم لم يفعلوا وحوَّلوا نعم الله لهم نقما عليهم.

وفي ذكر القرآن أخبار التوراة إلغاء لتعدد الاحتمالات الدلالية، الأمر الذي يشكل عنصر جذب وتواصل بين النص والمتلقي الذي يخلق استجابة قوية كقوة الدلالة في كميتها وكيفيتها في صيغة (فعَّل) وهي قوة تتضمن الإيضاح والإفهام بما لا يترك بابا للجدل.

والفعل(زكَّى) الذي ورد في ثلاثة مواضع الذي يشكل هدفا من أهداف السورة، والأفعال الواردة في سورة البقرة إما تزكية أو بعد عن التزكية. إن سورة البقرة بوصفها سورة مدنية تعنى بالتشريع المنظم حياة الناس في ظل دولة جديدة، دولة الدين والدنيا، فإن المفردات المستخدمة ستهدف إلى سلامة التطبيق، وستكون خيارات الكلام فيها محققة هذا الهدف، لذا نجد أن الجملة الفعلية احتلت مساحة كبيرة من السورة، ذلك أن بناء الدولة يحتاج إلى الأفعال التي تؤسس لدولة وحضارة قوامها العمل الصالح.

والتزكية ثمرة للعمل الصالح الذي يمس جوانب الحياة اليومية للمؤمن؛ فالإيمان تزكية للنفوس، والصلاة تزكية للأبدان، والإنفاق تزكية للمال، والتعليم تزكية للعقول، فتغدو الحياة سلسلة من الزكاء القابل للتجدد والزيادة.

ثالثا: صيغة (فعّل) وعلاقتها بالمتلقي

في قوله تعالى:"وإن كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"[٥١٠]. وهي تحيلنا إلى آيتين: الأولى

(510) البقرة(٢٣).

من حيث المحتوى في قوله تعالى "ذلك الكتاب لا ريب فيه"[٥١١]، والثانية من حيث صنف المتلقين وهم المخاطبون في الآية موضوع الحديث في قوله تعالى:"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٥١٢]. وبالربط بين الآيات نجد الآية الأولى تقر أن القرآن حق، والآية الثانية تؤكد عدم انتفاع الكافرين بهديه، أما الآية موضوع الحديث فجاءت لتحدي هذا الصنف من المنكرين.

والتحدي يدفع الإنسان للاجتهاد في كسب التحدي، فهم بهذا النص مدفوعون لإثبات ادعائهم، وجاء الطلب إليهم تنزيل سورة بلفظ التنزيل تسهيلا لشروط التحدي؛ إذ التنزيل يعنى المهلة والإتيان بها على دفعات، وتسهيل آخر من حيث الكم إذ طولبوا بسورة واحدة فقط، والسورة لا يشترط فيها الكثرة كأمثال البقرة، بل يكفي أن تكون أشباه أصغر سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة الكوثر.

والسورة عندهم بمنزلة قصيدة الشاعر و خطبة الخطيب[٥١٣]، والمقصود طرح موضوع كامل يعرض فكرة أو مجموعة أفكار مترابطة، وكان من تسهيل أمر التحدي عليهم السماح لهم بالاستعانة بشركائهم المزعومين من دون الله. لكن استجابتهم تمثلت بالعجز عن الفعل ولا يملكون إلا القول الباطل الذي لم يتمكنوا من إثباته، وإذا كانوا عنه عاجزون وهم أهل البلاغة والفصاحة فغيرهم ممن لا يعرف العربية أعجز، فكان عجزهم الدال على زيف ادعائهم وبطلانه دليلا آخر، يؤكد صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) وصدق القرآن، وكان توبيخا لهم على سوء تلقيهم وانعدام انتفاعهم بالقرآن الكريم، وهذا يدعوهم لاستجابات أخرى أولها التوقف عن تكذيب القرآن الذي لم يستطيعوا مجاراته، واتقاء النار وهي ما ينتظرهم إن استمروا فيما هم عليه.

وفي قوله تعالى:"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" [٥١٤]. وفيه تظهر مسألة هامة تتعلق بالمتلقي وهي معرفته مادة الخطاب، وهي هامة لحدوث التواصل بين المرسل والمتلقي حول النص، وهذا

(511) البقرة(١).
(512) البقرة(٦).
(513)انظر التحرير والتنوير، ج١، ص٣٣٧.
(514) البقرة(٤٧).

يعني توقع بني إسرائيل المتلقين في الآية الكريمة العناصر المعنوية التي سترد في الآية، لتتوقف كل الاحتمالات الأخرى، يكتسب المتلقي في هذه الآية أهمية خاصة، إذا عرفنا أن المقصود هم أحبار اليهود ممن عاصر الدعوة الإسلامية، وهم أكثر الناس علما بهذا النص، وهم أهل العلم وخاصة الناس، والناس يثقون به، وموضوع التفضيل معروف لديهم في التوراة، ليتخذ النص طابع المواجهة، وتحظى الآية بأعلى درجات الإبلاغ.

ولما كان النص القرآني متلاقيا تماما مع النص التوراتي في موضوع الخطاب، فإن الاستجابة الطبيعية أن يؤمنوا بالقرآن المصدق للتوراة ويقبلوه، وإذا عرفنا أنهم أمروا في التوراة أن يؤمنوا بمحمد عند ظهوره، بات إيمانهم أمرا حتميا، لأن إيمانهم بالقرآن تأكيد لإيمانهم بالتوراة. لكن الغريب أن يتحقق لهم كل ما يؤكد صدق محمد ثم يكفرون به! وهي استجابة تدل على ما في نفوسهم من الحقد والحسد اللذين كانا الدافع للكفر.

وفي قوله تعالى:"وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٥١٥]. وهو خطاب آخر لأحبار اليهود، وتذكيرهم بنعمة عظيمة وهي تنجيتهم، التي ضمنت بقاءهم واستمرار حياتهم وتصييرهم ملوكا بعد أن كانوا عبيدا، وجعلهم أهل شريعة عظيمة، الأمر الذي حفظ حياتهم حتى زمن الدعوة الإسلامية لأن الحاضرين مستفيدون من تنجية أسلافهم، واختصاص الله تعالى لهم بهذه النعمة توجب الشكر والطاعة اللذَيْن يدلان على سلامة الفطرة، وحسن التفكير والتدبير، ونقاء السريرة، لكن ملاقاتهم النعمة بالكفر والنكران يدل على عقل منحرف ونفس حاسدة، لا يطمأن لها ولا يوثق بها.

وفي قوله تعالى:"سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب" [٥١٦]. حيث يشير الفعل (بدَّل) إلى تاريخ حافل بتبديل اليهود نعم الله عليهم، وأن التبديل طال نعما عديدة، والآن يكذبون محمدا

(515) البقرة(٤٩).
(516) البقرة(٢١١).

(صلى الله عليه وسلم)، وفي الفعل (بّدَل) تأكيد بأن الكفر صار طبعا ملازما، وأنه الاستجابة الوحيدة التي سيقدمونها. وما فعلوه سابقا يكررونه اليوم.

ووردت في سورة البقرة أفعال أخرى على صيغة (فعَّل) تدور في فلك التبديل وتعبر عن حالات خاصة من التبديل، كالفعل (حرَّف) في قوله تعالى:"أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه"[٥١٧]. القائم على العلم والمعرفة، وعملية التحريف طالت كلام الله. ونحوه(حدَّث) في قوله تعالى:"وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم "[٥١٨]. الوارد في لومهم بعضهم على مصارحة المسلمين بأمر محمد في التوراة، ويتلاومون على صدق بعضهم، ولا يتلاومون على تحريف كلام الله وتبديل نعمه! وفي قوله تعالى:"ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون"[٥١٩]. وهي خطاب خاص لأهل الإيمان، وفيها الفعل(بيَّن) الدال على الوضوح والتعليم والإرشاد، وقد تكرر فعل التبيين بعد عدد من التشريعات الخاصة كاختيار الزوج الصالح، وأحكام الطلاق، والوصية، والإنفاق، فكانت التشريعات واضحة بينة، وهنا تظهر أهمية دور المتلقي في حسن الأخذ والفهم والتطبيق، ويكون الله تعالى أرسل رسالته للرسول والمؤمنين وهي وظيفة أساسية لقيام الدولة، وهم يطبقون ويبينون، ولا نقع في أخطاء أهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم عهدا في قوله:"وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس" [٥٢٠]. ولم يفعلوا فاستحقوا التنحية عن الريادة.

وقد ورد في السورة الكريمة أفعال تدعم دلالة التبيين كالفعل(علَّم) و(زكَّى) في قوله تعالى:"كما أرسلنا فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" [٥٢١]. حيث كان إرسال رسول من العرب يتحدث لغتهم مزيدا من الامتنان عليهم ومزيدا من التبيين، الأمر الذي يرفع درجة الإعلام والإيصال، ويهيئ العقول والنفوس للاستجابة المطلوبة، وما حسن

(517) البقرة(٧٥).
(518))البقرة(٧٦).
(519) البقرة(٢١٩).
(520) آل عمران(١٨٧).
(521) البقرة(١٥١).

تلقيهم لهدي القرآن إلا تعبير عن سلامة عقولهم ونفوسهم وأهليتهم للقيادة، وبهذه الاستجابة نالوا المكانة العالية.

المبحث الثالث

التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي.

أولاً: الأشكال التركيبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة.

الشكل الأول:[٥٢٢]

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(على) + مجرور اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + ج(على) + مج(ظ).

مثاله قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما **نزَّلنا على** عبدنا فأتوا بسورة من مثله"[٥٢٣].

الشكل الثاني:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "**وبشِّر الذين** آمنوا"[٥٢٤].

الشكل الثالث:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به أول اسم ظاهر + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف١(ظ) + مف٢(ظ).

مثاله قوله تعالى: "و**علَّم آدم الأسماء** كلها"[٥٢٥].

الشكل الرابع:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول ضمير متصل + حرف الجر(على) + مجرور اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف١(ضم) + ج(على) + مج(ظ).

مثاله قوله تعالى: "**فضَّلتكم على العالمين**"[٥٢٦].

---

(522) معاني الرموز المستخدمة ص(٥٩)

(523) البقرة(٢٣).

(524) البقرة(٢٥).

(525) البقرة(٣١).

الشكل الخامس:

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(على) + مجرور ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ضم) + ج(على) + مج(ضم) + مف (ظ).

مثاله قوله تعالى: **"وظلَّلنا عليكم الغمام"**[٥٢٧].

الشكل السادس:

فعل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به اسم ظاهر

ف + فا(ظ) + مف(ظ)

مثاله قوله تعالى: **"فبدَّل الذين ظلموا قولا** غير الذي قيل لهم**"**[٥٢٨].

الشكل السابع:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول ضمير متصل + مفعول به ثان محذوف.

ف + فا(ضم) + مف١(ضم) + مف٢ Ø.

مثاله قوله تعالى: "سبحانك لا علم لنا إلا ما **علَّمتنا"**[٥٢٩].

الشكل الثامن:

فعل + مفعول به ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر.

ف + مف(ضم) + فا(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"لولا يكلِّمنا الله"**[٥٣٠].

الشكل التاسع:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به أول ضمير متصل + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف١(ضم) + مف٢(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"ولا تحمِّلنا ما** لا طاقة لنا به**"**[٥٣١].

---

(526) البقرة(٤٧).
(527) البقرة(٥٧).
(528) البقرة(٥٩).
(529) البقرة(٣٢).
(530) البقرة(١١٨).

الشكل العاشر:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول ضمير متصل + حرف الجر (الباء) + مجرور اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف١(ضم) + ج(الباء) + مج(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"أتحدثونهم بما** فتح الله عليكم**"**[٥٣٢].

ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فعَّل) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي

إن دراسة التشكلات الأسلوبية في إطار السياق هي الأساس في الكشف عن الدلالة؛ ذلك أن المادة اللغوية بعناصرها المتعددة من معجم ونحو وصرف تتآزر للإبانة عن الدلالة التي يقدمها النص.

في قوله تعالى:"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين"[٥٣٣]. والآية حجة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، والخطاب فيها موجه لمشركي العرب ومنافقيهم والكفار من أهل الكتاب. وهم لا يكتفون بالكفر بل يحاولون الإساءة للدعوة بتشكيكهم وارتيابهم تجاه الدعوة والرسول والقرآن. وفي"إن كنتم في ريب" اشتراط إحضار أشباه ما يرتابون تصديقا لارتيابهم. والفعل (نزَّلنا) تأكيد اختصاصه تعالى بهذا الفعل، وهو اختصاص موجه لسيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم)"على عبدنا" والدليل ما بين أيديهم من نص مُعجِز.

والفعل (نزَّلنا) يصف طبيعة النص المُنزَّل، فالكمية كبيرة ولكنها كمية مقترنة بكيفية خاصة، ذلك أن تنزيل الشيء متفرقا دلالة على العناية به وأهميته التي وصلت حد الكمال والإعجاز، ولمزيد الاهتمام والعناية أسنده تعالى إلى نون العَظَمَة، تعبيرا

([531]) البقرة(٢٨٦).
([532]) البقرة(٧٦).
(533) البقرة(٢٣).

عن عِظَم الحدث وكافة الأطراف التي طالها. وهو معنى تحصَّل بتضعيف عين (نَزَلَ) الذي أوجد دلالة إضافية تدل على حدث له كيفيته المُميزَة.

وكما بدأت الآية بالشرط في:"وإن كنتم في ريب"، انتهت بالشرط في:"إن كنتم صادقين" وتوسطهما قوله تعالى:"فأتوا بسورة من مثله" ليكون ارتيابهم وحده غير كاف لرد القرآن الكريم، وأن عليهم أن يأتوا بشيء يسير لتصديق دعواهم، ولما كانوا غير قادرين نزل ارتيابهم منزلة العدم، فلا يعتد به ولا ينظر فيه، فكانت هذه الآية حجة لمحمد وتثبيتا للمؤمنين.

ويلاحظ أنه استخدم (الريب) في وصف موقفهم، وليس الشك أو غيره، لأن الريبة وهْمٌ لا دليل يدعمه، أما الشك فيدل على وجود دلائل تدعمه، ويلاحظ أيضا أنه قال: "فأتوا بسورة من مثله" ولم يقل: فأتوا بسورة مثله، زيادة في التحدي، فهم عاجزون عن أن يأتوا بشيء من مثله، فكيف بمثله؟.

وقال تعالى:"وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" [٥٣٤]. والفعل (علَّم) تعدى إلى مفعولين: آدم والأسماء، وفي زيادة الفعل ليتعدى إلى مفعولين توسيع لدائرة الحدث، والعناية بأطراف أكثر من مفعول واحد، ووجود مفعولين لفعل واحد يدل على شدة التلازم والترابط بينهما. فالفعل المتعدي لمفعولين يسهم في ربط دلالته بعناصره، وربط العناصر ببعضها في إطار دلالته.

إن اختيار التركيب الفعلي في "علَّم آدم الأسماء" تعبير عن قدرة الله تعالى على الإحداث، وتعبير عن حالة التجدد والاستمرار، ويقدم وصفا دقيقا للحدث الذي يدل على فاعله، وبتوجه هذا الفعل باختياره وقوته، تبرز أهمية المفعول الأول لأنه غاية الفعل، وأهمية المفعول الثاني الذي يضيف إلى الأول خصوصيته. وهذه الدلالة التي جعلت آدم عليه السلام مفضلا على سائر الخلق، هي التي جعلته مؤهلا لخلافة الله، ومن صور عنايته تعالى بآدم ذكر اسمه صراحة. وفعل على هذه الدرجة من الأهمية يجب أن يسود وينتشر.

---

(534) البقرة(٣١).

وبالانتقال إلى آيات أخرى ورد فيها الفعل (علَّم)، نجده تعالى ينقل مهمة التعليم لرسوله (صلى الله عليه وسلم) تشريفا وتكريما في قوله: "ويعلمكم الكتاب والحكمة" [٥٣٥]. وهو التعليم الذي يوقظ غفلة القلوب ويفتح العقول، ويرشد النفوس لما فيه صلاحها من الالتزام بأمر الله واجتناب نواهيه لأن التطبيق هدف العلم وبتطبيق العلم يتم المقصود من خلافة آدم. وقال تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضَّلتكم على العالمين" [٥٣٦]. وفيه خاطب الله تعالى اليهود ب "بني إسرائيل"

وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ومعنى إسرائيل: صفوة الله، وفي نسبتهم إلى يعقوب وتذكيرهم بأصلهم الطيب، وفي ذلك استجلاب لاتِّباعه والاقتداء به. وفي الصفوة ما يدل على التكريم والتفضيل ومناداتهم ب (يا) تكريم آخر بتوجيه الخطاب لهم، كتكريمه تعالى لآدم في قوله: "يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" [٥٣٧]. وتذكيرهم بيعقوب تذكير بنعمة إرسال الرسل، وبما لديهم من شريعة، فُضِّلوا بها على غيرهم، فكانوا مميزين بما أُعطوا. وقوله تعالى:"اذكروا" يشير إلى غفلتهم وبعدهم عن دين الله وأوامره، وما يُذكَّرون به ليس أمرا عاديا إنه "نعمتي التي أنعمت عليكم"، والإنعام فعل مقصود يدل على إكرام المُنعَم عليه. وقوله: "وأني فضَّلتكم على العالمين" الذي بدأ بأداة التوكيد التي دلت على قوة التفضيل، وكانت (ياء) المتكلم المتصلة بأداة التوكيد العائدة على الله تعالى، مُضاعفة لهذه القوة. ومن مزيد التفضيل أن كان "على العالمين" من أهل زمانهم. وجاءت هذه الآية فاتحة لمجموعة من النعم على وجه التفصيل.

لقد تضمن الفعل (فضَّل) بدلالته على الكثرة والتعدد الأمر بالطاعة دون ذكرها، ذلك أن النفوس تميل لتقبل أمر المُنعِم استبقاء لها. وتكررت الآية بنصها الحرفي [٥٣٨]. وجاء بينهما ذكر نعم الله على بني إسرائيل كتنجيتهم، وإغراق عدوهم، وإرسال الرسل، وإيتائهم الكتاب، وإنزال المن والسلوى، وتظليلهم بالغمام، ومعجزة

---

(535) البقرة(١٥١).
(536) البقرة(٤٧).
(537) البقرة(٣٥).
(538) تكررت في البقرة (١٢٢).

البقرة التي سميت السورة باسمها، وفي تكرير الآية تذكير بكثرة النعم منعا لحسدهم، وفي الوقت نفسه تعريض بحسدهم المسلمين، إذ رغم كل ما آتاهم الله ينظرون بعين الحسد، لأن انتقال الرسالة للعرب انتقال للريادة منهم للعرب، لكنه انتقال له مسوغاته، فمقابلة النعم بالكفر والنكران يستوجب انتقال الرسالة إلى قوم يحفظون نعمة الله ويحرصون عليها.

وفي قوله تعالى: "سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب" [٥٣٩]. وهي تؤكد تعدد و كثرة الآيات التي أوتيت بني إسرائيل الدالة على قدرة الله. و(كم) استفهامية. والمقصود سؤالهم عن ملاقاتهم النعم بالشكر والعبادة، فكان الاستفهام تقريعا لهم. و"كم آتيناهم" استمرار في التقريع، لأن الإيتاء اختصاص بالإنعام والإعطاء.

ومن عظيم الكفر ملاقاة الآيات بالتبديل، أي: العمد إلى تغيير آيات الله الواضحة. و(مَنْ) عامة تعني كل مُبدِّل نعمة، وزاد من سوء التبديل أن ما بدلوه كان خاصة لهم وبين أيديهم وهذا أدعى للحفاظ لا التشويه. والفعل (بدَّل) يدل على وصول الآيات ومعرفتها وفهمها. وصيغة المضارعة في (يبدِّل) تدعم معنى العموم في (مَن) لأنه يدل على الاستمرار وتجدد الحدوث، فشمل التبديل اليهود ومن فعل فعلهم، وقوله: "من بعد ما جاءته" تأكيد وصول النعمة التي كان الأصل أن تُصَان وتُشكَر، وهذا التبديل كان رائده هواهم، وعن علم وتخطيط، فالفعل (بدَّل) جزء من خطة عمل مدروسة، كأسلوب لمواجهة الدعوة الإسلامية وإيقاف مدها، وهذا يُظهر سفههم وحسدهم، وهذا النمط من التلقي حال دون الفهم السوي الذي يؤدي بلا شك إلى الإيمان، إن وجود علامات صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة التي أكدها القرآن، تؤكد أن اليهود ليسوا أهلا للثقة ولا يُؤمن جانبهم، وعلى المسلمين الحذر منهم. وفي هذه الآية تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) في استبطاء إيمانهم، وتثبيت للمسلمين؛ فتاريخهم من كفرهم برسلهم وتبديل نعم الله يخبرنا ذلك.

---

(539) البقرة(٢١١).

وقولـه تعـالى:"فـإن الله شـديد العقـاب" جـواب الشـرط "ومـن يبـدل" ليكـون الجواب خاتمة القول في كل من تجرأ على نعم الله بالتبديل، وجاء اسم الجلالـة (الله) يعطي مهابة ويربي الخوف من الله عز وجل، ومراقبته تعالى في كل شأن من شؤون حياتنا، واختار تعالى لفظ (العقاب) ليدل على أن عذابه عقب الذنب فاستحقوه.

وفي قوله تعالى: "أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" [٥٤٠]. والتحريف فعل أكثر خصوصية من فعل التبديل في الآية السابقة، ذلك أن التبديل كان شاملا نعم الله والكتاب أحدها، أما التحريف فهو خاص بتغيير كلام الله. وبدأت الآية باستفهام تعجبي، وفيه تيئيس من إيمان اليهود، (وقد) الواو للحال وقد للتحقيق المؤكدة للحدث الذي يرقى إلى درجة المشاهدة. ويأتي التحريف ليعبر عن شدة الكفر وسوء الحال عندما يصدر عن أهل العلم من اليهود، الذين تجردوا من أخلاق العلماء، وآثروا عَرَض الحياة على سعادة الدنيا والآخرة، والمراحل التي مرت بها عملية التحريف تعبر عن الجرم العظيم الذي أوقعوا أنفسهم فيه: فقد سمعوا كلام الله وعقلوه وفهموه وصاروا به علماء ثم قاموا بتحريفه.

وجاء حرف العطف (ثم) ليؤكد الفهم والتمهل والتعمد، لأن هذا التحريف كان له هدف خاص هو تغيير الحقائق، وتغيير صفات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كتابهم، ليكون تحريفهم دليلا لهم أمام الناس يكذب محمدا (صلى الله عليه وسلم). وقوله "كلام الله" يدل على أن أيديهم امتدت لتطال ما لم يكن لها أن تطاله. وكلها تدل على عِظَم الجرم.

وفي قوله تعالى:"كما أرسلنا فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون"[٥٤١]. الذي كان إجابة لدعوة إبراهيم[٥٤٢]. في سورة البقرة. وجاءت هذه الآية عقب الحديث عن التوجه للقبلة، الذي كان من تمام النعمة على المسلمين. وقوله: "كما" متعلقة بتمام النعمة، ومتعلقة

(540) البقرة(٧٥).
(541) البقرة(١٥١).
(542) البقرة (١٢٩).

بقوله: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" [٥٤٣]. والمعنى: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا. فإرسال الرسول من الإنعام ومن تمام هذا الإنعام أن كان منهم ويتكلم لغتهم "يتلو عليكم آياتنا"، ومن فضل الله على المسلمين أن أنعم عليهم بالتزكية، ففي الإرشاد إلى الصلاح تطهير للنفوس من الذنوب وأرجاسها. "ويعلمكم الكتاب والحكمة" وهو القرآن بوصفه منهج حياة ودستور دولة، إذا طبقته وحافظت عليه ارتفع شأنها وكانت قائدة الأمم. "والحكمة" مترتبة على التعليم.

"ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" وهي أخبار الأنبياء وقصص السالفين مما لم يكن للعرب به علم قبلا، وكان من تمام الإنعام على العرب أن كان الرسول منهم وللبشر كافة وخاتما للرسالات، فحملوا بذلك لواء الدعوة لهداية البشرية.

ومن صور التكريم والتشريف أن توجه الخطاب لهم بضمير المُخاطَب. وفي تنكير كلمة (رسولا) تعظيم له (صلى الله عليه وسلم) وبهذا التنكير تتوجه كل الصفات في الآية نحوه، وفي قوله: "منكم" و"فيكم" ما يمهد وييسر التقبل وحسن الأخذ والتلقي؛ فاستخدم حرف الجر (من) حين أراد الدلالة على قربه منهم، واستخدم حرف الجر (في) متعلقا ب(أرسل) ولم يستخدم: أرسل إلى، ليدل على الظرفية المجازية المعنوية التي تعني مكانته فيهم، وقربه منهم، فهو منهم وإليهم.

وتقدمت صفات الرسول الشخصية من النسب والنشأة "لأن معرفة ذات الشخص متقدمة على معرفة ما يصدر من أفعاله" [٥٤٤]. فتقبُّل أفعال الشخص متوقف على تقبل شخصيته، ولما كان الرسول معروفا بصفاته ونسبه، كان قبول الرسالة محتاجا دليلا، وفي"يتلو عليكم آياتنا" حيث ثبَّت الله تعالى رسالته بمعجزة خالدة، وأضاف الله تعالى الآيات له تعبيرا عن أهميتها، وتلاوتها تمهيد للنظر والتدبر، ثم جاء الفعل"ويزكيكم" وهو ناشئ عن زكاء النفس وطهارتها، ولكنه فعل يحتاج إلى سعي وتحصيل، وفي وجوده تهيئة للتعليم وتلقي الشريعة والأحكام. وتقدم ذكر الآيات على الكتاب لأن الآيات معجزة، والكتاب كتاب تشريع ومنهج حياة ودوله، وتقدمت التزكية على التعليم لأن المقصود بالتزكية الشهادة لهم بأنهم أزكياء، وزادهم التعليم

(543) البقرة(١٥٢).
(544) البحر المحيط، ج٢، ص٤٧.

تزكية. وفي ذلك بعث للنفوس على ما ينفعها. والمسلمون بذلك ينالون شرف نقل الرسالة للأمم الأخرى، ويكون تبليغ الرسالة عبر أمة كاملة، الجميع فيها مسئول.

وبالنظر في الصيغة الزمنية للأفعال الواردة في الآية، نجد الفعل (أرسلنا) ماضيا لأنه تحقق ولا إرسال بعده، أما ألأفعال (يتلو) و(يزكيكم) و(يعلمكم) فجاءت مضارعة دالة على الاستمرار والتجدد، وبقدر سعي المسلم لتحصيلها يمتد أثرها في النفس، وصيغة المُضَارَعَة تتفق ومفهوم الزكاء وهو النماء الذي يزداد مع الوقت، ولحصول مجمل الفائدة وعمومها جاء قوله تعالى: "ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" الذي جاء عاما بعد خاص، وهو في إطار النعم صورة لتمام النعمة.

وفي قوله تعالى: "ولمَّا برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"[٥٤٥]. و(لمَّا) ظرفية تدل على زمان الحدث، والفعل "برزوا" يصف مكانه أي: صاروا في مكان بارز. حيث صار جالوت وجنوده على مرأى منهم، فزعوا إلى الدعاء الذي يظهر فيه الخضوع والتذلل والحاجة. وهو حال من أحوال المؤمنين.

وجاء قولهم "بلفظ الرب الدال على الإصلاح وعلى الملك ففي ذلك إشعار بالعبودية" [٥٤٦]. ونجد ثلاثة أفعال أمر دالة على الدعاء: "أفرغ علينا صبرا" و"ثبت أقدامنا" و"انصرنا على القوم الكافرين". ليحتل فيها الفعل (ثبِّت) موقع القلب ويشكل البؤرة التي تلتف حولها الأحداث الأخرى. وترتبط به بسبب من الأسباب. "وثبِّت أقدامنا" تحتمل أمرين: الأول على وجه الحقيقة وهو ثبات القدم في الحرب، والثاني مجاز المقصود به: تقوية القلب وتشجيعه على الجهاد والإقدام عليه. وكلاهما وارد هنا. فيكون الصبر في "أفرغ علينا صبرا" زادا ومحرضا على الثبات، وتصبير النفس تثبيت لها، وتقويتها على الجهاد تثبيت أيضا. ويكون الفعل "وانصرنا" نتيجة للتثبيت، فالفعل (ثبِّت) هو مركز الأحداث والأفعال (أفرغ) و(انصرنا) طرفاه، يسبقه الصبر ويعين عليه، ويلحقه النصر ويأتي نتيجة له.

---

(545) البقرة(٢٥٠).
(546) البحر المحيط، ج٢، ص٥٩٢.

ومن جميل دعاء المؤمنين مخاطبة الله تعالى ب (ربنا) إقرار بالوحدانية والعبودية، لذا قالوا: "وانصرنا" أي: أعنا. وهو إقراراً يوجب التثبيت. في حين كان وصف الفريق الثاني: "القوم الكافرين" وهو وصف يقتضي الخذلان. وبالنظر إلى معنى "ثبِّت أقدامنا" نجد معنى الثبات على دين الله، وهو فعل نفسي يظهر أثره على الجوارح، وطلب ثبات القلب النفسي يُترجَم إلى ثباتٍ حسي في ساحة المعركة، فيكون تثبيت القلب فعلا وسلوكا يوميا تظهر آثاره في الأوقات الصعبة، وفيه تعليم للمسلمين كيفية الدعاء المستجاب وهو ما ختمت به سورة البقرة.

الفصل الثالث

صيغة (فُاعَلَ)

المبحث الأول: الدلالة المعجمية لصيغة(فاعل) في سورة البقرة.

المبحث الثاني: التشكلات الأسلوبية لصيغة(فاعل) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال.

المبحث الثالث: التشكلات الأسلوبية لصيغة(فاعل) في ضوء السياق اللغوي.

المبحث الأول

الدلالة المعجمية لصيغة (فاعل) في سورة البقرة.

أولا: معاني الزيادة في صيغة (فاعَلَ) كما تتجلى في كتب الصرف.

تأتي "صيغة (فاعل) لازمة ومتعدية، وأكثر ما تجيء من اثنين، وقد تجيء من واحد"[٥٤٧]. وهي كغيرها من الصيغ المزيدة لها معان عدة وهي: المفاعلة أو المشاركة، وهي الدلالة على أن الفعل حادث من الفاعل والمفعول معا نحو: شاركته[٥٤٨]. والمبالغة والتكثير نحو: ضاعفت الأجر والموالاة والتتابع نحو: تابعت الدرس وبمعنى الفعل المجرد نحو: سافرت[٥٤٩]. وتجيء بمعنى جعل الشيء ذا أصله كأفعل وفعَّل نحو: راعنا سمعك، أي: اجعله ذا رعاية لنا كأرعنا، وناعمه الله كنعَّمه أي أكثر نعمه، وعافاك الله أي: جعلك ذا عافية[٥٥٠]. والدعاء نحو: بارك الله لك، ومنه قوله تعالى: "قاتلهم الله أنَّى يؤفكون"[٥٥١].

ثانيا- الدلالة المعجمية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة.

تأتي (فاعل) بدلالات معجمية وإليك أمثلة من هذه الصيغة ودلالاتها المعجمية قبل الزيادة وبعدها: كالفعل (خَدَعَ) "خدعه يخدعه خَدْعاً وخِداعاً أي أراد به المكروه من حيث لا يعلم وخُلُقٌ خادع أي متلون"[٥٥٢] "والخَدْع إظهار خلاف ما تخفيه. والعرب تقول خادعت فلاناً إذا كنت تروم خَدْعه. والخَيْدع الذي لا يوثق بمودته. قال ابن الأعرابي: الخَدْع: منع القلب من الإيمان"[٥٥٣] وفي قوله تعالى: "يخادعون الله الذين آمنوا" المُخَادَعة "إظهار غير ما في النفس ذلك أنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان والخادع الفاسد"[٥٥٤].

---

(547) المبدع في التصريف، ص١١٢.
(548) السيد، عبد الحميد مصطفى،المغني في التصريف، ط١، دار صفاء، عمَّان، ١٩٩٨م، ص١٤٢.
(549) السابق، ص١٤٢.
(550) شرح الشافية، م١، ص٩٩.
(551) في تصريف الأفعال، ص٧٧.
(552) الصحاح، مادة (خدع).
(553) اللسان، مادة (خدع).
(554) التاج، مادة (خدع).

فالخدع سلوك مذموم، يعبر عن نفس مريضة وعقل فاسد الرأي والنظر، والمُخادِع لا يُطمَأن لصحبته، والخَدْع التصدي للحق بأساليب خفية، والمخادعة بزيادة ألف المفاعلة إيقاع المخادعة عن قصد وتخطيط، لتمرير أمر ما وإلحاق الفساد بالآخرين بالحيلة والتلون والسعي الجاد لتحقيق مكاسب خاصة، فهو جزء من خطة شخصية وغيرية، فحدود المخادعة تتعدى الفاعل إلى المفعول.

وفي سورة البقرة جاء الفعل خادع بقوله تعالى: "يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"(٥٥٥)."وخداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل" (٥٥٦)ويقدم فعل المخادعة صورة واضحة عن معتقد المنافقين"وظنهم أن الله ممن يصح خداعه"(٥٥٧)"والخدع هو فعل أو قول معه ما يوهم أن فاعله يريد بمدلوله نفع غيره وهو إنما يريد خلاف ذلك ويتكلف ترويجه على غيره ليغيره عن حالة هو فيها أو يصرفه عن أمر يوشك أن يفعله"(٥٥٨). فالمنافقون يقومون بالخيانة للتخريب على المؤمنين. وللمخادعة أشكال: بالقول، أو الفعل، ليحقق المُخادِع هدفه. إن صيغة المفاعلة في الفعل (خَادَعَ) تعني وجود طرفين يتبادلان التأثر والتأثير بالفعل، والفاعل هو البادئ، والمُخادَعَة علامة من علامات النفاق تُضاف إلى قائمة النفاق من الكذب والإفساد.

والفعل (واعد) "والوعد يستعمل في الخير والشر. قالوا في الخير الوعد والعِدَة وفي الشر الإيعاد والوعيد"(٥٥٩)." والميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً "(٥٦٠)." واعدنا من اثنين، والموعد العهد، وفي قوله تعالى : "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة"(٥٦١) فاستخدامه هنا جيد لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله وعد ومن موسى قبول واتباع فجرى مجرى المواعدة"(٥٦٢) .

---

(555) البقرة (٩)
(556) جامع البيان، ج١ ص٢٧٢
(557) الكشاف، ج١، ص١٧٣.
(558) الصحاح، مادة (خدع).
(559) الصحاح، مادة (وعد).
(560) المحيط في اللغة، مادة (وعد).
(561) البقرة(٥١).
(562) اللسان، مادة (وعد).

إن الانتقال من (وعد) إلى (واعد) انتقال من العام إلى الخاص، إلى خصوصية المكان والزمان اللذين يُخصصَان الحدث وتظهر شخصية المُواعَد في استجابته للمواعدة؛ فإذا استجاب كان وفياً، وإن لم يستجب كان مُخلِفاً.

وفي سورة البقرة جاء الفعل (واعد) في قوله تعالى :"وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"[٥٦٣] وفيها يظهر شكل جديد من أشكال المواعدة؛ إذ الشائع مُواعَدة البشر بعضهم والالتقاء، وهنا كان المُواعِد الله تعالى والمواعَدُ موسى عليه السلام "فكان الله عز ذكره لموسى واعدا مُواعِدا له المناجاة على الطور وكان موسى واعدا لربه مُواعِدا له اللقاء"[٥٦٤]. فالمُواعدة تتضمن الزمان و المكان و الموضوع، وكان اقتران المُواعَدة بالزمان والمكان لأن حضور المُواعَدَ فيها، قبوله المواعدة، وعدم حضوره رفض.

والفعل (واعد) في الآية الكريمة يقدم الحدث مصحوبا بدلالة الوفاء و الطاعة والتزام أمر الله وفيه دعوة للمؤمنين لقبول كل ما أمر الله، والوفاء به. وعليه فان المواعدة في هذا الجانب تشكل عهدا ومعاهدة بين الطرفين لأن المُفاعلة هنا لها طرفان فاعلان، طرف قوي يحدد موضوع الوعد والعهد ويضع نصوصه، وطرف متلق يتفاعل مع الفعل. والمواعدة من الله لا تكون إلا لأمر عظيم فيه خير البشر وصلاحهم، إنها الشريعة، وحدث عظيم كهذا يتطلب قبولاً ملائما يكون بالامتثال والطاعة، و بها يكون الوفاء بالوعد وإن لم يكن الوفاء كانت الخيانة.وهذا المعنى يضعنا على المحك فإما أن نكون أوفياء بامتثال أمر الله، أو الخيانة بترك ما أمر الله.

والفعل (حآجَّ)" الحَجُّ: القَصْد. ورجل مَحجوج أي:مَقصود، وقد حج بنو فلان فلانا، إذا أطالوا الاختلاف إليه هذا الأصل، ثم استعمل في القصد إلى مكة للنسك" [٥٦٥] و التَّحاجُّ: التخاصم."قال الأزهري الحُجَّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وحآجَّه مُحاجَّة: نازعه الحُجَّة "[٥٦٦].

---

(563) البقره (٥١)
(564) جامع البيان، ج٢، ص ٥٩.
(565) الصحاح، مادة (حجَّ).
(566) اللسان، مادة (حجَّ).

إن المعنى المعجمي العميق للحج هو القصد باختلاف أشكاله وصوره وأهدافه، ثم تحول هذا المعنى في القرآن إلى مصطلح ديني. محافظا على القصد، لكنه قصد محدود له أزمنته وأمكنته وشعائره الخاصة به. والقصد فيه موجه قلبيا وجسديا لعمل ما أمر الله وعبادته. وطاعته فإذا انتقلنا إلى المعنى السطحي الجديد الحاصل بزيادة ألف المفاعلة على صيغه (فَاعَلَ) ليصير الفعل (حَآجَّ)، وجدناه يحافظ على القصد. لكنه يتوجه نحو أمر وفكرة محددة عنوانها: الخصام. فالمُحاجُّ ينطلق من الفعل بدافع الخصام. ويقصد إثبات أمرٍ يُخالف طرف المُحاجَّة الآخر، وهو المفعول به.

إن المُحاجَّة طريقة تقوم على الجدل، وتكرار الفعل مرة بعد مرة، وبه يقصد الفاعل دفع حجة الطرف الآخر ليثبت رأيه، ولما كان هذا الفعل منطلقا من الخصام ومؤديا إليه، كان مثيرا للفتنة، وناشرا للنزاع بين الناس.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (حاجَّ) في ثلاثة مواضع، جاءت كلها مرتبطة بالمحاجة في الله، ففي قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون"[٥٦٧]. وحديث اليهود الوارد في الآية الكريمة، جاء بعد قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهم: أنقضتم العهد يا إخوة القردة والخنازير. فظنوا أنه سمع هذا من بعض المنافقين من اليهود. فلاموا بعضهم على التحدث بما جاء في التوراة، حول قضاء الله فيهم، وحول صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم).

والفعل (حاجَّ) يعبر عن نظرة الفاعل للمفعول على أنه خصم، واليهود لا يريدون أن تكون التوراة حجة للمسلمين عليهم أمام الله تعالى، وهم أكثر الناس معرفة بصدقه. والمُحاجُّ شخص يدل فعله على عدم التزامه بعهوده ومحاولة التَّفلُّت منها، وشدة حسده الذي يمنعه من معرفة دعوة الآخر واكتشافها فهو مجهز بحجج

(567) البقرة (٧٦).

قديمة. وفي قوله تعالى: "قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم"[٥٦٨]. يدل الفعل (حَآجَّ) على جهل المُحاجِّ لأنه يجادل في الثوابت التي لا يُختَلَف فيها.

والفعل (عاهد) أحد الأفعال الواردة في سورة البقرة على صيغة المفاعلة، "والعهد: الأمان واليمين والموقف والذمة والحفاظ والوصية. تقول: تعاهدته لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين"[٥٦٩]. وكل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، وكذلك كل ما أمر الله به ونهى عنه" [٥٧٠]. فالعهد التزام، والمعاهدة لها طرفان فاعل بادئ، والمفعول المتجاوب وإن اختلفت أشكال التجاوب. ويجمع موضوع المعاهدة طرفاها ويتبادلان الحفاظ عليه؛ فالأصل رعايته وحفظه.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (عاهد) في قوله تعالى:"أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون"[٥٧١]. " والمقصود بالعهد: الميثاق الذي أعطاه بنو إسرائيل ربهم وهو العمل بما في التوراة ، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى"[٥٧٢].

فالمعاهدة نص بين فريقين،النص: التوراة بما فيها من أوامر ونواهٍ ومواثيق خاصة تمهد لمرحلة خاصة قادمة وتهيئ لها. والفريق الأول: الله تعالى وتوجيه المعاهدة من الله اختصاص للمُعاهَد، والفريق الثاني: اليهود ويكون حفظهم العهد والتزامهم به وتكرير الأخذ به وتجديده، من حسن الأخذ والعبادة والشكر، والعمل بالمعاهدة وتنفيذها.

---

(568) البقرة(١٣٩).
(569) الصحاح، مادة (عهد).
(570) اللسان، مادة (عهد).
(571) البقرة(١٠٠)
(572) جامع البيان، ج٢، ص٤٠٠.

المبحث الثاني

التشكلات الأسلوبية لصيغة (فَاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال .

أولا: صيغة (فَاعَلَ) وموضوع الخطاب.

تكمن أهمية البدء بدراسة الموضوع كونه ضابطا لخيارات الكلام وموجها لها، فالبنية التركيبية للنص تتشكل بحسب الموضوع نحوا وصرفا ودلالة.

في قوله تعالى: "يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"(٥٧٣). الذي جاء في وصف المنافقين، في ثلاث عشرة آية كريمة، حيث "خص تعالى بالإطناب صنف أهل النفاق تشويها لنفاقهم وإعلانا لدخائلهم"(٥٧٤). والفعل (يخادعون) في الآية الكريمة جاء على صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة، وأول صور المشاركة التي نلمحها فيه مشاركة المنافقين الكافرين الكفر، وإنما خُصُّوا بحديث منفرد لزيادة زادوها في الكفر وهي النفاق، وهي مشاركة توافقية في المنشأ والهدف.

والمخادعة تصف أفعال المنافقين وأقوالهم، فقوله تعالى: "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين"(٥٧٥). يوضح جزءا من المخادعة وهي هنا بالقول، وتتخذ المخادعة طابعا فعليا يتمثل بتلاعبهم وإخفاء كفرهم ومحاولات الإفساد المختلفة. وفعل المخادعة يعبر عن خصوصية الزمان والمكان، فالمنافقون المخادعون فئة ظهرت بعد الهجرة، وهو توقيت يوافق إنشاء الدولة الإسلامية الجديدة صاحبة الشريعة الناسخة التامة وتأسيسها، بهدف الاطّلاع على أسرار المسلمين، ومعرفة مخططاتهم، وبقصد التخريب وإلحاق الضرر بهم.

أما صورة المشاركة الأخرى في المخادعة فهي مشاركة المسلمين أحوالهم ومعرفة أخبارهم، بالإضافة إلى ما ينالـه المنافقون من هذه المشاركة من حسن المعاملة، وإجراء أحكام المسلمين عليهم، وما ينالهم من الخير وراء ذلك، وهذه

---

(573) البقرة(٩).
(574) الجواهر الحسان، نقلا عن الحاشية، ج١، ص١٧٤.
(575) البقرة(٨)

المخادعة في إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وفعل كل ما من شأنه الحفاظ على هذه الهيئة لينالوا الحظوة في استمرار هذه الحال. ودل فعل المخادعة على تفكير المنافقين السطحي، فالهدف من مخادعتهم الحصول على مكاسب دنيوية، كما كانت ترجمة لمعتقداتهم الفاسدة في انطلاء الحيلة على الله تعالى!. وهو مُعتَقد يدل على انعدام الانتفاع بسلامة الإدراك والشعور.

ومن بديع ما عبر عنه الفعل (يخادعون) رغم دلالته على المشاركة بين طرفين، أن الفاعل عين المفعول، فدائرة الحدث لم تتجاوز الفاعل، ظهر هذا في كشف الله تعالى نفاقهم والتحذير منه، وتفطن المسلمين لفعلهم ومعاملتهم بالحسنى، ولما لم يلحق الضرر بأي من المقصود خداعهم، لم يخادعوا إلا أنفسهم، وهذا يدل على غفلتهم وفساد رأيهم.

وقوله تعالى: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"[٥٧٦]. الذي جاء في معرض الحديث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وفيه نعمة المواعدة التي جاء ذكرها بعد نعمة الإنجاء التي حفظت حياتهم، وكانت المواعدة من تمام نعمة الله عليهم، لأنها مواعدة لإنزال التوراة والشريعة العظيمة فيها.

والمواعدة تعبر عن خصوصية الزمان، فهو زمان خاص لأنه جاء بعد نعمة عظيمة، وخصوصية المكان الذي تمت فيه المواعدة وما فيه من قداسة وهو الطور، والأهم خصوصية الحدث الذي جاء تلبية لطلبهم، كتاب صاروا بفضله علماء زمانهم. ولكنهم ما أظهروا إلا قلة الوفاء وخيانة العهود.

والمواعدة في الآية تطرح فكرة هامة بإجرائها بين الله تعالى وموسى، والماثلة في فضل الله وطاعة موسى التي كان عليهم أن يتعلموا منها وفي مشاركة موسى المواعدة إشراك لهم بالمسؤولية في الحفاظ على شرع الله والتزامه.

---

(576) البقرة(٥١).

وفي قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون"[٥٧٧]. الذي جاء في وصف جرائم اليهود، وفيه الفعل (حاجَّ) الذي وضَّح سبب إخفائهم ما جاء في التوراة حول صفات محمد (صلى الله عليه وسلم). والمحاجة تصف طبيعة المشاركة بين طرفيها القائمة على المخاصمة والعداء، وما ينشأ عنها من طرائق التعامل بينهما وبالنظر في موضوع المحاجة يظهر حسد الفاعل وغَيرته اللتان دفعتاه للنفاق. وفي خوفهم من قيام الحجة عليهم بالإقرار بما في التوراة، يظهر كفرهم بها، لأن الحجة فيه.

وجاء الفعل (حاجَّ) في قوله تعالى: "قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون"[٥٧٨]. الذي جاء ردا على حجة اليهود والنصارى في أحقيتهم بالرسالة دون العرب، وفيه تظهر غرابة المحاجة القائمة على المجادلة والمخاصمة في أفعال الله تعالى، التي لا يجوز المجادلة فيها، ومرة أخرى فاعل المحاجة أهل الكتاب الذين كفروا بكتبهم. وفي هذه الآية يُعلِّم الله تعالى المسلمين أسلوب المحاجة، ويرسم لهم نظام المحاجة السليم المستند إلى حجج مقنعة، تقوم على أسس راسخة، وهي الإيمان والعمل الصالح، وهي مما يقع في مقدور البشر، ومجالٌ رحبٌ للتنافس في تحصيله. و كانت إلى جانب أنها حجة إرشادٌ ونصيحة، لأن الانطلاق من إخلاص العبادة لله تعالى يرشد إلى استخدام منهج عقلي قويم.

وجاء الفعل (حاجَّ) في موضع ثالث في قوله تعالى: "ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين"[٥٧٩]. الذي جاء تدليلا على قوله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور الذين كفروا أولياؤهم

---

(577) البقرة(٧٦).
(578) البقرة(١٣٩).
(579) البقرة(٢٥٨).

الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[٥٨٠]. وبالربط بين الآيتين يتبيّن أن المحاجة مغالبة ومجهود فكري، يسعى كل طرف فيه لتحقيق نصر على الآخر، وتكون الغلبة فيه لصاحب الحُجَّة الأقوى. والمُحاجُّ في الله في هذه الآية والآيات الأخرى خاسر، لأنه لا يستند إلى دليل مقبول بل يعتمد المغالطات، ويستبدل الشكر والطاعة بالمحاجة. وفي الآية الكريمة يظهر أسلوب الانتقال من دليل إلى آخر وصولا للدليل القاطع الذي لا يُغالَب.

وفي قوله تعالى: "أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون"[٥٨١]. الذي جاء موضحا صفات اليهود بعد ذكر عدد منها، كما في قوله تعالى "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة"[٥٨٢]. وقوله تعالى: "قل من عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله"[٥٨٣]. أمّا الفعل (عاهدوا) "فالمراد بالعهد التوراة. أي: ما اشتملت عليه من أخذ العهد على بني إسرائيل بالعمل بما أمروا به"[٥٨٤]. ومن جملة ما أمروا به الإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم).

والأخذ بالعهد ينبغي أن يكون متواصلا متجدداً، فيكون علامة على إيمانهم. حيث "نزلت في مالك بن الصيف. قال: والله ما أخذ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمد(صلى الله عليه وسلم)"[٥٨٥]. وتنفيذ المعاهدة يدل على صفات المُعَاهِد من رعاية المودة والوفاء، التي تعني في الآية الكريمة التزام أمر الله تعالى، لكن اليهود لم يفوا بالتزاماتهم حيث قادهم سوء تفكيرهم وتدبيرهم إلى الكفر، وهي ليست المرة الأولى التي يفعلون فيها هذا، فكان في ذلك تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم).

وقوله تعالى:"إن الذين آمنوا و الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم"[٥٨٦]. "قال الزمخشري: إن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم

---

(580) البقرة (٢٥٧).
(581) البقرة(١٠٠)
(582) البقرة(٩٦).
(583) البقرة(٩٧).
(584) التحرير والتنوير، م١،ج١، ص٦٢٥.
(585) البحر المحيط، ج١، ص٥١٨.
(586) البقرة(٢١٧).

أجر. فنزلت"[٥٨٧]. وجاءت هذه الآية تُبصِّر بأهمية القتال، حيث سبقت بآيات تتحدث عن القتال في قوله تعالى: "كتب عليكم القتال"[٥٨٨]. وقوله تعالى: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير"[٥٨٩].

ومما يظهر في سبب النزول أن الآية الكريمة جاءت ردا على فئة قالت: ليس لهم أجر. وهي فئة سلبية، تنشر التثبيط وحط الهمم، لذا فإن استخدام الفعلين (هاجر) و(جاهد) جاءا يدلان على أهمية مهاجرة أمثال هذه السلوكات ومجاهدتها. وبالنظر إلى غرض السورة العام المُشرِّع لدولة الأمن والإيمان، فإن الفعلين يؤسسان لدولة من نوع خاص. وكلا الفعلين له صورتان: الأولى: مع الذات، والثانية: مع الآخر. فالأولى التصدي لهوى النفس ورده وإقامة سلطة الحق عليها، والثانية بذل الجهد ما وسعنا من جهد يضمن استمرار الدولة، دولة الدعوة.

وفي مجيء الفعلين على صيغة المفاعلة ما يدل على قوتهما لأن صدور الفعل من اثنين يقدم صورة عن قوة الفعل، وحرص كل طرف على كسبه فالمغالبة تعطي الفعل قوة أكبر من صدوره من فاعل واحد. وبهذه المشاركة والمغالبة يعرض الفعلان فريقين ضدين في عقيدتهما، وشتان بين من كان رائده هواه، ومن كان ساعيا للحق. وفعلا المهاجرة والمجاهدة من المصطلحات الإسلامية القرآنية الجديدة، وهو ما يمكن أن نعدَّه بعض خصائص التعدية بالزيادة؛ إذ نقلت بعض الأفعال من دائرة معناها العام إلى دائرة المفاهيم الاصطلاحية ذات الدلالة الخاصة.

ثانيا: صيغة (فَاعَلَ) وغرض المرسل.

في قوله تعالى:"يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"[٥٩٠]. الذي جاء كاشفا حال المنافقين ومصورا علاقتهم بالمؤمنين في الفعل (خادع). فهم يتظاهرون بالإيمان ويفعلون ما يفعل المؤمنون إخفاء لحقيقتهم،

(587) البحر المحيط، ج٢، ص٣٩٤.
(588) البقرة(٢١٦).
(589) البقرة(٢١٧).
(590) البقرة(٩).

وهو فعل يدل على جهلهم وانعدام شعورهم، فقد "كانوا يخادعون عن أغراض لهم ومقاصد منها: متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة، ومنها إكرامهم والإحسان إليهم، وإعطاؤهم الحظوظ من المغانم"[٥٩١].

ولا يخفى على أحد أن الظن بأن الحيلة تتمشى على الله ثم على المؤمنين من البله، كما أن إقامة شبكة علاقات من هذا النوع سوء نظر وقصر تفكير. وبذا فإن الفعل (يخادعون) يطرح سمات المنافقين ويظهر أنهم من أهل الهلاك، فينبههم إلى سوء فعلهم، ويحذر المؤمنين من ألاعيبهم. وبذلك فإن دائرة السوء لا تحيط إلا بهم.

وقوله تعالى: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون [٥٩٢]. وفيه جاء الفعل (واعدنا) دالا على إنعام الله تعالى على بني إسرائيل، الذي قابلوه بعبادة العجل، وهو انتقال غريب مستهجن وانحراف واضح من التوحيد إلى هذه العبادة، وهذا العرض لهذه الجريمة وغيرها من جرائمهم، وتأكيده في زمن الدعوة الإسلامية يؤكد الشكل الواحد للاستجابة وهو الكفر، رغم تغير الزمان والمكان والأشخاص. حيث صار الكفر طبعا ملازما لهم، وهذا العرض المكثف لجرائمهم مع تعددها وتتابعها يلقي في النفوس الشك تجاه تأهلهم للاقتداء بهم.

وقوله تعالى:"وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"[٥٩٣] "وهذه أول آية نزلت في القتال"[٥٩٤]. وتكتسب أهمية خاصة في أوليتها وفي مضمونها، وفيها يحدد الفعل (قاتلوا) طريقة التعامل مع أعداء الدعوة الذين يجاهرون بعدائهم، ويسعون لإيذاء المؤمنين، حيث جاء الفعل (قاتلوا) لا من أجل الأمر بالقتال، بل من أجل الحذر والاستعداد ورد الأذى والدفاع عن النفس، في حال التعرض للاعتداء.

---

(591) الكشاف، ج١، ص١٧٤.
(592) البقرة(٥١).
(593) البقرة(١٩٠).
(594) جامع البيان، ج٣، ص٥٦١.

"قال ابن عباس: نزلت لما صد المشركون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام الحديبية" [٥٩٥]. وفيها يتحدد الغرض من المقاتلة وهو إظهار دين الله وإعلاء كلمته. وفي الفعل (قاتل) تربية نفسية على القوة والعزة، وأن نشر الدعوة فيه عناء ومشقة، وأن نشرها سيتعرض لمعيقات لا بد من تذليلها بالقوة إن احتاج الأمر إليها.

وقوله تعالى:"ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم"[٥٩٦]. الذي جاء في الجزء الخاص بالتشريعات المنظمة حياة الناس أفرادا وجماعات، وفيه الفعل (تخالطوهم) الذي يوضح للمسلمين كيفية معاملة اليتامى خاصة ما يتعلق بالأمور المالية، لما فيها من حرج. والمخالطة تعني:"ما فيه إصلاح لليتيم بأي طريق كان من مخالطة في مطعم أو مسكن أو متاجرة أو مشاركة أو مضاربة أو مصاهرة أو غير ذلك"[٥٩٧]. فالمخالطة فعل يمتد ليطال حياة اليتيم كلها ليكون فردا فاعلا منتجا. وهي مشاركة تبدأ بين فردين ويمتد أثرها على مستوى المجتمع المُشكّل دولة الإيمان عبر دوائر المشاركة القائمة على التشريع القرآني الذي يحفظ للأطراف المتشاركة حقوقها.

وقوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم"[٥٩٨]. وفيه يذكر الله تعالى مقومات قيام الدولة وضمانات استمرارها وهي المهاجرة والمجاهدة، وهما فعلان على صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة، ومن دلالات المشاركة هنا: المشاركة في تحمل المسؤولية في نشر الدعوة، وهذان الفعلان لهما مستويان: الأول بين المؤمن ونفسه، بمهاجرة دواعي النفس ومجاهدة هواها. والثاني بين المؤمن والآخر بمهاجرة الوطن الذي دفعه إليه غيره، ومجاهدة أعداء الدين الواقفين في طريق نشر الدعوة. فقد كان لهما دور وصدى كبير في قيام الدعوة الإسلامية واستمرارها.

---

(595) البحر المحيط، ج٢، ص٢٤٠.
(596) البقرة(٢٢٠).
(597) البحر المحيط، ج٢، ص٤١٢.
(598) البقرة(٢١٨).

وقولـه تعـالى: "ألـم تـر إلـى الـذي حـاج إبـراهيم فـي ربـه أن آتـاه الله الملك..."[٥٩٩]. والتي كانت مثلا فاصلا للفرق بين أهل الإيمان أولياء الله، وأهل الكفر أولياء الطاغوت. حيث جاء الفعل (حاج) ليعرض فيم تكون المحاجة وفيم لا تكون. وبين الفعل أن الذي حاج إبراهيم كان موضوع محاجته الله تعالى الذي آتاه الملك، وهو بذلك خاصم أهل الإيمان وحاج فيم لا تنبغي المحاجة فيه، وجعل نعمة الله عليه حجة له على كفره. أما إبراهيم عليه السلام فلم يخاصم لأن المخاصمة تبعد القلب والعقل عن الحق، بل دعا إلى الله تعالى مستخدما أدلة واضحة دالة على قدرة الله تعالى. فشكل الفعل (حاج) خطابا عقليا يستثمر طاقات العقل البشري في التفكير ويعرض لنمطين من البشر موجودين في كل زمان ومكان، وبعرض حجة كل طرف يتضح الفارق بينهما، ويترك لكل ذي عقل اختيار أحدهما.

ثالثا: صيغة (فاعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي.

جاء الفعل (يخادعون) في بداية السورة الكريمة في قوله تعالى:"يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون" [٦٠٠]. يكشف المنافقين المندسين بين صفوف المؤمنين، ومحاولاتهم رد الدعوة، فيلجئون إلى هذه الاستجابة القائمة على الغدر والخيانة لينالوا بعض المكاسب، وهذا يدل على تبلد حواسهم وتعطلها عن حسن النظر في الأمور. والمؤمنون طرف مشارك إذ يتلقون مخادعة المنافقين بالحرص والحذر والتفطن، فقد أحسنوا تلقي النص القرآني الذي حذرهم ونبههم.

والفعل (واعد) في قوله تعالى:" وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" [٦٠١]. الذي عبر عن شكلين من التلقي: تلقي موسى عليه السلام مواعدة ربه بما ينبغي من مقابلة النعمة بالقبول والطاعة والوفاء، وهذا

(599) البقرة(٢٥٨).
(600) البقرة(٩).
(601) البقرة(٥١).

يديم النعم. وتلقي قومه المواعدة بالغدر والعصيان، وإحلال الكفر مكان الشكر والانقياد، وهي القصة القديمة المتجددة، التي تقر أسلوب اليهود في تلقي الكتب السماوية.

ففي زمن المواعدة أيام موسى عليه السلام عبدوا العجل، وفي زمن الدعوة الإسلامية ونزول القرآن الكريم، تصدوا له بالتشكيك وتحريف ما في التوراة حول محمد ورسالته، وبذلك اتفقت استجابتهم رغم تغير الزمان والمكان والأشخاص.

والفعل (حاج) في قوله تعلى: "قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون" [٦٠٢]. الذي جاء ردا على محاجة اليهود والنصارى في أنهم أسبق في الرسالة والكتاب وأن الرسل كانوا منهم، وهم أهل كتاب وأكثر الناس علما بصدق دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم). والفعل (أتحاجوننا) يعرض نمطين من الاستجابة؛ فأهل الكتاب يستجيبون بالمحاجة والمخاصمة لحسدهم وغيرتهم، التي ضللت بصرهم وبصيرتهم عن رؤية الحق. أما المؤمنون فقد استجابوا بالاهتداء والدعوة إلى الله.

إن الاستجابة الطبيعية المتوقعة لأهل الكتاب قبول القرآن، فالقرآن يقدم ما يعرفون وإيمانهم به امتداد لإيمانهم بكتبهم ورسلهم الذين يفخرون بهم ويجعلونهم حجة لهم. وهذا يدل على فساد رأيهم ومرض قلوبهم.

وتظهر روعة استجابة المؤمنين بملاقاة المحاجة بالإرشاد والنصح، وهي نوع خاص من الاستجابة يقدمها القرآن الكريم لا يعتمد الرد بالمثل بل يعتمد أصلا ثابتا قوامه الدعوة إلى الله بالحسنى.

والفعلان (هاجر) و(جاهد) في قوله تعالى: "إن الذين آمنوا الذين هاجروا وجاهدوا أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم"[٦٠٣]. اللذان يصفان المؤمنين الذين تلقوا الدعوة بالقبول وأعلى درجات الاستجابة؛ ذلك أن مهاجرة الوطن والأهل بدافع الحفاظ على الدين تعني أن المُهاجِر أخضع نفسه لمراحل سابقة من مهاجرة المعاصي ودواعي النفس، ومثل ذلك في المجاهدة التي تدل على بذل ما في الوسع

(602) البقرة(١٣٩).
(603) البقرة(٢١٨).

لمجاهدة شهوات النفس. وبدلالة الفعلين على المشاركة فإنهما يعرضان لنوعين من المتلقين: المؤمنون الذين يريدون المحافظة على دينهم، والكافرون الذين يؤذونهم فيُلجئونهم للمهاجرة، وهي من المؤمنين استجابة لا تعني الضعف، بل تعني الاستعداد لمرحلة قادمة أهم هي المجاهدة، وهي استجابة ألحقت ضررا ماديا ونفسيا بالمهاجرين، لكنها على مشقتها حققت أعظم دولة في التاريخ.

المبحث الثالث

التشكلات الأسلوبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي.

أولاً: الأشكال التركيبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة.

الشكل الأول:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول اسم ظاهر + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف١(ظ) + مف٢(ظ).

مثاله قوله تعالى: "وإذ **واعدنا موسى أربعين** ليلة"[٦٠٤].

الشكل الثاني:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به ضمير متصل.

ف + فا)ضم) + مف(ضم).

مثاله قوله تعالى: **"ليحاجوكم** به عند ربكم"[٦٠٥].

الشكل الثالث:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول محذوف + مفعول به ثان اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف١ ∅ + مف٢(ظ).

مثاله قوله تعالى: "أو كلما **عاهدوا عهدا** نبذه فريق منهم "[٦٠٦].

([604]) البقرة(٥١).
([605]) البقرة(٧٦).

الشكل الرابع:

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "ألم تر إلى الذي **حآجَّ إبراهيم** في ربه"[٦٠٧].

الشكل الخامس:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به محذوف.

ف + فا(ضم) + مفØ.

مثاله قوله تعالى: "والذين **هاجروا** وجاهدوا في سبيل الله "[٦٠٨].

الشكل السادس:

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(على) + مجرور اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف ج(على) + مج(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"حافظوا على الصلوات"**[٦٠٩].

الشكل السابع:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: **"يخادعون الله** والذين آمنوا"[٦١٠]

ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (فاعَلَ) في سورة البقرة في ضوء السياق اللغوي

يقول تعالى:"يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون" [٦١١]. بدأت الآية الكريمة بجملة (يخادعون) وهي "بدل اشتمال من جملة: "يقول

([606]) البقرة(١٠٠).
([607]) البقرة(٢٥٨).
(608) البقرة(٢١٨).
(609) البقرة(٢٣٨).
(610) البقرة(٩).
(611) البقرة(٩).

آمنا". فالقول بالإيمان وإخفاء الكفر داخل في المخادعة ولكنه ليس كل المخادعة، فجاء الفعل (يخادعون) لذم المنافقين ووصف ما هم عليه من الفساد في العمل والرأي. وجاء المفعول لفظ الجلالة (الله) ليدل على شناعة فعلهم وسوء اعتقادهم وتفكيرهم. وهذا يظهر في الجرأة على التفكير في مخادعة الله تعالى، وقيام مخادعتهم مبني على اعتقاد أن الله تعالى ممن يصح خداعه، وهي مراتب في الكفر والغفلة، إذ الإيمان بالله نفاقا دليل على عدم معرفة المنافق بالله.

وبالنظر في :"يخادعون الله الذين آمنوا" ترتسم لنا محاور المخادعة الأربعة التالية: الأول: مخادعة المنافقين لله، وهي ظنهم أنه تعالى يخدع. والثاني: مخادعة المنافقين المؤمنين وهي إظهار الإيمان وإخفاء الكفر للحصول على بعض المكاسب. والثالث: مخادعة الله تعالى المنافقين، وهي "إجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده شرار الكفرة "[٦١٢]. والرابع: مخادعة المؤمنين المنافقين "حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم" [٦١٣]. وعطف "الذين آمنوا" على "الله"، ولم يقل: يخادعون الله ويخادعون الذين آمنوا، فقد جمعوا بين الله والمؤمنين في فعل المخادعة، وهذا استهانة منهم بقدر الله عزَّ وجلَّ.

ولما كان الله تعالى عالما بفعلهم، ونبه المؤمنين له فتفطنوا، لم يصل أثر الفعل (يخادعون) إلى المفعول (الله الذين آمنوا)، واقتصرت المخادعة على المنافقين وذواتهم، لأن الخدع غلبة المخدوع، وهم لم يغلبوا إلا أنفسهم. لذا جاء قوله تعالى:"وما يخدعون إلا أنفسهم" وهو يؤكد أن (يخدعون) الدال على تمشي الحيلة وإلحاق الضرر بالمخدوع (أنفسهم) وهذا من غريب الأمور، وجاء الفعل المجرد (يخدعون) في: "وما يخدعون إلا أنفسهم" لأن الخَدْع هنا حقيقي، والمفعول به "أنفسهم" مخدوع حقيقي . وهم فوق ذلك كله (لا يشعرون) "والمعنى: أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له"[٦١٤]، وقوله تعالى: " لا يشعرون" تدل على أن وعيهم كان زائفا، ولو كانوا واعين لما جربوا مخادعة

(612) الكشاف، ج١، ص١٧٣.
(613) نفسه ، ج١، ص١٧٣
(614) الكشاف، ج١، ص١٧٥.

الله ابتداءً، ولما جمعوا معها مخادعة المؤمنين، فالمُخادعة من طرفهم كانت حقيقية، لكنَّ نتيجتها زائفة؛ فالله لا يُخدَع.

وجملة (وما يشعرون) عطف على جملة (وما يخدعون) وهي "وصف بعدم الفطنة لا بعدم الإحساس وهو أبلغ في الذم" [٦١٥]. وزيادة في ذمهم جاءت الأفعال (يخادعون) و(يخدعون) و(يشعرون) "بلفظ المضارع لا بلفظ المضي لأن المضي يشعر بالانقطاع، بخلاف المضارع فإنه يشعر في معرض الذم بالديمومة" [٦١٦]. وبهذا يكون قد تحقق الاستمرار اللفظي في الآية الكريمة الذي عبر عن الارتقاء في مراتب الذم للمنافقين، ووصلت إلى المقصود بوصفهم بالمخادعين وهو انعدام الفطنة الذي يقود إلى انعدام الإحساس، فاجتمعت لهم المذمة العقلية والنفسية في فعل واحد.

ويقول تعالى:"وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"[٦١٧]. وفي تقيُّد الفعل (واعدنا) بالظرف (إذ) تحقيق لزمن محدد، تناول نعمة عظيمة. والمواعدة كانت بين الله تعالى وموسى، دل على الله تعالى الضمير المتصل في (واعدنا)، (نا) العَظَمة. واستخدام (نا) العظمة يدل على عظمة الحدث والموقف، والمواعدة كانت مع موسى عليه السلام، وذكر اسم(موسى) تكريما وتأييدا، "ونصب (أربعين) على المفعول الثاني لواعدنا على أنها هي الموعودة" [٦١٨].

والمفاعلة في (واعدنا) أن "الله وعد موسى الوحي و موسى وعد الله المجيء للميقات" [٦١٩]. والمواعدة تحكي قصة سلسلة من إنعام الله تعالى على بني إسرائيل: نعمة أوصلتهم لمرحلة المواعدة، ونعمة المواعدة، وما ينتظرهم بعدها من خير لما ستؤول إليه المواعدة من وجود كتاب يكون تماما لإنعام الله تعالى عليهم. وجاء تمييز(أربعين) (ليلة) "لأن حسابهم كان بالأشهر القمرية"[٦٢٠]. وقوله تعالى

(615) التحرير والتنوير، ج١، ص٢٧٨.
(616) البحر المحيط، ج١، ص٩٥.
(617) البقرة(٥١).
(618) البحر المحيط، ج١، ص٣٢٢.
(619) البحر المحيط، ج١، ص٣٥٦.
(620) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٤٩٩.

(ثم اتخذتم العجل من بعده) حيث عطف بحرف (ثم) وهو يستخدم "في عطف الجمل للتراخي الترتيبي للإشارة إلى ترتيب في عظم هذه الأحوال [٦٢١]. ذلك أن الآية الكريمة تضمنت أمورا عظيمة في الخير وضده، وكأن (ثم) جاء فاصلا بين حالين غريبين فلا بد من وقفة تفكير وتأمل فيهما. وقوله (اتخذتم العجل) أي: عبدتم عجلا. و(اتخذ) فعل يتعدى إلى مفعولين، "وحذف المفعول الثاني لاتخذتم لظهوره وعلمهم به ولشناعة ذكره"[٦٢٢].والتقدير: اتخذتم العجل إلها.

ومما زاد هذا الاتخاذ قبحا أنه جاء (من بعده) أي: من بعد غياب موسى. و(من) لابتداء الغاية، ودلت على انتقال غريب مستهجن، ابتداء من ذهاب موسى عليه السلام للمواعدة، إلى عبادة العجل. وكان قوله تعالى:"من بعده": تعريضا بقلة وفائهم في حفظ عهد موسى"[٦٢٣]. لذا جاء قوله تعالى:"وأنتم ظالمون" وصفا دقيقا لفعلهم، و"ليكون الاتخاذ مقترنا بالظلم من مبدئه إلى منتهاه" [٦٢٤]. وجاء الحال في (وأنتم ظالمون) ليقطع عذرهم فيما فعلوه من عبادة العجل في الوقت الذي كان عليهم انتظار الشريعة. وجاء الحال جملة اسمية خبرية حالية مثبتة، دالة على ثبات هذه الحال الغريبة، وجاء الربط فيها بأداتين: (الواو) والضمير(أنتم) وهذا التركيب بهذا الوصف يؤكد ظلمهم أنفسَهم بفعلهم، والظلم: "وضع الأشياء في غير محلّها"[٦٢٥]، فلفظة الظلم وصفت تماما فعلهم وتماديهم في مجاوزة الحق. وهذا يعيدنا إلى الظرف (إذ) في بداية الآية الذي جاء ذما لهذه الحال، إذ كيف تكفرون في وقت كهذا وقد شهدتم معجزات عدة.

وبالنظر إلى مفردات الآية نجد الزمن مسيطرا: (إذ) و(واعدنا) و(ثم) و(من بعده)، والتي تؤكد أن توقيت كفرهم يدل على لزوم طباعهم السيئة رغم وجود كل ما يمنع ذلك.

---

(621) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٤٩٩.
(622) السابق، م١، ج١، ص٤٩٩.
(623) السابق، م١، ج١، ص٥٠٠.
(624) السابق، ج١، ص٢٩٥.
(625) البحر المحيط، ج١، ص٢٥٥.

وقولـه تعـالى:"أو كلمـا عاهـدوا عهـدا نبـذه فريـق مـنهم بـل أكثـرهم لا يؤمنـون"[٦٢٦]. وفيـه احتلـت همـزة الاسـتفهام الصـدارة، وتلتهـا واو العطـف التـي عطفت الآيـة علـى قولـه تعـالى: "وإذ أخـذنا ميثـاقكم ورفعنـا فـوقكم الطـور خـذوا مـا آتينـاكم بقـوة واسـمعوا قـالوا سـمعنا وعصـينا" [٦٢٧]. وقولـه تعـالى (أو كلمـا عاهـدوا عهـدا) ترجمـة لخيانـاتهم المـذكورة سـابقا، وتمهيـدا لقولـه تعـالى: "واتبعـوا مـا تتلـو الشياطين علـى ملـك سـليمان"[٦٢٨]. وبالتـالي فـإن الآيـة الكريمـة شـكلت فـي موقعهـا رصدا لسلوكاتهم، فجاءت همزة الاستفهام لتوبيخ الأبناء على فعل آبائهم الذي صـار طبعا لهم، ولسيرهم علـى نهـج آبـائهم من الكفر ونقض العهود. و(كلمـا) دلـت علـى تكـرار نقـض العهـود مـع أنبيـائهم، وإنكـارهم عهـودهم فـي التـوراة، وكفـرهم بمحمـد (صلى الله عليه وسلم) وهكذا في سلسلة لا تنتهي.

وجاء الفعل (عاهدوا) بصيغة الماضي الدال على التحقق والانقطـاع انقطـاع صلتهم بربهم ورسله وكتبه، وتكرر النقض قطع لهذه الصلة، والفاعل فـي (عاهـدوا) واو الجماعة الدال على معرفتهم جميعا الحق وكيف لاقوه بـالجحود. وقولـه (عهـدا) انتصب "علـى أنـه مفعول علـى تضـمين (عاهد) معنـى (أعطـى)"[٦٢٩]. وقولـه (نبـذه فريق منهم) هو الجزء الذي وبِّخوا عليه، "والنبذ: إلقاء الشيء من اليد وهو هنا استعارة لنقض العهد"[٦٣٠].

والفعل (نبذ) جاء بصيغة الماضي المعبر عن فعل مُثبت متحقق متكرر، والهاء في (نبذه) عائدة على العهد، وتقديم المفعول (الهاء) على الفاعل (فريق) يدل على عنايتهم بالنقض والخيانة أكثر من حفظ العهد والوفاء بـه. وقولـه (فريق منهم) حيث كلمـة فريـق تـدل علـى وجـود فِرَق، الـذين نبـذوا (فريـق). و(منـهم) تـدل علـى التبعيض "احتراسا من شمول الذم للذين آمنوا منهم"[٦٣١]. ولمـا كانـت كلمـة (فريـق) تدل علـى القليل والكثير، جـاء قولـه تعـالى: "بـل أكثـرهم لا يؤمنـون" تنبيهـا علـى أن

(626) البقرة(١٠٠).
(627) البقرة(٩٣).
(628) البقرة(١٠٢).
(629) البحر المحيط، ج١، ص٥١٩.
(630) التحرير والتنوير، ج١، ص٦٢٥.
(631) السابق، ج١، ص٦٢٥.

النابذين هم الأكثر، و(بل) حرف عطف للإضراب، "ومعنى هذا الإضراب هو انتقال من خبر إلى خبر"[٦٣٢]. لذا جاء الإضراب لإبعاد احتمال القلة في (فريق) والتقرير النهائي (لا يؤمنون) وهو ما يعبر عن حقيقة فعلهم باستخدام فعل مضارع منفي، يفيد نفي الحاضر مع الديمومة، وهو الخبر الذي كان سببا لنقضهم العهود.

وقوله تعالى: "قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون"[٦٣٣]. و(قل) فعل أمر، والخطاب فيه للرسول (صلى الله عليه وسلم) وخطاب الرسول خطاب لأمته المكلفة بنشر الدعوة. أما القول فهو(أتحاجوننا) وهمزة الاستفهام فيه للتعجب والتوبيخ، والفعل (تحاجوننا) يقتضي جدالا سابقا يقودنا لسبب نزول هذه الآية الكريمة "قيل إن اليهود والنصارى قالوا: يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا ولم تكن من العرب، ولو كنت نبيا لكنت منا وعلى ديننا" [٦٣٤].وفيه نجد موضوع المحاجة وسببها والحجة. و(واو) الجماعة في(تحاجوننا) عائدة على اليهود والنصارى.

والاستفهام للتعجب من محاجتهم وحجتهم، حيث كانت محاجتهم(في الله) وهي أول الأحوال العجيبة أن تكون المحاجة في إرادة الله تعالى أن يكون الإسلام ناسخا لشريعتي اليهود والنصارى، وأنه تعالى فضل محمدا (صلى الله عليه وسلم) وأمته. لذا انتقلت الآية لتثبت وجه العجب في حجتهم بقوله تعالى (وهو ربنا وربكم) حيث تصدر الضمير (هو) الجملة، وهو يدل على التفخيم، وهي جملة حالية، والربوبية تدل على الملك والتصرف، فهو تعالى مالك الجميع متصرف فيهم تصرف المالك، وهم مشتركون في العبودية، ومربوبون لرب واحد، وجاء تكرار لفظة (الرب) في: (ربنا) و (ربكم) مشعراً بمزيد من تفخيم الله تعالى الذي كان موضوع المُحاجة، وإشارة إلى بطلان المُحاجة فيه طالما أنه تعالى رب الجميع.

ولما كانت هذه الحالة معروفة عند الطرفين كان عجيبا أن يحاجوا فيها وهي الحالة المُؤهِّلة لإنعامه تعالى على عباده، فأي أمر يمنع إنعام الله على العرب

---

(632) البحر المحيط، ج١، ص٥٢٠.
(633) البقرة(١٣٩)
(634) البحر المحيط، ج١، ص٦٥٧.

بإرسال محمد، كما أنعم على اليهود والنصارى برسالات سابقة؟! وذكر المشترك (وهو ربنا وربكم) مقدم على ذكر المختص (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فما دام الرب واحدا فإنه المجازي على الأعمال. وجاء تقديم المجرور(لنا) لدفع التوهم بالاشتراك في الأعمال بينهم.

وقوله (ولكم أعمالكم) عرض آخر لحالة غريبة أن يكون الرب واحدا والأعمال مختلفة، بل إنها تشكل مفارقة غريبة تبطل حجة اليهود والنصارى. وجاء التعبير في(ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) اسميا، دالا على الثبات. وتفرد المسلمون ب (ونحن له مخلصون) فكان الانتقال من المشترك الثابت (وهو ربنا وربكم) إلى المشترك المختلف (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) إلى الخاص المتفرد (ونحن له مخلصون) "وهي منبهة إلى أن من أخلص لله كان حقيقا أن يكون منهم الأنبياء"[٦٣٥]. وفيها تعريض وذم لليهود والنصارى الذين لم يخلصوا عبادتهم لله وحده. وجاءت جملة (ونحن له مخلصون) اسمية تؤكد الإقامة على الإخلاص.

وفي هذه الآية الكريمة أبرزت الضمائر طرفي الخطاب وهما: نحن، وأنتم، وظهر الأول في: (تحاجوننا) مفعولاً، و(ربنا)، و(لنا أعمالنا)، و(نحن). وظهر الثاني في: (تحاجوننا) فاعلاً، و(ربكم)، و(لكم أعمالكم)، التي عبرت عن النظرة العادلة في الأمور، وتدرج عقلي في عرض ما لكل طرف وما عليه، كما كانت الضمائر العائدة على أهل الكتاب ثلاثة ضمائر، أما العائدة على المسلمين فكانت أربعة حيث زاد ضمير المتفرد بخاصية كانت الفيصل في موضوع المُحاجة في: "ونحن له مخلصون"، وهي خاتمة تقول: أنتم لستم كذلك.

وقوله تعالى: "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الكافرين"[٦٣٦].

---

(635) البحر المحيط، ج١، ص٦٥٨.
(636) البقرة(٢٥٨).

وفيه تصدرت همزة الاستفهام التي جاءت لإنكار النفي وإثبات المنفي، والمقصود من (ألم تر): تحقق الرؤية، كما رسمت مشهدا حواريا، و(إلى) تؤكد تحقق الرؤية ووصول الخبر إلى السامعين. وهذه الآية توضح قوله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[٦٣٧]. و(الذي حاج إبراهيم في ربه) "هو نمرود بن كنعان ملك زمانه "[٦٣٨]. "ومعنى حاج خاصم. ولا يعرف له في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام"[٦٣٩]. والمتتبع لورود الفعل (حاجَّ) في القرآن الكريم، يجده دالا على المخاصمة بباطل، كقوله تعالى:"فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله"[٦٤٠]. وقوله تعالى:"وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هدان"[٦٤١]. وقوله تعالى:"إذ يتحاجون في النار" [٦٤٢].

وفي قوله (الذي حاج إبراهيم في ربه) يظهر موضوع المحاجة وهو (في الله)، ولم يقل: في الله، بل قال: (في ربه) مستخدما لفظة الرب الدالة على الاختراع والاصطناع وفضل الخالق على خلقه بإيجادهم، وزاده الله تعالى (أن آتاه الله الملك) إذ جعل المُحاجة في الله الذي أولاه من نعمه وجعله ملكا، وهذه النعمة أورثته العتو والكبر بدل الشكر والعبادة. و(إذ) ظرف يضعنا بين يدي الحدث بتفاصيله الدقيقة، في مشهد حواري أخذ طابعا تقابلياً بين ما يطرحه إبراهيم عليه السلام، وما يطرحه النمرود، ففي الجملة الأولى بعد (إذ) قال إبراهيم: (ربي الذي يحيي ويميت) تعريفا من إبراهيم عليه السلام بالله المستحق العبودية بهذه القدرة المتفردة التي لم يطلع عليها أحدا من خلقه، لتكون حجة له على خصمه، وجاء فاعل القول اسما ظاهرا (إبراهيم) إيذانا بظهور الحق وسطوع شمسه، وجملة القول جملة اسمية، المبتدأ فيها (ربي) وهو مناط المُحاجة وموضوعها، واستخدم كلمة (ربي) الدال على التصرف في الخلق، إشارة من إبراهيم عليه السلام أنه تعالى متصرف في هذا الظالم وأمثاله.

---

(637) البقرة(٢٥٧)
(638) البحر المحيط، ج٢، ص٦٢٤.
(639) التحرير والتنوير، م٣، ج٣، ص٣١-٣٢.
(640) آل عمران(٢٠).
(641) الأنعام(٨٠).
(642) غافر(٤٧).

واختار وصفين عظيمين (يحيي ويميت) وسبقا ب(الذي) للدلالة على اختصاصه تعالى وتفرده بهما، فلا يقدر عليهما أحد من الخلق، وليومئ للمخاطب (النمرود) بأن هذا ينبغي أن يكون من قبيل تحصيل الحاصل؛ فالذي يحيي ويميت هو واحد فقط معروف (ربي)، واختار التعبير الاسمي الدال على الثبات واختصاص الموصوف بالصفة، وفي ذكر الإحياء والإماتة إشارة إلى البعث الذي أنكره النمرود. وتماديا من النمرود في الكفر والجهل والطغيان، رد على حُجَّة إبراهيم عليه لسلام، بجملة مُقابلة بقوله: (أنا أحيي وأميت)، "يريد أعفو عن القتل وأقتل"[٦٤٣]، وفيها جاء الفاعل ضميراً مستتراً تحقيرا لشأنه، وجملة القول جملة اسمية، المسند إليه فيها ضمير منفصل (أنا)، الذي يعكس حالة التبجح والكبر والصلف التي بلغها النمرود، ولم يقل: أنا الذي أحيي وأميت، أي: لم يتبع المسند إليه باسم موصول، لأن كلامه مجرد دعوى، وتحتاج إلى دليل يؤيدها، ولأنه أراد أن يثبت اشتراكه في الوصف وليس اختصاصه فيه، ولأنه يعرف عدم قدرته عليهما، وإنما كان قوله مغالطة دلت على جهله وضعف تفكيره وغروره.

فانتقل إبراهيم عليه السلام بثقة المؤمن بربه المُوفِّق له إلى دليل آخر، في جملة ثالثة من المشهد التقابلي: (قال إبراهيم) وهذه المرة ليس في مقابلها قول للنمرود أبدا، لأن قولة إبراهيم قطعت قول كل قائل، حيث قال: " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب"، وهنا بدأ إبراهيم كلامه ب(الفاء) الاستئنافية التي تدل على أنه ضرب صفحا عما جاء في مقولة النمرود السابقة، وكأنه يقول: لو افترضنا صدق قولك، في أنك تحيي وتميت "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق" وهي جملة اسمية مُؤكّدة، المسند إليه فيها هو (الله) وليس (ربي) إشارة إلى التفرد هنا، ونوعا من تحجيم النمرود الذي ادَّعى أنه رب يعبد، فاستخدم إبراهيم اسم الله الأعظم الذي لن يخطر ببال النمرود أن يضع نفسه موضعه، وجعل المسند جملة فعلية (يأتي بالشمس) وأتبعها بطلب واضح مفحم: (فأت بها من

---

(643) الكشاف، ج١، ص٤٨٩.

المغرب)، وهو دليل لا يرد بمغالطة ثانية، لشدة وضوحه وانجلاء أمره أمام الجميع، وهو مما لا يمكن ادعاء المشاركة فيه.

وعبر عن الشمس بضمير (بها) وذلك أنسب لِلْهَجَةِ الأمر الحازمة. وفي المقابل لا نجد جوابا من النمرود، وإنما جملة فعلية مصدرة ب(الفاء) الدالة على تهاوي الآخَر بسرعة، وتسليمه بالهزيمة فورا، فالحُجَّة دامغة (فبهت الذي كفر)، والفعل (بُهتَ) مبني للمجهول، "بمعنى: أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه"[٦٤٤]. والبناء للمجهول يدل على أن أكثر من شيء بهته. فقد بهته كفره، وتوليه الطاغوت، وقوة حجة إبراهيم، وجاء الذي هو مفعول في المعنى نائب فاعل في التركيب لأنه هو الذي أوقع نفسه منذ البداية بهذا المأزق الحرج الذي أوصله نهاية المطاف إلى البَهت، وكأن الفاعل (النمرود) الذي كان ضميرا منفصلا (أنا) توارى وتلاشى تماما عبر الفعل المبني للمجهول (فَبُهتَ) وتبع الفعل الاسم الموصول (الذي) ليقصر البَهْتَ عليه، فلا مبهوت إلا الذي كفر، كما أنه لا محيي ومميت إلا رب إبراهيم، لذا (فبهت الذي كفر) حيث انقطعت حجته وغُلِب.

والخلاصة (والله لا يهدي القوم الظالمين) فالتوفيق إلى الحجج القوية من الله تعالى، الذي يهدي المؤمنين إلى مناهج الاستدلال السليمة. أما الكافرون وهم (القوم الظالمين) فلا يهديهم الله إلى الدليل الصواب لأن عقلهم مشغول بالباطل. كما أن "الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع"[٦٤٥] وهو ظلم خاص إذ ليس أظلم ممن ادعى الاشتراك مع الله تعالى في الإحياء والإماتة، ومن كان على هذه الدرجة من الكفر لن يوفقه الله إلى الصواب من الرأي والقول والعمل.

ويقول تعالى :"إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم"[٦٤٦]. بدأت الآية بأداة التوكيد وتلاها (الذين

(644) التحرير والتنوير، م٣،ج٣، ص٣٤.
(645) التحرير والتنوير، م٣، ج٣، ص٣٤.
(646) البقرة (٢١٨).

آمنوا) اختصاصاً لهم بالحديث، وترافقهم فئة أخرى هم (والذين هاجروا وجاهدوا) التي اختصها تعالى فئة مستقلة، خاصة أن الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة تحدثت عن القتال في قوله تعالى:"كُتب عليكم القتال"[٦٤٧] وقوله تعالى:"ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"[٦٤٨] "قال الزمخشري: إن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت"[٦٤٩]، لذا جاءت الآية تَذكر صفات أهل الإيمان وأنهم لا ييأسون من رحمة الله.

وجاءت الأفعال (آمنوا) و(هاجروا) و(جاهدوا) مرتبة حسب تدرجها في الحصول، وجاء إفراد (الذين آمنوا) باسم موصول، لأنه الأصل والأول، فذكر وحده أولا، ثم عطف عليه الاسم الموصول الثاني في الآية في قوله: (والذين هاجروا وجاهدوا) وفيه جاء الفعلان: (هاجروا) و (جاهدوا) متعاطفين من غير أن يكرر الاسم الموصول، فلم يقل: والذين هاجروا، الذين جاهدوا، لأنه فرع ثان، ولأن المهاجرة والمجاهدة معاً كالشيء الواحد، كما أن المهاجرة والمجاهدة ارتقاء في درجات ومراتب الإيمان.

والمؤمنون والمهاجرون والمجاهدون واحد، لكن تكرر الاسم الموصول في (والذين هاجروا وجاهدوا)."لتضخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء"[٦٥٠]، و(أولئك) خبر إن، وهو اسم إشارة، وقد تضمن الأوصاف السابقة وهي: الإيمان والهجرة والجهاد. فجاء دالاً على تكرار الأوصاف تأكيداً لها في النفوس، وكأنه يقول: إذا أردت أن ترى الذين يرجون رحمة الله رأي العين فهم هؤلاء: الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، وهم "يرجون رحمة الله"، "وروي عن قتاده أنه قال: هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم أهل رجاء" [٦٥١]. وفي الرجاء تعلق القلب بالله، ورجاء (أولئك) تحديدا يدل على صفات من نوع خاص فيهم. فهم بإيمانهم وصفات أهل الإيمان لا يتَّكلون على أعمالهم بل يستمرون في

(647) البقرة (٢١٦).
(648) البقرة (٢١٧).
(649) الكشاف.ج١.ص٤٢٥.
(650) التحرير والتنوير، م٢، ص٣٣٧.
(651) البحر المحيط، ج٢، ص٣٩٥.

توجههم إلى الله تعالى بالرجاء وهو من ثمرات الإيمان. ومن الرجاء مقرونا بالإيمان والمهاجرة والمجاهدة، رجاء بتوفيق الله لهم في أمور حياتهم. "والله غفور رحيم" فإذا كانوا يرجون رحمت الله فإن رحمته واسعة، وأضاف إليها الغفران مزيدا من الفضل عليهم. ولتأكيد هاتين الصفتين وتثبيتهما جاء التعبير بالجملة الاسمية الخبرية. وزيادة في تأكيد الصفة جاءت على صيغة المبالغة (غفور رحيم). فتكون الآية ردا على من تبادر إلى ذهنه أن عبد الله بن جحش وأصحابه ليس لهم أجر. وتكون ردا على كل من يَئِس من رحمة الله تعالى الذي وسعت رحمته كل شي.

الـفـصل الـرابع

صيغة (استَفْعَلَ) .

المبحث الأول : الدلالة المعجمية لصيغة (استَفْعَلَ) في سورة البقرة.

المبحث الثاني : التشكّلات الأسلوبية لصيغة (استَفْعَلَ) في ضوء سياق الحال.

المبحث الثالث : التشكُّلات الأسلوبية لصيغة (استَفْعَلَ) في. ضوء السياق اللغوي.

المبحث الأول

الدلالة المعجمية لصيغة (استَفْعَلَ) في سورة البقرة.

أولا: معاني الزيادة في صيغة (استَفْعَلَ) كما تتجلى في كتب الصرف

"استفعل تكون متعدية وغير متعدية. فالمتعدية نحو: استحسنت الشئ، وغير المتعدية نحو: استقدم"[٦٥٢]، وتأتي صيغة استفعل للدلالة على عدة معان وهي: "الطلب: وهو طلب الفاعل أصل الفعل، حقيقة أو مجازا"[٦٥٣]، فالحقيقة مثل: استفهمت أي طلبت الفهم، والمجاز نحو: استخرج. والتحوّل: أي لتحول الفاعل إلى أصل الفعل، نحو: استحجر الطين حقيقة، أو مجازا نحو: استنوق الجمل[٦٥٤]، وللإصابة على صفة، أي: للاعتقاد أنه على صفة أصله نحو: استكرمته، أي: اعتقدت فيه الكرم[٦٥٥]. وبمعنى(تفعَّل) كقولك: تكبَّرَ واستكبر[٦٥٦]. وبمعنى(فَعَلَ) كقولك: قرَّ واستقرَّ[٦٥٧]. وللمبالغة نحو: استهزأ[٦٥٨]. ويأتي بمعنى (أفعل) نحو: استخلف لأهله وأخلف [٦٥٩]. وللاتخاذ نحو: استَلأم الرجل أي: لبس اللأمَة[٦٦٠].

ثانيا: الدلالة المعجمية لصيغة(استفعل) في سورة البقرة.

ورد في سورة البقرة عدد من الأفعال على صيغة (استفعل) وسأعرض نماذج لتجليات الدلالة المعجمية لبعض هذه الأفعال في سورة البقرة:

ومنها الفعل(استحيا) من (حييَ)، " والحياة نقيض الموت. وقوله تعالى: " فلنحيينه حياة طيبة": نرزقه حلالا. وقوله:" ولكم في القصاص حياة" أي: منفعة. واستحياه: أبقاه حيا. وقال اللحياني: استحياه: استبقاه ولم يقتله. وبه فسر قوله تعالى:" ويستحيون نساءكم" أي: يستبقونهن."[٦٦١]. فالحياة وما يتعلق بها من منافع،

---

(652) الممتع في التصريف، ص١٣٢.
(653) تصريف الأسماء والأفعال، ص١١٩.
(654)أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٢٧.
(655) السابق، ص٢٢٨.
(656) الممتع في التصريف، ص١٣٢.
(657) السابق، ص١٣٢.
(658) تصريف الأسماء والأفعال، ص١١٩.
(659) أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص٢٢٨.
(660) السابق، ص٢٢٨. واللأمة: الدرع أو جميع أدوات الحرب.
(661) اللسان، مادة (حيي).

تعمر بها الأرض، والحياة شيء عام هو وجود الحياة في المخلوقات، وقد أحصى الراغب ستة أوجه لمعنى الحياة: "القوة النامية، والقوة الحساسة، القوة العاقلة، والحياة الأخروية الأبدية، ويتوصل إليها بالحياة التي هي العقل والعلم، والسادسة الحياة التي يوصف بها الباري تعالى، فإنه إذا قيل فيه تعالى أنه حي، فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله تعالى[٦٦٢]، فالحياة تطلق على كل أنواع القوى النامية التي يتصف بها الكائن الحي، والإنسان بوصفه متميزا عن سائر المخلوقات فإن الحياة لا تعني له النماء الجسدي حسب، بل العقلي والعلمي فهو مطالب بذلك، وبقدر ما يحصل في مدة حياته من العلم والمعرفة بالله تعالى، تكون حياته الآخرة سعيدة.

أما الاستحياء وهو استفعال من الحياة فهو استبقاء، أي : المحافظة على الحياة من الانتهاء لغرض ما. وطالما أن هناك سعيا للحفاظ على الحياة، فإن هناك تهديدا بإنهائها، ويوجد طرف يحرص عليها، ومعنى (استحيا) طلب استمرار الحياة والبقاء. فزيادة الألف والسين والتاء جاءت بمعنى جديد ضمن إطار الحياة وزيد عليه الرغبة في استمرار الحياة وترك صاحبها حيا.

و قد ورد الفعل (استحيا) في سورة البقرة في قوله تعالى: "وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٦٦٣]، ومعنى (ويستحيون نساءكم)، يستبقونهن فلا يقتلونهن[٦٦٤]. ويسبون الأمهات استعباداً لهن[٦٦٥]، ويتركون بناتكم أحياء للخدمة [٦٦٦] والاستحياء استفعال يدل على الطلب للحياة أي يبقونهن أحياء أو يطلبون حياتهن[٦٦٧].

فالاستحياء في التفاسير استبقاء الحياة، والحرص على بقائها، ولكن في الآية الكريمة لا من أجل الحفاظ على النفس البشرية، بل من أجل الاستعباد والقيام على

(662) المفردات في غريب القرآن، ج١، ص١٣٨.
(663) البقرة(٤٩).
(664) جامع البيان، ج٢، ص٤٦
(665) التحرير والتنوير، م١، ص٤٩٢.
(666) البحر المحيط، ج١، ص٤١٣.
(667) التحرير والتنوير،م١، ج٢، ص٤٩٢.

الخدمة، إذ إبقاء النساء من بني إسرائيل هدفه إيجاد العدد الكافي من الخدم ليقوموا برعاية فرعون وآله. كما أن إبقاء الحياة والحفاظ عليها نعمة، لكنها في ظل ظروف مثل: "يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم، ينتفي أن يكون الهدف منها نعمة، إنما الاستحياء على هذا نقمة وابتلاء وعذاب على يد آل فرعون، لما في بقاء النساء على الحياة ورؤية ذبح أبنائهن من تعذيب لهن.

بالإضافة إلى أن تسخير الرجال في الخدمة وذبح الأبناء يجعلهن ضعيفات مما يزيد العذاب. وهكذا يحوِّل آل فرعون الحياة من دار خير ونعمة، إلى دار ابتلاء ونقمة جراء ما يُلحقونه ببني إسرائيل من سوء العذاب، وجاء هذا التحويل باستخدام الفعل (يستحيون) الذي نقل الفعل من دلالة إلى أخرى، الذي كان الهدف من عمله إلحاق الأذى والمهانة والقتل التدريجي لبني إسرائيل.

والفعل (استعان) من الثلاثي (عون). العَوْنُ الظَّهير على الأمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء[٦٦٨]، والعَوْنُ: المُعِيْنُ، وما عَوَّنْتُ فيه بشَيْءٍ: أي ما أعَنْتُ[٦٦٩]. واسْتَعَنْتُ بفلان فأعانَني وعاونَني. وفي الدعاء رَبِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عَليَّ[٦٧٠].

فالعَوْن هو المساعدة، وتقديم العون، والمُعاون المُساعِد ويسمَّى عونا أيضا. أمّا (استعان) فإنه فعل فيه العون والمساعدة ولكنها تزداد عليه بالطلب، وقولك: استعنت بفلان، بوجود حرف الجر الباء، يدل على معنى الطلب، حيث يدل على أنك قمت بفعل طالبا العون من شخص ما. قال الطبري: "يعني بقوله جل ثناؤه: (واستعينوا بالصبر): استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري، وترك ما تهوونه"[٦٧١]. وعن أبي العالية في قوله: "واستعينوا بالصبر والصلاة"، يقول: استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله، واعلموا أنهما من طاعة الله.[٦٧٢].

---

(668) اللسان، مادة (عَوَن).
(669) المحيط في اللغة، مادة (عون).
(670) اللسان، مادة (عون).
(671) جامع البيان، ج١، ص١٩٢.
(672) السابق، ج٣، ص٢١٤.

كما قال مقاتل بن حَيَّان في تفسير هذه الآية: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض، والصلاة [٦٧٣]. "وَاسْتَعِينُوا" على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل: على طلب الآخرة " بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ "، أراد حبس النفس عن المعاصي [٦٧٤].

وأن استعان معناه طلب المعونة[٦٧٥]، وفي أمر الله جل ثناؤه عبادَه أن يقولوا:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[٦٧٦]، بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة[٦٧٧]، و"الاستعانة طلب العون ، والطلب أحد معاني استفعل"[٦٧٨].

لا يبتعد معنى الاستعانة في القرآن عن معنى طلب العون، ولكنه يوجهه توجيها خاصا، حيث يعلم الله تعالى المسلمين ما ينفعهم في أمور الحياة الدنيا، وما ينالون به خير الدار الآخرة. والاستعانة مرتبطة بالعبادة يقول تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، ويقول تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" [٦٧٩]، فطلب العون من الله تعالى على العبادة، من التوفيق إلى الطاعات والبعد عن المعاصي، وعلى سائر أمور الحياة ، وفي الفعل (استعينوا) تعليم آخر يتمثل في التوجه بطلب العون من الله تعالى وحده وعدم اللجوء إلى سواه، لأن الأمر كله بيده، وهذا لا يدركه إلا من كان مؤمنا بالله إيمانا راسخا أكيدا. ومن كان كذلك كانت عبادته خالصة لوجه الله الكريم لا تشوبها شائبة. وعليه تكون الاستعانة عبادة، تُظهر إخلاص العبد لربه وصدق توجهه لخالقه. وهكذا فإن المعنى القرآني استحدث معنى جديدا للفعل (استعان) في جعله عبادة لمرضاة الله تعالى.

والفعل (استسقى) من الثلاثي (سقى) "يقال: سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه، وسقاه وأسقاه: جعل له ماء. واستقى الرجل واستسقاه: طلب منه السقي. والاستسقاء طلب السقيا أي: إنزال الغيث على البلاد والعباد"[٦٨٠]. يرتبط السقي

(673) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢٥١.
(674) معالم التنزيل، ج١، ص٨٩.
(675) البحر المحيط، ج١، ص٢٩٨.
(676) الفاتحة(٥).
(677) جامع البيان، ج١، ص١٦٢.
(678) البحر المحيط، ج١، ص٤١.
(679) البقرة(٤٥).
(680) اللسان، مادة (سقي).

بالماء للبشر وغيرهم من الكائنات الحية، بتوفير اللبن أو الماء لما فيه استمرار حياتهم وحاجتهم إليه. أما الفعل (استسقى) فطرأ عليه معنى طلب السقيا بفعل الزيادة، والطلب هنا يدل على مقدار الحاجة، وعمق الضرر الذي ألم بالمُستَسقِي، جراء انقطاع أسباب الحصول على الماء مما يضطره لطلبه.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (استسقى) في قوله تعالى: "وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا..."[٦٨١]. يعني بقوله:" وإذ استسقانا موسى لقومه، أي سألنا أن نسقي قومه ماء"[٦٨٢]. والاستسقاء طلب الماء عند عدمه وقلته"[٦٨٣].

ربما يكون طلب الماء في ظروف عادية أمرا عاديا طبيعيا، أما أن يكون طلبه نعمة وفضلا من الله لعباده، فهو المعنى المراد من الفعل (استسقى) في الآية الكريمة نظرا للظروف الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل سنوات التيه الأربعين، وطلب الماء في هذه المحنة أعطاهم ما يرجون من خير الدنيا ونعيمها بحصولهم على الماء الذي سألوا، وأراهم قدرة الله ومعجزته، بين العديد من النعم والمعجزات المذكورة في سورة البقرة، فكان الفعل (استسقى) دالا على عظمة الله في خلقه وداعيا إياهم لإخلاص العبادة وصدق التوجه إلى الله تعالى.

والفعل (استغفر) من الفعل (غفر) "والغفران والمغفرة والغَفْر واحد"[٦٨٤]."وأصل الغَفْر: التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي: سترها. واستغفر الله من ذنبه ولذنبه بمعنى. واستغفر الله ذنبه على حذف الحرف طلب منه المغفرة. وغفر الأمر: أصلحه بما ينبغي أن يصلح به."[٦٨٥].

فالمغفرة تتضمن أمرين: الستر والإصلاح. ستر الذنوب وتغطيتها، والستر قد يكون فيه صلاح المذنب وعدم عودته للذنب مرة أخرى، وللإصلاح صور

---

(681) البقرة(٦٠).
(682) جامع البيان، ج٢، ص١١٩.
(683) البحر المحيط، ج١، ص٣٦٥.
(684) القاموس المحيط، مادة (غفر).
(685) اللسان، مادة (غفر).

أخرى غير الستر كالتعليم والإرشاد، وأي عمل من شأنه أن يُصلِح الآخرين، يقع في دائرة المغفرة.

أما الاستغفار فهو طلب المغفرة، حيث يطلب الفاعل من الله تعالى أن يستر ذنبه، وذلك بتهيئة كل ما من شأنه أن يصلح حاله، وطلب المغفرة من الله تعالى إقرار بربوبيته وقدرته، لأنه القادر على ذلك.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (استغفر) في قوله تعالى:"ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم"[٦٨٦]. وقوله تعالى: " وَاسْتَغْفِرُوا اللَّـهَ " معناه: وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها[٦٨٧]. (واستغفروا الله) أي سلوه المغفرة لذنوبكم[٦٨٨]، وهو طلب الغفران من الله باللسان مع التوبة بالقلب.

يتخذ الفعل (استغفر) منحى جديدا بدلالته على الطلب الوارد في الزيادة، فالطلب معنى يدل على أمور تسبقه وأخرى تتلوه؛ أما ما يسبقه فهو الوقوع في الذنب، يليه الإقرار والاعتراف به، ثم التوجه إلى الله بطلب المغفرة، وهذا إقرار آخر بوجود الله وقدرته على غفر الذنوب. أما الأمور التالية فهي إصلاح الشأن والإقلاع عن الذنب والندم عليه، مع تجديد هذا باستمرار، تأكيدا للندم والتوبة وكلها مصاحبة للاستغفار؛ فالاستغفار ليس مجرد طلب المغفرة، بل إن طلب المغفرة جزء من العبادة ودليل إيمان بالله تعالى.

والاستغفار فعل لساني تصاحبه أفعال قلبية وأخرى سلوكية، إذ الاستغفار طلب باللسان، لكنه وحده لا يكفي بل يدعمه توبة قلبية، وهي إلى هذا الحد لا تكفي إن لم يرافقها ندم على ما سلف، وعدم الرجوع إلى الذنوب وهو الجانب السلوكي للاستغفار. فالفعل (استغفر) تركيبة من الأفعال المقصودة والمنظمة والقائم بعضها على بعض، بحيث لا يبدو في صورته المقبولة شرعا إلا بها جميعا.

---

(686) البقرة(١٩٩).
(687) جامع البيان، ج٢٣، ص٧٠٠.
(688) الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٥٩.

وهـو تربيــة إيمانيــة ونفسـية تتعلـق بيوميـات الحيـاة للمسـلم، بحيـث يظـل الاستغفار حاضـرا علـى لسـانه، وفـي قلبـه، وظـاهرا فـي تصـرفاته. وهـو شـكل مـن أشكال التأدب في مناجاة الله تعالى.

وممـا يتعلـق بالاسـتغفار أمكنـة وأزمنـة خاصـة ، يمكـن معرفتهـا مـن آيـات الاستغفار وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ ففي الآيـة الكريمـة موضـوع الحـديث، نجدها جاءت عقب الأمر بالإفاضة، ف "أمرهم بالاستغفار في مواطن مظنة القبول، وأماكن الرحمة"[٦٨٩] . "وفي الأمـر بالاسـتغفار عقـب الإفاضـة، أو معهـا، دليـل علـى أن ذلـك الوقـت، وذلـك المكـان المُفـاض منـه والمـذهوب إليـه، مـن أزمـان الإجابـة وأماكنهـا، والرحمـة والمغفـرة"[٦٩٠]، وهـذا تعلـيم آخـر بإرشـاد المسـلمين إلـى وجـود أزمنـة وأمكنـة خاصـة يُستحَبُّ فيهـا الاسـتغفار وتكـون أقـرب للإجابـة، وهـي أمكنـة عبادة وأزمنة عبادة، وهذا إرشاد آخر بالاستغفار أثناء أداء العبادات وبعدها، لما فيه من الخير والإقامة على الطاعة.

والفعل (استرضع) من الثلاثي (رضع) وهو فعل خـاص بالإنـاث، و"(رضـع) الصبيُّ يَرْضِع مثال ضرب يضْرِب لغة نجدية ورَضِعَ مثـال سَمِع يَرْضَـع رَضْـعاً ورَضَـعاً ورَضِـعاً ورَضـاعاً ورضـاعاً ورَضـاعةً ورضـاعة فهـو راضِـعٌ والجمـع رُضَّع"[٦٩١]، و"رَضِعَ الصبيُّ أمَّه يَرْضَعُها رَضـاعا"[٦٩٢]. "وقولـه ولا جُنـاح عليكم أن تسترضِعُوا أولادكم أي تطلبوا مُرْضِعة لأولادكم"[٦٩٣].

فالرَّضـاعة مـن ينالـه الوليـد مـن أمـه بعـد الـولادة بمـا يحفـظ حياتـه، وينمِّـي جسمه، وهي تعني الحياة والصحة. أما (استرضع) فهو طلب إرضـاع الرضـيع من أمه أو سواها، لما فيه منفعة الرضيع في حاضره ومستقبله، "وفـي الحـديث نِعمت المُرْضِعة وبئست الفاطِمةُ"[٦٩٤]. والفعل (استرضع) فعل يتعدى إلى مفعولين: الأول

(689) البحر المحيط، ج٢، ص٣٠٤.
(690) البحر المحيط، ج٢، ص٣٠٤.
(691) اللسان، مادة (رضع).
(692) الصحاح في اللغة، مادة (رضع).
(693) اللسان، مادة (رضع).
(694) السابق، مادة (رضع).

الأم أو المرضعة التي طُلِبَ إليها إرضاع الرضيع، والثاني: الرضيع الذي إليه تنتهي غاية الفعل. وفي تعديته إليهما لفت لأهمية الجانبين في الفعل.

وفي سورة البقرة ورد الفعل (استرضع) في قوله تعالى:".. وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير"(٦٩٥). "واستفعل هنا للطلب أي : طلبتَ من المرأة إرضاع الولد"(٦٩٦)، و" استرضع : منقول من أرضع . يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي، لتعديه إلى مفعولين"(٦٩٧).

والآية الكريمة تتناول حالة خاصة ، عند امتناع الأم عن إرضاع ولدها في حال خروجها من عصمة والده، فللأب عندها البحث عن مرضعة لولده واسترضاعها، أي: يطلب إليها إرضاعه. وفي قول الزمخشري:" منقول من أرضع"، ما يدل على عدة نقلات مرّ بها الفعل إلى أن وصل إلى هذا البناء، وهذه الدلالة، وهذا التعدِّي؛ فالمرحلة الأولى نقْله من (رَضِع) إلى (أرْضَع)، حيث يتعدى إلى مفعول واحد: أرضعت الأم ابنها. والمرحلة الثانية من (أرْضَع) إلى (اسْتَرضَع)، حيث يتعدى إلى مفعولين والتقدير: "أن تسترضعوا المراضع أولادكم"(٦٩٨).

وكأني بهذا الفعل وقد بُنِيَ على مجموعة من الدلالات المتراكمة، فكانت زيادة الألف والسين والتاء- وهي أكثر زيادة يصل إليها الفعل- تشكل البناء السطحي النهائي في عدد حروف الزيادة، وعدد المفاعيل التي يمكن للفعل الوصول إليها، وليعطي حكما شرعيا يعتمده الناس في ظروف صعبة قد يمرون بها في حياتهم بما يلائم جميع أطراف الحدث ويرضيهم، فالتراضي في مثل هذه المسائل مهم : الأم التي لها أن ترضع ولها أن تمتنع، والأب الباحث عن حياة ولده الرضيع.

---

(695) البقرة(٢٣٣).
(696) البحر المحيط، ج٢، ص٥٠٨.
(697) الكشاف، ج١، ص٤٥٧.
(698) الكشاف، ج١، ص٤٥٧.

المبحث الثاني

التشكّلات الأسلوبية لصيغة (استَفْعَل) في سورة البقرة في ضوء سياق الحال

أولا: صيغة (اسْتَفْعَلَ) وموضوع الخطاب:

إن الناظر المحلل للنص القرآني يلاحظ الانسجام المعجز بين التراكيب المشكلة لهذا النص، وسياق الحال المحيط به، ومن الأمثلة البارزة على هذا الانسجام: البنية الصرفية، ومنها الأفعال المتعدية بالزيادة، التي تنسجم مع عناصر سياق الحال المختلفة، ومنها: موضوع الخطاب، وغرض المرسل، وعلاقتها بالمتلقي، وإليك أمثلة على ذلك:

ففي قوله تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" [٦٩٩]، التي جاءت في إطار الحديث عن نعم الله الكثيرة على بني إسرائيل، وهم أهل كتاب وعلم. وورود الفعل (استعينوا) هنا دعوة وترغيب لهم بالإيفاء بعهدهم مع الله تعالى، فهم أكثر الناس علما بصدق محمد (صلى الله عليه وسلم)، وصدق رسالته، وكتابه، الذي جاء مُصدِّقا لما معهم. فموضوع النص القرآني عند اليهود معروف، وهذا ساهم في التواصل مع النص القرآني ورفع مستوى درجات الإعلامية والإيصال، وانتفى معه تعدد الاحتمالات، والموضوعات الواردة في سورة البقرة عن اليهود وتذكيرهم بنعم الله عليهم، ساوت بين علمائهم وعامة الناس في المعرفة التي كانوا يتفاخرون بها، وما مجيء الفعل (استعينوا) في الآية الكريمة إلا تذكير آخر لهم في إطار التذكير بالتزاماتهم تجاه الله تعالى، وأن من واجبهم أن يكونوا أكثر الناس التزاما بأوامر الله واجتناب نواهيه.

وقد جاء خطاب اليهود بالفعل (استعينوا)، بما يُخاطب به أهل الإيمان، بعد أن قال لهم: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين"[٧٠٠]. وهذا تحفيز

---

(699) البقرة(٤٥).
(700) البقرة(٤٣).

وتنشيط وترغيب لهم على امتثال الأمر، وضرورة التوجه إلى الله وطلب العون منه.

وفي الموضوع نفسه - تذكير بني إسرائيل نعم الله عليهم- نجد قوله تعالى:" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ"[٧٠١]. وفيها جاء الفعل (يستحيون) الذي عبر عن شكل من أشكال العذاب التي لاقاها بنو إسرائيل على يد آل فرعون، فتَرْك الإناث دون الذكور وطلب حياتهن للخدمة والعيش بمذلة هو عذاب جسمي للنساء المُستعبدات، وعذاب نفسي للرجال حيث يرون نساءهم يتقلبن بألوان العذاب والمهانة دون أن يستطيعوا إنقاذهن، يضاف إليه عذاب آخر برؤية الأبناء يُذبَّحون أمامهم، وكلهم ضعاف لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا.

ففي الوقت الذي يبدو فيه الاستحياء نعمة واستمرارا للحياة، يرد في الآية الكريمة دالا على بلاء ومحنة عظيمة مرّ بها بنو إسرائيل في مدة من تاريخهم، وهو إذ يعبر عن محنة خاصة فإن وروده هنا يدل على مبلغ العناية الإلهية بإنقاذهم وتخليصهم مما آلمهم مدة طويلة. وقصة الفعل (يستحيون) من أخبار بني إسرائيل المذكورة في التوراة، فالقرآن يقدم لهم ما يعرفونه، وهو دليل يضاف إلى قائمة الأدلة الكثيرة التي تؤكد صدق الرسالة والدعوة المحمدية، ولما كان الأمر على هذه الدرجة من الوضوح الذي لا يخالطه شك، كان واجبا على اليهود إيمانهم بالتوراة قبل إيمانهم بالقرآن، واتّباعُهم محمدا (صلى الله عليه وسلم) وتصديقهم دعوته، لكنهم عدلوا عن ذلك حسدا وعناداً.

وفي الموضوع ذاته نجد قوله تعالى: "وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا..."[٧٠٢]. حيث ورد الفعل (استسقى) الذي جاء في معرض الحديث عن محنة أخرى مرَّ بها بنو إسرائيل، ويذكرهم الله فضله ونعمته عليهم سنوات التيه، إذ كانوا في صحراء مقطوعة، لذا احتاجوا الماء لانقطاعه، فكان الفعل (استسقى) خيرا لهم في دنياهم وآخرتهم بمعاينتهم معجزة

(701) البقرة (٤٩).
(702) البقرة(٦٠).

إلهية على يد موسى عليه السلام وهذا أدعى لإيمانهم واستمرارهم فيه، واتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) جزء من هذا الإيمان. وهذه قصة من قصص بني إسرائيل المذكورة في التوراة، وتكذيبهم للقرآن تكذيب للتوراة، فهم بكل ما أُنزل إليهم كافرون.

وهذه الأخبار عن اليهود وقصصهم وما قابلوا به نعم الله المتعددة المتتالية من الكفر والنكران، فيها تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين من تلقي اليهود للدعوة الإسلامية وشدة العداء لها بذكر طريقة استجابتهم القديمة لدعوة رسلهم السابقين، حتى صار الكفر طبعا لازما لهم في كل زمان.

وفي موضوع آخر، وهو الحديث عن الحج ومناسكه، جاء الفعل (استغفر) في قوله تعالى: " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[٧٠٣]. ومن خلال الفعل (استغفروا) يُعلّم الله تعالى المسلمين كيفية تواصلهم مع خالقهم. "وظاهر هذا الأمر أنه ليس طلب غفران من ذنب خاص، بل طلب غفران الذنوب، وقيل: إنه أمر بطلب غفران خاص" [٧٠٤]. وفي قول أبي حيان هذا ما يظهر سعة دلالة الفعل ودقته في التعبير عن غرض محدد ؛ فهو إذ يعنى عموم المغفرة إنما يعبر عن موضوع محدد والأمران لا يتعارضان. والأمر بالاستغفار في الآية الكريمة يعني: "واستغفروا الله مما كان من مخالفتكم في الوقوف والإفاضة"[٧٠٥]، والأمر بالاستغفار هنا يُعلّم المسلم ضرورة وأهمية الاستغفار في أوقات أداء العبادات احترازا من التقصير في أدائها، وفي كل الأوقات. وفيه تعليم بمراقبة الذات والتنبه من الغفلة حتى في عبادة مثل الحج، فكيف في يوميات الحياة، فنحن أحوج للاستغفار فيها.

وفي قوله تعالى في آية الدَّين: "واستشهدوا شهيدين من رجالكم "[٧٠٦]. التي جاءت في الجزء المتعلق بالتشريعات، وهو الغرض المُميِّز للسور المدنية، وفيها يأمر الله تعالى المسلمين اتخاذ الاحتياطات اللازمة كافة أثناء التعاملات المالية، لما

(703) البقرة(٢٨٢)
(704) البحر المحيط، ج٢، ص٣٠٤.
(705) السابق،ج٢، ص٣٠٤.
(706) البقرة(٢٨٢).

في ذلك من حفظ حقوق المُتعامِلين. حيث جاء الفعل (استشهدوا) وهو طلب وجود شهود، لكنهم شهود من نوع خاص وشروط محددة؛ كالإسلام والثقة "والقصد من الأمر بالكتابة التوثّق للحقوق وقطع أسباب الخصومات ، وتنظيم معاملات الأمة"[٧٠٧]. فالله تعالى يرشدنا لأسباب الصلاح والمحافظة على حقوق الجميع، مما يدفع الخلافات ويساعد على البناء، ويؤسس لدولة تأخذ بكل مقومات النجاح المادية والمعنوية، وتفوت الفرصة على كل من تسول له نفسه التلاعب بالآخرين وحقوقهم، ومثل هذه البيئة الآمنة، جالبة للتعاملات الاقتصادية ومحط أنظار التجار الذين يحرصون على تنمية أموالهم في مجتمع يلتزم الحق في تعاملاته كلها.

ثانيا: صيغة (استَفْعَلَ) وغرض المرسل

القرآن كلام الله تعالى ورسالتُه لخلقه، وهو خِطاب مُوجَّه يشكِّل خُطَّة هادفة تُحدِث أثراً، وتوصِل مفهوماً، وهذه الرسالة تُقدَّم عبر تراكيب لغوية تصيب الهدف، وتحقق الاستجابة المطلوبة، وعندما يكون الخيار اللغوي المُستخدَم بالجملة الفعلية للأفعال المتعدية بالزيادة، فإن المعاني والدلالات المترتبة عليها متعددة الجوانب، لتعدد عناصر التركيب الفعلي، وتبادل التأثير والتأثر بينها، ولتجدد الإسناد، ولتعدد الصيغ الزمنية للأفعال، وتعدد صيغ الزيادة، ولدلالة الفعل على الأشخاص والأزمنة والأمكنة. واختيار صيغة فعلية دون غيرها في مقام معين له خصوصيته.

ففي قوله تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" [٧٠٨]. "خطاب لبني إسرائيل بالإرشاد إلى ما يُعينهم على التخلُّق بجميع ما عدد لهم من الأوامر والنواهي الراجعة إلى التحلي بالمحامد والتخلي عن المذمّات"[٧٠٩]. إن أمر الله تعالى بني إسرائيل الاستعانة بالصبر على الطاعات والصلاة، ترغيب لهم بالدخول في الإسلام إيفاء منهم بعهودهم مع الله تعالى، حيث

(707) التحرير والتنوير، م٣، ج٣، ص١٠٠.
(708) البقرة(٤٥).
(709) التحرير والتنوير،م١، ص٤٧٧.

أمرهم بذلك في التوراة، كما يلامس مكامن النفس البشرية بمُخاطبتِها بما تحب فتستجيب وتنقاد.

وفي قوله تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة" إشارة هامة إلى أشكال العبادة المقبولة عند الله تعالى بظهور الإسلام؛ فصلاة اليهود بعد الإسلام لا يُعتَّد بها وعليهم إن أرادوا الصلاح والخير أن يلتزموا بالصلاة التي علّمنا الله إياها على يد رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، يؤكد ذلك قوله تعالى في مخاطبتهم:"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين"[٧١٠]. كما كان الفعل (استعينوا) تعريضا باليهود وسلوكاتهم في الدين، التي ظهرت في الآية السابقة لهذه الآية في قوله تعالى :"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"[٧١١].

وفي قول تعالى: "وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٧١٢]. رسالة أخرى لبني إسرائيل وتذكيرا بنعمه عليهم بتخليصهم مما رأوه من العذاب الذي كاد يفنيهم على يد فرعون وآله، ومن صور العذاب التي رأوها: (يستحيون نساءكم) حيث عمد آل فرعون إلى ذبح الذكور من المواليد واستبقاء النساء لأعمال الخدمة، فكان بقاؤهن على قيد الحياة في هذا الظرف عذابا لهن أكثر من ذبحهن؛ فاستحياؤهن ورؤيتهن أبناءهن يُذبَّحون أمامهن، ورؤية أزواجهن مستعبدين أذلة لا يقوون على رفع الظلم عن أنفسهم، ورؤية الرجال نساءهم ذليلات مستعبدات مهانات، كلها من ألوان العذاب الشديد الذي كاد يهلك بني إسرائيل.

فالفعل (استحيا) لا يقع أثره على النساء فقط بإبقائهن أحياء، بل وعلى أولادهن وأزواجهن في ظروف لا تطاق. ووصف كهذا لمعنى وأثر الفعل (استحيا) يظهر مقدار العذاب، وما يقابله من عظيم النعمة بإنهاء الله تعالى عذابهم. وفضل رباني كهذا يستحق الشكر وإخلاص العبادة، المتمثل بالتزام أمر الله وعهده من اتباع محمد (صلى الله عليه وسلم).

---

(710) البقرة(٤٣).
(711) البقرة(٤٤).
(712) البقرة(٤٩).

وهناك تذكير آخر للنعمة نفسها التي يحياها اليهود بين المسلمين، التي لايلاقون فيها سوى حسن المعاملة.

وفي قوله تعالى:"وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا..."[٧١٣]. إن سقيا الله تعالى الناس عند انقطاع الماء نعمة عظيمة، فكيف الأمر إذا كانت السقيا في أرض مقطوعة لا ظل فيها؟. لا شك في أنها إنعام وفضل وتفضيل، حيث أجاب الله تعالى طلبهم على يد موسى عليه السلام، وفي الفعل (استسقى) إظهار لمعجزة من المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام ورأوها، وهي معجزة حفظت حياتهم وذرياتهم من الموت في مكان مقطوع.

فالفعل (استسقى) يعبر عن خصوصية المكان، والزمن، والحدث، ومقصد الحدث، ونهاية توجهه، فالمكان مقطوع عن كل أسباب الحياة، فكان الاستسقاء في وقت حاجة شديدة له، وإجابة الله طلبهم تكريم لموسى، وتثبيت لدعوته فيهم، وتكريم لهم بإنعام الله تعالى عليهم.

وفي قوله تعالى:" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[٧١٤]. ومناسبة هذه الآية: "أن قريش ومن دان دينها كانوا يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحُمْس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيضوا منها"[٧١٥] لما في ذلك من فُرقة وتقسيم الناس في طبقات وهذا بعيد عن روح الإسلام، لذا جاء الأمر بالاستغفار عما كان من فعلهم في الجاهلية.

وعليه فالفعل (استغفروا) يشكل تغييرا اجتماعيا قائما على ترك عادات الجاهلية، وإحلال أمر الله محلها، لما فيه من خير الناس في الدنيا والآخرة. وجاء الفعل (استغفروا) هنا طلبا فوق طلب، وفي ذلك تأكيد للأمر بالقيام بالفعل، فالطلب الأول في صيغة الأمر في الفعل حيث يطلب الله تعالى منهم أن يستغفروا، والطلب

---

(713) البقرة(٦٠).
(714) البقرة(١٩٩).
(715) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥٥٥-٥٥٦.

الثاني في صيغة (استفعل) الواردة في معنى الزيادة حيث يأمرهم بطلب الاستغفار، مما يؤكد أهمية هذا الحدث في حياة المسلم بوصفه فعلا مساهما في إحداث الاستجابة المطلوبة: من ترك عادات الجاهلية، والالتجاء إلى الله، والاحتراز من التقصير في حق الله في العبادات.

وكثيرًا ما يأمر الله بذكر الاستغفار بعد قضاء العبادات؛ وهذا إرسال آخر من الله تعالى، حيث جاء ذكر الفعل (استغفر) في الآية الكريمة في معرض الحديث عن الحج، فيعلم الله تعالى عباده كيف يعبدونه وينالون القبول عنده، في أمكنة وأزمنة خاصة.

ومثل الأمر في (استغفروا) الأمر في قوله تعالى:".. واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء..."[٧١٦]. وفي الفعل (استشهدوا) طلبان: أمر، وطلب بالإشهاد. وإذا كان الفعل (استغفروا) يرشد المسلمين إلى طريقة التواصل مع الله تعالى، فإن الفعل (استشهدوا) يرشد إلى طريقة تعامل الناس مع بعضهم، عبر سلسلة من الاختيارات التي تحمي حقوقهم، وتحفظ أموالهم، فالآية الكريمة تسمى: آية الدين، وهي أطول آية في القرآن الكريم، وما هذه الإطالة إلا شكل آخر من أشكال التأكيد التي تدعم الطلب الوارد في الآية (استشهدوا) وغيره من أفعال الأمر في الآية الكريمة في اتخاذ أشد الاحتياطات والإجراءات اللازمة بما يضمن سلامة التعاملات المالية، التي كان الحفاظ عليها أحد أهم مقاصد الشريعة، وهذا تشريع مهم لدولة حضارية قيادية يأمن فيها الجميع على أموالهم ودقة تعاملاتهم في دولة الإيمان والأمان.

ومن ضمن الاختيارات الواجبة في الاستشهاد اختيار الشهود، ضمن شروط حددها الشرع: كالبلوغ، والعقل، والإسلام، والثقة، وممن تكثر منهم الشهادة، فكان هذا من تعليم الله تعالى المسلمين، أن تكون الأفعال مبنية على اختيارات قائمة على معايير ثابتة لا يغيرها الخصام أو الخلافات.

---

(716) البقرة(٢٨٢).

ثالثا: صيغة (استَفْعَلَ) وعلاقتها بالمتلقي.

يشكل "المتلقي" عنصراً مهما من عناصر سياق الحال، وتعيين هذا المتلقي يؤدي دوراً بارزاً في فهم أبنية النص، وفهم مجيئها على صورة وتركيبة دون غيرها. وقد يتوجه الخطاب القرآني لأكثر من طرف في الآية الواحدة، وتتعدد تبعا لهذا أنماط الاستجابة.

ومن الأمثلة على ذلك الفعل (استعينوا) في قوله تعالى:"وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ"(٧١٧). نجد الخطاب موجها لبني إسرائيل، و بداية الخطاب قوله تعالى: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"(٧١٨).

وبين الآيتين سلسلة من أوامر الله تعالى ونواهيه، وموقع هذه الآية بعد الأوامر والنواهي إرشاد لهم إلى ما يعينهم على تحقيقها في الفعل (استعينوا)، وهو فعل مقصود في صيغته الزمنية والصرفية، فالأمر مُوجَّه لطرف مُحدَّد يُطلب منه تنفيذ فعل مُحدَّد، وصيغة (استفعل) الدالة على الطلب، فجاء الطلب مضاعفا، وما استخدام صيغة تدل على الطلب في شكلين لغويين إلا تكرار لفكرة الطلب في كلمة واحدة، وهذا من أبدع أشكال الاستخدام اللغوي حيث الطلب طلبان في مفردة واحدة. مما يدل على أهمية الفعل في إحداث الاستجابة المطلوبة، وهي الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، إذ تنزع النفس حينا إلى هواها، فتردها الاستعانة إلى سبيل الخير والصلاح.

وقد حدد الله تعالى في الآية الكريمة سبل الاستعانة: بالصبر والصلاة وفي قصد الاستعانة بهما دون غيرهما، والصلاة على وجه الخصوص، تأكيدٌ لليهود أن الصلاة المقبولة عند الله تعالى هي الصلاة المفروضة في الإسلام، وأن صلاتهم التي هم عليها لا تنفعهم في شيء، مما يعني أن الاستعانة ستكون لتغيير القديم إلى أمر جديد، فالفعل (استعينوا) فعل يساهم في إحداث تغيير بالانتقال من صلاة اليهود إلى صلاة المسلمين.

---

(717) البقرة(٤٥).
(718) البقرة(٤٠).

وقال بعض المفسرين إن المُخاطَب بالآية الكريمة أحبارُ اليهود وعلماؤهم، مما يزيد قبول المتلقي للخطاب ويجعله يحكم علية بالصحة والرضا؛ ذلك أن الأحبار هم أكثر الناس علما بصحة القرآن لأنه جاء مصدقا لما في التوراة التي هم أكثر الناس علما بها، فالقرآن الكريم يلامس مكنونهم المعرفي مباشرة ويضعهم أمام خيار واحد هو تصديق القرآن ومحمد (صلى الله عليه وسلم)، وبالتالي قبول الأوامر والنواهي والاستجابة لها استجابة لائقة، هي تأكيد لإيمانهم بالتوراة التي أمرهم الله فيها وأخذ العهد عليهم أن يؤمنوا بمحمد عند ظهوره.

وفي الآية من أسباب القبول أمر آخر يتمثل في شكل الخطاب بالفعل (استعينوا) وهو مخاطبتهم مخاطبة المؤمنين، وما في ذلك من الترغيب، "فإنهم لما خوطبوا بالترغيب والترهيب والتنزيه والتشويه ظن بهم أنهم لم يبق في نفوسهم مسلك للشيطان ولا مجال للخذلان وأنهم أنشأوا يتحفزون للامتثال والائتساء"[٧١٩]. واليهود في الآية الكريمة عموما، والأحبار خصوصا، هم الفئة المستهدفة المقصودة من الخطاب، لكن الخطاب يوجه للمسلمين والناس كافة، فالمسلمون محذرون من الوقوع في عيوب الآخرين من أبناء الديانات السابقة، وهم بحاجة إلى مثل هذا الإرشاد والتوجيه في بداية تأسيس الدولة لتقوم وتنشأ على أسس سليمة لا تختل في علاقة العبد بربه، والطرق التي تعينه على تأصيل العقيدة في قلبه وفكره، لتظهر سلوكا صحيحا به يقيم المسلم سلطة الحق عليه وإن كانت شاقة.

وفي قوله تعالى:" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ[٧٢٠]. والخطاب موجه لليهود زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهي تذكير بسالف النعم على آبائهم، فهم لم يكونوا حاضرين زمن التنجية ولم يروها، لكن إنعام الله تعالى على آبائهم إنعام عليهم، فبفضل ما كان من نعمة الله عليهم بتخليص آبائهم، كان وجودهم وحياتهم إلى زمن الخطاب.

---

(719) التحرير والتنوير، م١، ص٤٧٧.
(720) البقرة(٤٩).

وإظهار النعمة والفضل الرباني برز بذكر ألوان العذاب التي عاشها آباؤهم في زمن فرعون، في" يُذَبِّحُونَ" و" وَيَسْتَحْيُونَ"، وذِكرُ الفعل الأول أظهر سوء العذاب في الثاني؛ فالاستحياء والإبقاء على الحياة خير، لكنه متى اقترن بظروف سيئة صار عذابا، فما استحياء النساء في الآية الكريمة إلا فعل قصده فرعون وآله بهدف الاستعباد والقيام على الخدمة، وإذلال لهن ولرجالهن، لأن إهانة المرأة واستعبادها لا يكون إلا بغياب قوة الرجال. فكان استحياء النساء من تمام الإذلال وإلحاق الضيم بهم جميعا.

ولما كانت هذه الأخبار وردت في التوراة فإن الآية لامست أكثر من طرف في المتلقي: مكنونه المعرفي حول موضوع الخطاب الذي يعرفه اليهود جيدا، الذي راعاه الخطاب تماما، وقبوله للخطاب الذي يوصل إلى حكم عليه، وشكل الاستجابة المتوقعة، التي لا يمكن أن يكون لها إلا شكل واحد، يتمثل بالشكر والعبادة وإيفاء العهود مع الله تعالى، لكن أيا منها لم يحدث ولم يُظهر اليهود أي تأثر بها وقد عاشوها، فجاء الخطاب للأبناء مذكرا إياهم بما كان من كفر سلفهم، وداعيا لهم عدم الاستمرار فيما كانوا عليه، ومسليا للرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن ما يقابلون به الدعوة من الكفر ليس جديدا عليهم، وداعيا المسلمين للحرص والتنبه لألاعيبهم.

ومثل ظروف هذه الآية وموقعها مما سبقها قوله تعالى:" وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[٧٢١]، حيث الخطاب لليهود زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتذكيرهم بما كان من نعم الله عليهم، التي تشترك كلها بحفظ الله حياتهم فيها وتخليصهم من العذاب، والإنعام عليهم في ظروف لا يملكون فيها سوى رحمة الله بهم، التي يعرفونها في التوراة. فكان طلب موسى الماء من الله في صحراء خالية من كل أشكال الحياة نعمة أبقت حياتهم، وبفضل الله عليهم فيها كان وجود المُخَاطَبين زمن الدعوة الإسلامية. وخطاب آخر للرسول بتيئيسه من إيمانهم فلا يحزن لتلقيهم الدعوة بالكفر. وقوم

(721) البقرة(٦٠).

كهؤلاء ليسوا جديرين بالقيادة والاقتداء، فجاء الله تعالى بأمة أخرى، تجتمع لها ما لم يجتمع لغيرها من الأخلاق والمحامد، تكون قادرة على قيادة الناس جميعا، وتكون أهلا للاقتداء.

وفي قوله تعالى:" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"(٧٢٢). التي تتعرض لنوع آخر من المتلقين، إنه النوع الذي ميزه الخطاب القرآني في سورة البقرة من بدايتها في:" فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"(٧٢٣) وفي:"الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ"(٧٢٤).وفيها يوجه الله تعالى الخطاب للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولأمته، "فَلْيَسْتَجِيبُواْ لي": أي فليطلبوا إجابتي لهم إذا دعوني قاله ثعلب"(٧٢٥). ولما كان المتلقي فيها من نوع خاص، جاء الفعل (فليستجيبوا) من نوع خاص، يقدم شكلا مميزا من الطلب في صيغة (استفعل) تتمثل في تبادل أطراف الخطاب طلب الاستجابة؛ فالله تعالى يطلب من المؤمنين أن يدعوه ويطلبوا منه إجابة دعائهم، والله تعالى يطلب منهم أن يجيبوا دعوته. فحدوث استجابته تعالى دعاءَهم متوقف على استجابتهم دعوة الله.

والمؤمن عندما يتلقى مثل هذه الدعوة فإنه يعرف الشروط التي وضعها الله تعالى لإجابة الدعاء، التي تقوم على قيام العبد بالعبادات والطاعات، وهي الاستجابة التي يطلبها الله منهم، التي تشكل منهج حياة. وبها يتعلم المؤمنون أن استجابة الله لهم بالدعاء وهو فعل لساني، تتطلب أفعالا عملية تسبقها وتكون علامة للإيمان فالفعل (استجاب) جملة من الأفعال اللسانية والقلبية والعملية وبها تتحقق الاستجابة. وبذلك يكون الفعل (استجاب) من صور عدالة الله تعالى في خلقه، إذ بقدر السعي في الطاعات تكون الاستجابة والقرب من الله تعالى، وهو باب من أبواب تنافس العباد بينهم "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"(٧٢٦).

المبحث الثالث

(722) البقرة(١٨٦).
(723) البقرة(٢).
(724) البقرة(٣).
(725) البحر المحيط، ج٢، ص٢٠٩.
(726) المطففين(٢٦).

التشكُّلات الأسلوبية لصيغة (اسْتَفْعَلَ) في ضوء السياق اللغوي.

أولاً: الأشكال التركيبية لصيغة استفعل في سورة البقرة.

الشكل الأول:[٧٢٧]

فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به اسم ظاهر.

ف + فا(ضس) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي **استوقد نارا**"[٧٢٨].

الشكل الثاني:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به محذوف.

ف + فا(ضم) + مفØ.

مثاله قوله تعالى: "**واستعينوا** بالصبر والصلاة"[٧٢٩].

الشكل الثالث:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به اسم ظاهر.

ف + فا(ضم) + مف(ظ).

مثاله قوله تعالى: "**ويستحيون نساءكم**"[٧٣٠].

الشكل الرابع:

فعل + فاعل اسم ظاهر + حرف الجر(اللام) + مجرور اسم ظاهر + مفعول به أول محذوف + مفعول به ثان محذوف

ف + فا(ظ) + ج(اللام) + مج(ظ) + مف١ Ø+ مف٢ Ø.

مثاله قوله تعالى: "وإذ **استسقى موسى لقومه**"[٧٣١].

الشكل الخامس:

فعل + فاعل ضمير متصل + حرف الجر(اللام) + مجرور ضمير متصل.

ف + فا(ضم) + ج(اللام) + مج(ضم).

---

(727) معاني الرموز المستخدمة ص(٥٨).
(728) البقرة(١٧).
(729) البقرة(٤٥).
(730) البقرة(٤٩).
(731) البقرة(٦٠).

مثاله قوله تعالى: "فليستجيبوا لي"[٧٣٢].

الشكل السادس:

فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول اسم ظاهر + مفعول به ثان محذوف.

ف + فا(ضم) + مف١(ظ) + مف٢ Ø.

مثاله قوله تعالى: **"واستغفروا الله"**[٧٣٣].

ثانياً: التشكلات الأسلوبية لصيغة (استَفْعَلَ) في ضوء السياق اللغوي

بعد عرض أطراف الخطاب الخارجية التي يُلقي كل منها ظلاله على النص بإضاءة خاصة، يأتي عرض السياق اللغوي، الذي تتآلف فيه الجوانب اللغوية من معجم وصرف ونحو ، وبها يظهر خطاباً متكامل المعالم، وفيما يلي بعض الأمثلة من الآيات الكريمة التي وردت فيها صيغة (استفعل) وكيفية تناغم الصيغة مع بقية أجزاء التشكيل اللُّغوي فيها، لتكوِّن كلاً واحداً يؤدي معنى معينا، ومقصدا معينا.

في قوله تعالى: "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ" [٧٣٤]. بدأت الآية الكريمة بواو العطف التي تربط الآية بما قبلها في قوله تعالى: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"[٧٣٥]. وما تلاها من الأوامر والنواهي التي تؤدي إلى الاستقامة في الدنيا والثواب في الآخرة، وهي الإيفاء بالعهود، وعدم كتمان الحق، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكلها أمور عظيمة وشاقة على من أحب الدنيا وسعى لها، وخالف أمر الله من أجل الرئاسة، كما فعل بنو إسرائيل.

وهذه الأجواء تُظهر أهمية وجود الفعل (استعينوا)؛ ذلك أن التغلب على الأمور الشاقة وتحمُّلها يحتاج إلى أساليب خاصة، تمكنه من تجاوز وساوس النفس إلى الارتقاء بها فوق ماديات الحياة، وهذا ما كان بنو إسرائيل بحاجته، فكان قوله

([732])البقرة(١٨٦).
([733]) البقرة(١٩٩).
(734) البقرة(٤٥).
(735) البقرة(٤٠)

تعالى: (استعينوا بالصبر والصلاة) مرشدا وهاديا ومعينا ومقدما حلا عمليا لمن واجهته أمور الحياة الشاقة.

(واستعينوا) بدلالته على الطلب يدل على سعي الفاعل في طلب الفعل وتحصيل أسبابه، والاستعانة تتطلب: فاعلا محتاجا للعون راغبا فيه طالبا له، ومُعِينا قادرا على العون، وأمرا مستعانا عليه.

والاستعانة وسيلة للعبادة لها وسائلها وهي: الصبر والصلاة. وجاء طلب الاستعانة بهما مجتمعين، وجاء استخدام حرف الجر(الباء) داعما معنى الطلب والاستعانة في الفعل (استعينوا)، ومقويا له؛ ذلك أن (الباء) تعني هنا الاستعانة، فتكرر المعنى في صيغة الفعل الصرفية، وصيغته الزمنية، واستخدام حرف الجر (الباء). وجمع تعالى بين الصبر والصلاة بالعطف دون أن يكرر الفعل، فلم يقل: استعينوا بالصبر، واستعينوا بالصلاة؛ لترابطهما وتلازمهما معا، ولضرورة وجود الصبر مع كل العبادات، لكنه تعالى قدَّم الصبر على الصلاة، لما في الصبر من شمول العبادات كلها فيه إذ تحتاج إلى الصبر، وتخصيص الصلاة من بين العبادات لما فيها من مجامع الخير. "والصبر عرفه الغزالي في «إحياء علوم الدين» بأنه ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة وهو تعريف خاص بالصبر الشرعي"(٧٣٦). وهو المقصود في الآية الكريمة إذ تقع الآية ضمن سورة تؤصل للعقيدة، وتضع معالمها وتحدد مصطلحاتها بما لا يدع مجالا للخوض فيه، ونحن هنا أمام وسيلة عبادة خاصة يحارب المُتَّصِف بها نفسه، ويلجم شهواتها أمامَ ثوابت الإيمان.

والمتتبع لذكر الصبر في القرآن الكريم يجده ملازما لأنواع الخيرات والمحامد فيما يزيد على سبعين موضعا نحو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "(٧٣٧). وقوله تعالى:" وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا"(٧٣٨). وقوله تعالى:" وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

(736) التحرير والتنوير، م١، ص٤٧٨.
(737) البقرة(١٥٣).
(738) الأعراف(١٣٥).

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"[٧٣٩]. فيكون الصبر طريقا لصنوف الخير في الدنيا والآخرة.

والصبر وسيلة عبادة يقع في بابين: الأول: الصبر لله بما أحب ورضي، والثاني: الصبر لله عما كره ونهى، وبذلك يكون الصبر شاملا لكل الطاعات والعبادات وهي المقصود النهائي للآية.

و جاء تقديم الصبر على الصلاة، " لأن تأثير الصبر في إزالة ما لا ينبغي، وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي"[٧٤٠]. فتقدم ذكر الصبر لأثره في إزالة كل معوقات الهداية والصلاح وكأنه يمهد الطريق ويسهل النفس للتلقي السليم، ولمَّا كان الصبر من كمال الصفات كان فيه كمال العبادات وتمامها. وهو علامة من علامات تمام الشريعة التي هي أعظم نعمة.

والصلاة خُصَّت بالذكر من بين العبادات، وأمر الله تعالى بها اليهود هنا بعد قوله:" وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" (٧٤١). وهي الصلاة الإسلامية، أي إن صلاتهم ما عادت تنفعهم بشيء بعد الإسلام وأن الصلاة المقبولة عند الله تعالى هي المأمورون بها الآن. وجاء تخصيص الصلاة بالذكر لأنها تجمع عددا من العبادات ولما فيها من الخير خاصة أنها تتكرر من العبد في اليوم والليلة خمس مرات، يقول تعالى في تأثيرها: " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"[٧٤٢]. وقد ورد في الحديث "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة"[٧٤٣].

وفي الصلاة من الأعمال الجسدية والقلبية ما لم يجتمع لعبادة أخرى. وجاء قوله تعالى:"وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" مؤكدا عامل المشقة في أداء العبادات على وجهها الصحيح، فهي ثقيلة على النفوس إذا كان إيمانها ناقصا، واستثنى تعالى من ذلك الخاشعين، والخشوع علامة إيمان تختص بالجوارح، أي إنها تظهر في أعمال الإنسان عند القيام بالعبادة، من توجه واستغراق في مناجاة الله تعالى، وهي

(739) السجدة(٢٤).
(740) البحر المحيط، ج١، ص٢٩٨.
(741) البقرة(٤٣).
(742) العنكبوت(٤٥).
(743) سنن أبي داوود، حديث رقم (١٣١٩).

تظهر زهد الإنسان في الحياة، ورغبته في الآخرة لمعرفته ما ينتظره من الأجر والثواب، فهي من علامات الإيمان البارزة؛ لذا كانت الصلاة عمود الدين.

والآية بجملتها بالإضافة إلى ما فيها من دعوة، فإنها تعريض باليهود لما فيهم من صفات تخالف الإيمان، أولها ما ذكر في الآية من قلة الخشوع وعدم الإقبال على الصلاة لعدم إيمانهم بالله تعالى وعدم رجائهم نفعها، ومن كان كذلك فإنه لا ينتهي عن الفحشاء والمنكر، ويُقبل على إنكار الحق، وكانت قمة تقريعهم قوله تعالى:" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ"(٧٤٤). إشارة صريحة إلى عدم قيامهم بأمور دينهم. وبالنظر إلى بداية الآية ونهايتها، نجد البداية جملة فعلية متجددة (استعينوا)، والنهاية جملة اسمية خبرية من الضرب الإنكاري، تدل على الثبات، وهي مُؤكَّدَةٌ بأكثر من مؤكِّد: (إنَّ) و(لام الابتداء)، كما جاءت الجملة بأسلوب الاستثناء. وكأن الجملة الفعلية تقول: اسعوا إلى مرضات الله بالطاعة، واسألوه العون عليها، والجملة الاسمية تقول: من سعى لما يرضي الله ثبت الله حاله على ما يرضيه. وبالتالي فإن النتائج محكومة بالمقدمات.

وفي قوله تعالى:" وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ "(٧٤٥). وفيها يظهر فضل الله ونعمته على بني إسرائيل بتنجيتهم من سوء العذاب الذي لاقوه من آل فرعون، وحتى تظهر قيمة نعمة التنجية، لا بد أن يظهر مقدار العذاب الذي عاشوه حينذاك، فجاء الفعل (يستحيون نساءكم) معبرا عن ذلك، خاصة وأنه جاء بعد الفعل (يُذَبِّحون) تحقيقا للإمعان في التعذيب.

وفي قوله: "وإذ نجيناكم": (إذ) ظرف لما مضى من الزمان، واستخدامه يعبر عن تحقق الحدوث ومعاينته، وكأنه حاضر أمامهم، ففي (إذ) عرض مشهدي كامل، وهذا العرض تعرض تفاصيله في المذكور بعد (إذ)، وعنوان هذا العرض: (نجيناكم) وهو بدلالته على التخليص من ضر واقع، يدل على أن بني إسرائيل كانوا في محنة صعبة، ولإزالتها كان لا بد من وجود قوة عظيمة، فجاء التدخل الرباني

(744) البقرة(٤٤).
(745) البقرة(٤٩).

لصالحهم بتنجيتهم، وفي قوله: "من آل فرعون" جاء حرف الجر (من) ليدل على تحكم آل فرعون بهم، وكأنهم كانوا يملكونهم، ويسيطرون عليهم، ويضعونهم في قبضتهم، وقال: (آل فرعون) ولم يقل: (فرعون)، لأن آله هم الذين كانوا يباشرون بني إسرائيل أصناف العذاب، فكان العذاب بأمر فرعون، على يد آله. أما تفاصيل المحنة فكانت: (يسومونكم سوء العذاب) والسَّوْم: تكليف الآخر ما لا يطاق، وهو يدل على حالة العبودية التي عاشها بنو إسرائيل آنذاك، وفي تعدية الفعل (يسوم) إلى مفعولين تعبير آخر عن شدة المعاناة؛ فالمفعول الأول بنو إسرائيل ووقوع أثره مسلط عليهم، والمفعول الثاني (سوء) تسليط أشد وأقسى ألوان العذاب، أما تفاصيل هذا السوم فكانت في: "يذبِّحون أبناءكم"، وجاء التركيب فعليا دالا على التجدد، واستخدامه بالمضارع دال على الاستمرار والديمومة، ومجيئه على صيغة (فعَّلَ) يعبر عن العنف والكثرة في التذبيح، وكان مفعول التذبيح (أبناءكم) تعبيرا عن شدة البلاء، حين يتوجه التذبيح لهم، وهم يرجون حياتهم، واستمرار ذريتهم، أما الشكل الآخر من أشكال السوم فكان: "ويستحيون نساءكم" وباستحياء النساء بعد تذبيح الأبناء ما يظهر سوء العذاب، إذ ترى الأمهات ذبح أبنائهن، وفوق ذلك يستبقين للخدمة، بل وربما يلحقه اعتداء على أعراضهن، لذا جاء الاستحياء في الآية صورة لأشد العذاب؛ لأنه لا محنة أصعب من رؤية الأبناء يذبَّحون، والإذلال بالعمل عند القاتل.

وبالنظر إلى زمن الأفعال الواردة في الآية الكريمة، نجد أفعال العذاب : (يسومونكم) و (يذبِّحون) و (يستحيون) جاءت مضارعة دالة على الاستمرار والتجدد، أما فعل التنجية فجاء بصيغة الماضي المعبر عن فضل الله ولطفه وتدخله بقطع وإيقاف العذاب بتنجيتهم. ويوافق هذه الدلالة الزمنية في الأفعال دلالة أخرى تظهر في استخدام الضمائر المرتبطة بها؛ ففي فعل التنجية نجد الضمير (كم) في (نجيناكم)، وفي أفعال العذاب نجد الضمير نفسه في (يسومونكم) و (يذبِّحون أبناءكم) و (يستحيون نساءكم)، فالضمير واحد وتوجيه الأفعال مختلف، وهنا لا بد من وقفة تأمل في فضل الله ونعمته عليهم، وكانت خاتمة الضمائر في الآية الكريمة

في (ر**بكم**)، تؤكد الأصل الذي يجب عليهم التزامه مع الله تعالى، أمام كل هذه النعم، التي جاءت الآية الكريمة تعرض طرفا منها.

و خاتمة الآية الكريمة تلخص هذه التفاصيل في عبارة: "وفي ذلكم بلاء"، والبلاء يحتمل الابتلاء بالمحنة والمصيبة، ويحتمل النعمة، وفي الآية تحتمل الأمرين: إذ ذبح الأبناء واستبقاء النساء محنة، والتنجية والتدخل الرباني نعمة، أبقت حياتهم، وخلصتهم من عدوهم، تلتها نعم عظيمة، إذ أراهم الله معجزاته، وصاروا ملوكا بعدما كانوا عبيدا، وأتم الله نعمه عليهم بنزول التوراة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، فكان حقا عليهم طاعة الله تعالى وشكره.

وفي قوله تعالى: " وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[٧٤٦]. وفي (إذ) استحضار لخصوصية الظرفين الزماني والمكاني، لما فيهما من إبراز النعمة وإظهار أثرها، وبوساطة (إذ) يظهر عرض مباشر أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) والجماعة المسلمة في المدينة المنورة، وأمام اليهود كذلك مذكراً إياهم بنعم الله عليهم فيما مضى، والمشهد يمثل طلب السقيا لبني إسرائيل من موسى عليه السلام، والزيادة في الفعل (استسقى) الدالة على الطلب، والرجاء الملح لقومه، قوبلت من جانب الله عز وجل بالرحمة والاستجابة المباشرة، وهي الاستجابة الواردة في حرف العطف (الفاء) في: (فقلنا) ليجيء بعدها الأمر بالضرب، ثم انفجار عيون الماء الدال على عِظم النعمة والرحمة ورفع البلاء.

و في الفعل (استسقى) طلب الإنعام، وإسناد الفعل إلى (موسى) تكريماً له عليه السلام، وتثبيتا لرسالته بأن جعل الله النعمة على يديه، وإظهارا لمعجزته أمامهم بجعلهم يعاينونها، ويشهدون بأم أعينهم فضل الله عليهم. وزاد النعمة أن توجه الفعل (استسقى) وانتهى أمره إليهم (لقومه) فلهم ومن أجلهم طلب الماء. ويأتي حرف العطف (الفاء) دالا على سرعة إجابة الله تعالى طلب موسى فور الطلب.

---

(746) البقرة(٦٠)

وكان من صور تكريم الله تعالى موسى وتأكيد معجزته أن جعل الاستسقاء يجري بفعله: "فقلنا اضرب بعصاك الحجر"، وجاء حرف (الفاء) العاطف مكررا في "فانفجرت" تعبيرا عن سرعة تنفيذ الطلب، وإظهارا للفضل بأن كان الماء المُعطَى غزيرا، وكان من تمام إنعام الله تعالى عليهم بالماء أن جعله: "اثنتا عشرة عينا" لكل سبط من أسباط بني إسرائيل عينٌ، فتكون النعمة بالإسقاء قد حضرت بأسرع وقت دون جهد منهم، وبكل وسائل الراحة وانعدام أجواء النزاع والخلاف، في وقت عسير ومكان تنقطع فيه أسباب الحياة.

فكان الفعل (استسقى) معبرا عن عظيم الإنعام وفائض الخير الذي عمَّهم وحفظ حياتهم. وفي قوله تعالى: "كلوا واشربوا من رزق الله" تأكيد أن ما بهم من نعمة الطعام والشراب هي من الله وليس لهم فيها دور أو فضل، وهي إذ عاشوها ورأوها كان عليهم شكر الله وطاعته. وقوله: "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" دعوة إلى التزام أمر الله من جهة، وعدم تبديل نعم الله عليهم نقما، فلا يكون استمرار حياتهم باعثا على تخريب الأرض، بل لعمارتها بعبادة الله.

وفي قوله تعالى:" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[٧٤٧]. "وذلك لما كان عليه الحُمْس[٧٤٨] من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف . وقولهم: نحن أهل الله وقُطَّان حرمه فلا نخرج منه، فيقفون بجمع، وسائر الناس بعرفات"[٧٤٩]. فهذه الآية تتناول ما كانت عليه قريش في الجاهلية من التعالي على الناس، وسلوك ما فيه تفريق الناس وتقسيمهم في طبقات، وهو أمر مرفوض، إذ ليس المكان ولا النسب ولا أية صفة أخرى ليس للبشر فيها فضل على أنفسهم، مما يتفاضل فيه الناس على بعضهم، وهذا توجيه رباني لخير أمة أخرجت للناس، بالتجمع ونبذ الفرقة وأي سبب من أسبابها. ومن هنا جاءت (ثم) لعرض نمطين من الإفاضة: الأول: الجاهلي القديم الذي كانت فيه قريش تفيض من المزدلفة تعاليا لأنهم أهل المكان، وبقية العرب

(747) البقرة(١٩٩).
(748) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢٣٠: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس.
(749) الكشاف، ج١، ٤١٢.

يفيضون من عرفات. والثاني: المطلوب في الآية وفيه يأمر الله تعالى الجميع بالإفاضة من عرفات. و(ثم) للتعبير عن بعد ما بين الإفاضتين "قال: ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب والثانية خطأ"(٧٥٠).

ثم يأتي قوله تعالى:" وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ" و(استغفروا) هنا يشير إلى الاعتراف بالخطأ الذي كانوا عليه، وعدم العودة إليه، وطلب المغفرة من الله تعالى، والندم عليه، وتجديد طلب المغفرة كلما تذكروه. وهذا من أعظم التربية الإيمانية للنفوس بإيجاد أسلوب يستعين فيه الإنسان على التخلص من أدران الجاهلية والشعور برضا الله تعالى، لا باللفظ فقط بل باللفظ بقول الاستغفار، وقلبي داخلي بالشعور بالذنب والاعتراف به، وسلوكي بعدم العودة إليه، ومتابعة ذلك وتأكيده بالاستغفار كلما تذكره، وبالنظر إلى الفعلين (أفيضوا) و (استغفروا) نجدهما فعلا أمر دلّا على الطلب، فالأول جاء أمرا ربانيا بتغيير السلوك، والثاني جاء تعليما للكف عن الخطأ، وطلب العون من الله تعالى التوفيق وعدم الرجوع إليه.

ويأتي قوله تعالى:"إن الله غفور رحيم" جملة اسمية خبرية مؤكدة، فيها تقوية لأسباب الاستغفار بما يجده الإنسان من سعة رحمة الله تعالى بعباده، وتعلميهم العودة عن الذنب، وعدم الاستمرار فيه، وإقامة سلطة الحق على النفوس لما لذلك من أثر طيب في حياته الشخصية وعلاقته بالله. وهو فعل من كان مؤمنا بالله تعالى، فهو يتوجه بالاستغفار لله القادر على غفر الذنوب، والتوفيق للخيرات، واختار تعالى صفتي (غفور) و(رحيم) بصيغة المبالغة الدالة على الكثرة لأنهما يناسبان ما كانوا فيه من خطأ، إضافةً إلى أن الرحمة تناسب جو الحج وما فيه من إخبات وإنابة.

وهكذا فإن صيغة (استفعل) توجه الأمة إلى عدد من الطلبات التي يحتاجونها في حياتهم وأنماط تعاملاتهم مع الله تعالى، ومع الناس، وفيها تعليم وإرشاد إلى ما يطلبون، وممن يطلبون، بما فيه انتظام أمورهم، وصفاء مجتمعاتهم، في علاقتهم بربهم في (استعينوا) و(استغفروا) و(استسقى). وعلاقتهم كأزواج (استرضعوا). وعلاقتهم في التعاملات اليومية بما يضمن حفظ الحقوق ويحقق دولة الأمن والأمان

(750) الكشاف، ج١، ص٤١٢.

التـي لا يظلـم فيهـا أحـد (استشـهدوا). وكـل ذلـك نعمـة مـن الله وعلامـة مـن علامـات اكتمال الشريعة وتمامها، وتأسيس لقواعد وتأصيل لها بحيث لا تختل ولا تبلى مع الزمن.

الفصل الخامس

ظواهر أسلوبية متصلة بالتعدية بالزيادة في سورة البقرة.

ظواهر أسلوبية للتعدية بالزيادة في سورة البقرة.

أولا- التكرار.

كان للتكرار في سورة البقرة أكثر من شكل منها: تكرار آية فيها صيغة من صيغ التعدية بالزيادة، كما في قوله تعالى:"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" [٧٥١]. التي تكررت في الآية (١٢٢). وفيهما جاء الفعلان (أنعم) على صيغة (أفعل) و(فضَّلَ) على صيغة (فعَّل)، وهي في موقع التذكير بنعم الله تعالى على بني إسرائيل، وتكرارها يدل على توجيه النعمة واختصاصهم به، وتنعُّمهم مدة من الزمن بهذه النعم، لكنهم لم يصونوها ولم يحرصوا على إدامتها عليهم، والنعم تدوم بالشكر وهم كفروها.

ومنها تكرار الصيغ الصرفية حيث كان لصيغة (أفْعَلَ) الحظ الأوفر من الورود والتكرار، حيث تكررت الصيغة في (٢٣٤) موضعا، التي عبرت عن عظيم قدرة الله تعالى في خلقه وفي الكون. تليها صيغة (فَعَّلَ) التي تكررت في (٦٨) موضعا، التي وافقت (أفْعَلَ) في معنى تعديتها، و دلت على ارتباط الحدث وقت وقوعه بمجموعة من الأفعال التي تسبقه وأخرى تلحقه، وهي صيغة تدل على الإتقان والإحكام، لأنها تعبر عن حدوث الفعل بشكل متدرج وقوي.

وصيغة (فاعَلَ) التي تكررت في (٣٠) موضعا، التي عبرت عن شكل خاص من قوة الحدث الصادر من طرفين، ورسمت أساليب التعامل على مستوى الأفراد والمجتمع والدولة. تليها صيغة (استفعل) التي تكررت في ثمانية مواضع من السورة الكريمة، التي اتصلت بمواقف خاصة علَّمت المسلمين كيف يكون الطلب وأزمنته وأماكنه.

ومنها تكرار فعل كالفعل (آمن) الذي تكرر في ثلاثة وستين موضعا توزع في أنحاء السورة من بدايتها وحتى نهايتها، وكان الإيمان المحور الرئيس الذي التفَّت حوله أحداث السورة وقصصها ومواقفها، به تُمدح فئة المؤمنين "الذين يؤمنون بالغيب" [٧٥٢]. وتذم الفئة التي لم تتصف به "إن الذين كفروا سواء عليهم

(751) البقرة(٤٧).
(752) البقرة(٣).

أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" [٧٥٣]. وجاء ليكشف زيف فئة ثالثة هي فئة المنافقين الذين ادعوا الإيمان ، وأعلنوه بألسنتهم دون أن يتجاوز ألسنتهم "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين" [٧٥٤]. وهي الفئة التي رأت الإيمان من السفه والمؤمنين سفهاء "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء"[٧٥٥]. وكان المنافقون يتلفظون بالإيمان خداعاً ومراوغة "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا"[٧٥٦].

وجاء الإيمان مرتبطا بالعمل الصالح "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات" [٧٥٧]. كما أن الإيمان كان الفيصل في تلقي الخطاب القرآني، والرائد في النظر إلى معجزات الله وآياته "فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا"[٧٥٨]. والدعوة إلى الإيمان هي التي حملها القرآن للناس كافة، وخص حينا بها جماعة معينة كاليهود "وآمِنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم"[٧٥٩]. بوصف الإيمان بالقرآن الكريم استمرار لإيمانهم بكتابهم.

واستخدم الفعل (آمن) للدلالة على الشريعة الإسلامية وما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) "إن الذين آمنوا الذين هادوا ..." [٧٦٠]. وجاء لتيئيس محمد (صلى الله عليه وسلم) من إيمان اليهود بعد الذي فعلوه من تبديل نعم الله وتحريف كتابه "أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه" [٧٦١]. وجاء ليعبر عن كمال الإيمان وضرورة الأخذ به فالإيمان الحقيقي لا يتجزأ "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض"[٧٦٢]. وأن الإقامة على شريعة منسوخة كفر "وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل إلينا ويكفرون بما وراءه"[٧٦٣].

---

(753) البقرة(٦)
(754) البقرة(٨).
(755) البقرة(١٣).
(756) البقرة (١٤)
(757) البقرة(٢٥).
(758) البقرة(٢٦).
(759) البقرة(٥٨).
(760) البقرة(٦٢).
(761) البقرة(٧٥).
(762) البقرة(٨٥).
(763) البقرة(٩١)

وفي الجزء الأخير من سورة البقرة تكرر الفعل (آمن) مقرونا ب(يا أيها الذين آمنوا) سبع مرات في خطاب خاص لأهل الإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، الذين سيقيمون دولة الإيمان المستندة إلى شرع الله وأحكامه. وخُتمت السورة بتكريم أهل الإيمان "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" [٧٦٤]. التي لخصت مفهوم الإيمان الشرعي، وعبرت عن مفهوم الإيمان الشامل.

وتكرر الفعل (آتى) (٣٣) مرة، وارتبط بأمرين: المال والعلم. وارتبطت دلالته بالخير والإنعام. واقترن وروده بالفعل (أقام) كما في قوله تعالى:"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" [٧٦٥]. وهما مما يمدح به المؤمنون من الأعمال الصالحة "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [٧٦٦]. وارتبط بالعلم والكتاب والحكمة، وكان اختصاصا لمن أنعم الله عليهم به، ومنه: "وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون"[٧٦٧]. وهو تثبيت لدعوة موسى وتكريم له، وهو إنعام متكرر "ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات" [٧٦٨].

وفي هذا الإيتاء تكريم للمُؤتَى بوجود ما يكمل حياته، الذي به صاروا أهل علم وكتاب وتشريع وخير أهل زمانهم. وخُوطِب به خاصة أهل الكتاب: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" [٧٦٩]. وهي تعرض كيفية مقابلة أهل الكتاب نعمة الله عليهم بالتحريف والتبديل، الأمر الذي يقودنا إلى استخدام صيغة المبني للمجهول للفعل (آتى) الذي ورد في عدة مواضع نحو قوله تعالى:"نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون" [٧٧٠]. حيث دل البناء للمجهول على عدم القبول، بعد إحاطتهم بالعناية والاختصاص الرباني. ومنه قوله تعالى:"إن الذين أوتوا الكتاب

(764) البقرة(٢٨٥).
(765) البقرة(٤٣).
(766) البقرة(٢٧٧).
(767) البقرة(٥٣).
(768) البقرة(٨٧).
(769) البقرة(١٤٦).
(770) البقرة(١٠١).

ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون" [٧٧١]. وتأكد ذلك في قوله تعالى:"ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك" [٧٧٢]. أما (آتى) المبني للمعلوم فيدل على القبول والاستجابة الصحيحة "الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به" [٧٧٣]. فجاء الإيتاء هنا إنعاما ومدحا لهؤلاء. والإيتاء من دعاء أهل الإيمان الذين يرجون خير الدارين "ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" [٧٧٤].

والفعل (انفق) الذي تكرر (١٩) مرة، و شكل أحد أهم العناوين الفرعية في السورة كونه أحد أهم أفعال المؤمنين وصفاتهم، فهو مما يمدح به المؤمنون "ومما رزقناهم ينفقون"[٧٧٥].

لكنَّ تجمع التكرار للفعل (أنفق) في السورة الكريمة كان في الجزء الخاص بالتشريعات، حيث تكرر في الآيات (٢٦١- ٢٧٤)، ثلاث عشرة مرة في أربع عشرة آية متتابعة، في خطاب خاص لأهل الإيمان بُناة الدولة، دولة التعاون والتكافل، الدولة المتوازنة أخلاقيا وماديا. وفي مثل بديع عرض الله تعالى ثمرة الإنفاق في سبيله: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"[٧٧٦]. ترغيبا وتحبيبا بالإنفاق.

ثم تكرر مرتين في قوله تعالى: "الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم"[٧٧٧]. بما يوجد زكاء النفس الذي يكون سببا في زكاء المال المُنفَق، والأخلاق النفسية للمُنفِق. ذلك أنه تقرر في بداية السورة في قوله تعالى: "ومما رزقناهم ينفقون"[٧٧٨]، أن الرزق الذي بين أيدي الناس من فضل الله لا من فضل أنفسهم.

---

(771) البقرة(١٤٤).
(772) البقرة(١٤٥).
(773) البقرة(١٢١).
(774) البقرة(٢٠١).
(775) البقرة(٣)
(776) البقرة(٢٦١).
(777) البقرة(٢٦٢).
(778) البقرة(٣).

ثم أكد تعالى أن الإنفاق له صور كالصدقة التي قد تتعرض لأشكال من المبطلات كالمن والأذى والرياء "كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله"[٧٧٩]. وضرب تعالى مثلا مقابلا في قوله: "مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم"[٧٨٠]. وعرض تعالى لمصدر المال المُنْفَق "أنفقوا من طيبات ما كسبتم"[٧٨١]. وله صورة مقابلة "ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون"[٧٨٢]. واقترن الإنفاق بالنذور في قوله تعالى: "وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه"[٧٨٣].

وفي الآية (٢٧٢) تكرر الفعل (أنفق) ثلاث مرات، وفيها تكثيف وتجميع مع وجود صيغتي شرط وصيغة حصر. وبالنظر في جملتي الشرط "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم" و"وما تنفقوا من خير يوف إليكم"(٧٨٤) نجدهما عبرتا عن شدة التلازم بين الفعل ونتائجه من الأجر والثواب، وتوسطتهما جملة الاستثناء "وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله" لتؤكد أمرين: الأول: النهي عن أن يكون الإنفاق إلا ابتغاء وجه الله، والثاني: إن هذه الصورة المستثناة من بقية الصور التي تبطل الإنفاق هي المقصودة بتلازم الفعل مع الأمر.

ولمزيد من العناية بالأهمية الاجتماعية للإنفاق عرضت الآية (٢٧٤) أنماطا إضافية للإنفاق "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم"[٧٨٥]. وهذا العرض للأزمان المختلفة للإنفاق والأحوال المختلفة، كان مقدمة للحديث عن الربا والبيع نموذجين للتعاملات المالية.

ثانيا- الفعل المزيد ومجرده في آية واحدة.

---

(779) البقرة(٢٦٤).
(780) البقرة(٢٦٥).
(781) البقرة(٢٦٧).
(782) البقرة(٢٦٧).
(783) البقرة(٢٧٠).
(784) البقرة(٢٧٢).
(785) البقرة(٢٧٤).

جاء الفعل المزيد ومجرده في قوله تعالى: "يخادعون الله الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"[٧٨٦]. اللذان جاءا في وصف أفعال المنافقين، باستخدام صيغتي (فَاعَلَ) و(فَعَل)، اللتين ارتبطتا معا بعلاقة الفعل ونتيجته. وبعلاقة الفعل من حيث الشكل، والفعل على وجه الحقيقة. ذلك أن جملة "يخادعون الله الذين آمنوا" وصف لما يعتقده المنافقون، وما يظنون أنهم فاعلون بالمؤمنين، وهو المعتقد والظن الذي تنطلق منه سلوكاتهم من الكذب والمراوغة.

ولما كان الله تعالى عالما بهم، وكاشفا أمرهم، وفاضحا نواياهم، ومحذرا المؤمنين منهم، تبين أن نتيجة فعلهم انقلبت عليهم، وأن ما يظنونه من مخادعتهم الله والمؤمنين ما هي إلا صورة لم تتحقق إلا في خيالاتهم. وأن فعل المخادعة على حقيقته قد انطلى عليهم وحدهم لشدة غفلتهم. وكانوا فوق ذلك كله غير شاعرين ولا مدركين لما يحدث لهم. فجاءت جملة "وما يخدعون إلا أنفسهم" تؤكد الشكل الصوري للفعل (يخادعون) وأن خدعهم أنفسهم هو الشكل الذي تحقق فيه الفعل.

فأبرز بناء المزيد والمجرد في الآية الكريمة الغفلة فوق الغفلة التي أوقع المنافقون فيها أنفسهم. وهذا العرض لفعلين مختلفين في البناء الصرفي والدلالي، ساهم في توضيح الفرق بين ما يظن المنافقون أنهم فاعلوه وما هو حاصل. وبين مخادعتهم الشكلية وخدع أنفسهم الحقيقي، وبين واقع معاملة المسلمين لهم وما ينتظرهم يوم القيامة إذ هم في الدرك الأسفل من النار، ومن طريف ما عرضه الفعل (يخادعون) الدال على المشاركة الذي يتطلب وجود فريقين أن قصر المعنى القرآني المشاركة فيه على طرف واحد وكان الفاعل عين المفعول.

وجاء الفعل المزيد ومجرده في آية واحدة في قوله تعالى: "ربنا ولا تَحْمِل علينا إصرا كما حَمَلْتَه على الذين من قبلنا ربنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين"[٧٨٧]. حيث جاء الفعلان (حَمَلَ) و (حَمَّلَ) في دعاء يختم السورة الكريمة، وجاء الحَمْل مقترنا بالإصر، وهو "يستعمل مجازا في العهد والميثاق المؤكد فيما يصعب الوفاء

(786) البقرة(٩)
(787) البقرة(١٨٦).

بـه"[٧٨٨]. وجـاء طلـب عـدم حمـل الإصـر هنـا خاصـا، وخصصـه التشـبيه فـي: "كمـا حملتـه علـى الـذين مـن قبلنـا"، أمـا الـدعاء بالفعـل المتعـدي بالزيـادة فـي "ولا تحمِّلنـا" فجاء عاما، إكمالا للدعاء، وشمولا لكل فعل يشق على فاعله، وهذا التعميم لكل "مـا لا طاقة لنـا بـه" فيـه احتـراز مـن التقصـير فـي العبـادات، فجـاء الفعـل المجـرد لطلـب الإعفـاء مـن التكـاليف الشـاقة، وتـلاه المزيـد لطلـب الإعفـاء مـن العقوبـة فـي حـال التفريط، فكان الدعاء كاملا في رفع المشقة.

ثالثا- تقديم المفعول به.

التقـديم والتـأخير "بـاب كثيـر الفوائـد، جـم المحاسـن، واسـع التصـرف، بعيـد الغايـة"[٧٨٩]. لمـا يقدمـه مـن دلالات إضـافية تضـاف إلـى قائمـة الـدلالات الأخـرى المستمدة من المستويات المعجمية والنحوية والصرفية.

كان تقدم المفعول به في سورة البقرة في شكلين، الأول: تقدم المفعول الثـاني على الأول داخل إطار الجملة الفعلية، ومنه قولـه تعـالى:"قـال إن الله اصـطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم"[٧٩٠]. وفيـه تقدم المفعول الثاني (مُلْكَهُ) على الأول (مَنْ) فـي:"يؤتي ملكـه مـن يشـاء". ولمـا كـان تقديم المفعـول عـدولاً عـن الأصـل، فإنـه يضـعنا أمـام بنيتـين: الأولـى: البنيـة العميقـة وفيها تترتب عناصر الجملة الفعلية حسب الأصل فتكون: فعلا وفـاعلا ومفعـولا أولا ومفعـولا ثانيـا: يـؤتي مـن يشـاء ملكـه. والثانيـة: البنيـة السـطحية: وهـي الظـاهرة الملفوظـة بعد إجـراء التعـديل عليهـا بتقديم المفعـول الثـاني علـى الأول. وهـي عمليـة تحمل دلالات إضافية، وهي دلالة تتكشف خلال السياق.

وبـالنظر فـي الآيـة الكريمـة نـرى أن الـذين عارضـوا ملـك طـالوت عارضـوه لادعـائهم أحقيـتهم بالملـك أكثـر منـه، لأنهـم نسـل الملـوك، وهـو لـيس كـذلك، ولأنهـم أغنياء وهو فقير. فكان الرد (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فـي العلـم والجسم)

(788) التحرير والتنوير، م٢، ج٣، ص١٤٠.
(789) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١ه)- دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٣.
(790) البقرة(٢٧٤).

وفيه يتضح معنى تقديم المفعول في (والله يؤتي ملكه من يشاء). والاحتفاظ بتقديم المفعول داخل إطار الجملة الفعلية للتأكيد على أن الإيتاء فعل الله تعالى وإرادته، يتصرف فيه كيف يشاء. وقدم المُلْك على المَلِك لأن الأهمية تتركز حول مؤهلات الحكم والقيادة والملك من العلم والقوة لا شخصية المَلِك. وأن صفات الحاكم مقدمة على نسبه وماله، "ودل أيضا على أنه لا حظ للنسب مع العلم وفضائل النفس وأنها مقدمة عليه لاختيار الله طالوت عليهم لعلمه مقدرته وإن كانوا أشرف منه نسبا"(٧٩١).

وهذه الدلالة الإضافية التي قدمها تقديم المفعول صبت في خدمة غرض السورة الكريمة في تأصيل العقيدة، الذي تضمن الرد على أعداء الرسالة من اليهود الذين رفضوا الدعوة الإسلامية لأن محمدا ليس منهم، إذ الموقفان يتطابقان والرد عليهما (يؤتي ملكه من يشاء).

وتقدم المفعول الثاني على الأول داخل إطار الجملة الفعلية في قوله تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب" (٧٩٢). حيث تقدم المفعول الثاني (الحكمة) على الأول (من). وقد جاءت الآية بعد الحديث عن الإنفاق والحَضِّ عليه والترغيب فيه، لأنه مجلبة لرضا الله تعالى، وتلاها ذكر وعد الشيطان ووعد الله تعالى، ويبقى الخيار للمتلقي يختار ما يشاء لأن الفرق بَيِّن.

والاختيار يدل على عقل صاحبه وما عنده من حكمة، ومن هنا تقدمت الحكمة على الحكيم؛ لأنها تحكم التصرفات الصحيحة وتقود للأحكام الصائبة. وفي النقلة النوعية لرتبة المفعول من الأصل إلى التقدم على المفعول الأول، إشارة إلى نقل المُؤتَى من الجهالة إلى الحكمة، ومن الضلال إلى الحق، ومما يطمس البصيرة إلى ما يفتح لها آفاق المعرفة.

وكون الحكمة عطاء خاص من الله تعالى من يشاء، فهذا يعني أن الناس ينقسمون إلى حكماء وغير حكماء، وهذا التقسيم يجعلنا أمام نموذجين من السلوك:

---

(791) البحر المحيط، ج٢، ص٥٧٧.
(792) البقرة(٢٦٩).

حكيم، يفعل ما أمره الله، وغير حكيم لا يمتثل أمر الله. وهذا يقودنا إلى نموذجين من الاستجابة: حكيم يستجيب دعوة الرحمن. وغير حكيم يستجيب دعوة الشيطان. ولما كان الفريقان على هذا الحد من التنافر، كانت الأفعال والنتائج كذلك، ولما كانت الحكمة عطاء خاصا، كان المُعطَى يتمتع بصفات عقلية خاصة تمكنه من فهم الحقائق وقبولها بعيدا عن الهوى والعناد.

وبهذا فإن هذا الخطاب يتوجه لأصحاب العقول السوية داعيا إياهم تحكيم العقل والحكمة في تصرفاتهم واختياراتهم. وأن من الحكمة قبول الإسلام والسير على نهجه.

أما الشكل الثاني من تقديم المفعول فهو تقديم المفعول على الفعل والفاعل، كما في قوله تعالى:"ومما رزقناهم ينفقون"(٧٩٣). وهو شكل يمثل انحرافا أقوى من النوع الأول؛ لأنه تخطى أصل الترتيب في أكثر من نقلة؛ حيث تخطى الفاعل، ثم تخطى الفعل. وهذا يعني أن القوة الدلالية الإضافية التي يحملها أكبر. وليس بالضرورة أن تكون هذه القوة في كم الدلالة وحجمها، بل في شدة لفت الانتباه إلى قضية الخطاب، والتأثير الوجداني والعاطفي الذي يحدثه هذا الشكل من الانحراف.

وإذا كان تقديم المفعول الثاني على الأول أعطى المفعول الثاني أهمية وعناية تفوق الأول، فإن تقديم المفعول على الفعل والفاعل أعطاه أهمية على الحدث نفسه، ومنحه أهمية محورية؛ ذلك أن الإنفاق من صفات المؤمنين وعمد أفعالهم، لكن المنطلق الذي يعتمده الفاعل في الإنفاق هو الأساس الأهم، الذي يمثل شكر الله تعالى على نعمة المال "فهم يعترفون ابتداء بأن المال الذي في أيديهم هو من رزق الله لهم لا من خلق أنفسهم، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعاف الخلق والتضامن والشعور بالآخرة وبالأخوة البشرية"(٧٩٤).

فجاء تقديم المفعول في الآية الكريمة يقدم الضابط الرئيس للإنفاق، الذي به تنمو التربية النفسية للمُنفِق فلا يتكبر ولا يمن ولا يرائي، و لا يرجو بشر بشرا، ولا يخضع مخلوق لمخلوق، وترسخ مفاهيم اجتماعية أساسها العبودية لله تعالى، و

(793) البقرة(٣).
(794) في ظلال القرآن الكريم، م١،ص٤١.

تتضح حدود علاقة العبد بربه وعلاقته بالآخرين في الجانب المالي. ومن عناصر الجذب اللافتة للانتباه في الآية أن جاء المفعول اسما موصولا، وكانت الإحالة فيه لغير مذكور فيها، مما يربط الآية بمحيطها الخارجي ويقوي المعنى.

رابعا:حذف المفعول به.

"الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"[٧٩٥]. ومن لطيف ما نجده في الحذف أنه في الوقت الذي يقدم إيجازاً لغويا فإنه يقدم دلالة إضافية، تلفت النظر للمعنى الداخلي للنص، وهو شكل من أشكال الانحراف الذي يضعنا أمام مستويين للجملة: الأول عميق بوجود المفعول. والثاني سطحي بحذفه.

والمفعول "إذا حذف خصوصا، فإن الحاجة إليه أمس، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[٧٩٦]. لما بين الفعل المتعدي ومفعوله من التلازم.

وفي سورة البقرة حذف المفعول في عدة مواضع منها قوله تعالى:"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٧٩٧]. وفيه حذف المفعول الثاني للفعل (أنذر)"والتقدير: أأنذرتهم سوء العذاب على كفرهم أم لم تنذرهموه"[٧٩٨]. والحذف فيه حقق عدة أهداف أولها الإيجاز؛ إذ دل الإنذار على المكروه فأغنى عن ذكره، والثاني تأكيد وتحقيق قيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمهمته، وثالثها تأكيد عدم إيمان الكافرين فلا يحزن، وزاد هذا المعنى تأكيدا همزة التسوية التي ساوت بين إنذارهم وعدمه في حدوث الاستجابة المطلوبة.

وفي قوله تعالى:"يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا" [٧٩٩]. وفيه حذف مفعول (أضاء) "لدلالة مشوا عليه، وتقديره:

---

(795) دلائل الإعجاز، ج١، ص٤٢.
(796) السابق، ص١١٨.
(797) البقرة(٦).
(798) البحر المحيط، ج١، ص٧٩.
(799) البقرة(٢٠).

المَمْشى أو الطريق. أي: أضاء لهم البرق الطريق" [٨٠٠]. وهذا الحذف يتلاءم مع وصف المنافقين بانتهازهم الفرص أنى لاحت لهم بغض النظر عن المكان.

وفي قوله تعالى: "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم" [٨٠١]. وفيه "حذف المفعول الثاني للعلم به" [٨٠٢]. وتقديره: استغفروا الله ذنوبكم، وحذف الذنوب يناسب معنى الستر والتغطية في فعل الغَفْر، وفيه إشارة إلى قبول الله طلب من توجه إليه بالاستغفار، وسعة مغفرته تعالى، وأكد تعالى هذا المعنى في (إن الله غفور رحيم). مما يربي في النفوس مهابة الوقوع في الذنوب واللجوء إلى الاستغفار وعدم اليأس من رحمة الله تعالى.

وفي قوله تعالى:"وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف" [٨٠٣]. "والمفعول الثاني محذوف: أن تسترضعوا أولادكم المراضع والحذف على الحقيقة للمفعول الأول، لأن المرضعة هي الفاعلة" [٨٠٤].

وهذا يعني أن الجملة مرت بعدة انحرافات: أولها تقديم الأولاد على المرضعات، ثم حذف المرضعات وإبقاء الأولاد، وفيه تأكيد على أهمية المحافظة على صحة الأبناء ورعايتهم الرعاية اللازمة، وتوفير مقومات الحياة السوية، فهم مقدمون ولهم الأولوية، وهم فوق كل خلاف بين الزوجين.

وفي قوله تعالى:"وإذ استسقى موسى لقومه..." [٨٠٥]. "قيل: مفعول استسقى محذوف. أي: استسقى موسى ربه. وقال بعض الناس: وحذف المفعول وتقديره: استسقى ماء"[٨٠٦]. والفعل(استسقى) بدلالته عل الطلب يدل على المُستَسقَى منه وعلى المُستَسقَى، وحذف المفعول هنا يتلاءم مع غرض الآية في تذكير بني إسرائيل بالنعم عليهم، والتذكير يتضمن إشارات للنعم، خاصة وأن المستسقى منه جل وعلا معروف، وفي تذكيرهم بكل نعمة، تذكير بمجمل عهودهم مع الله تعالى.

---

(800) التحرير والتنوير، م١، ص٣٢١
(801) البقرة(١٩٩).
(802) البحر المحيط، ج٢ ، ص٣٠٥.
(803) البقرة(٢٣٣).
(804) اللسان، مادة (رضع).
(805) البقرة(٦٠)
(806) البحر المحيط، ج١، ص٣٦٥-٦٦.

خامسا- وجود فعلين مزيدين في آية واحدة، أو موضع واحد.

وله صورتان: الأولى: وجود فعلين من صيغة صرفية واحدة. والثاني: وجود فعلين من صيغتين صرفيتين مختلفتين. ومن أمثلة الأول قوله تعالى:"الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون" (٨٠٧). وفيه جاء الفعلان (أنزل) و(أخرج) على صيغة(أفعل). والفعلان يرتبطان معا من حيث ترتيب الأحداث، واعتماد الثاني على الأول؛ فالأول سبب والثاني نتيجة، فإنزال الماء يأتي أولا ثم إخراج الثمرات، وإخراج الثمرات نتيجة لإنزال الماء، ومتضادان من حيث الاتجاه والمكان. والآية إذ تسبقها دعوة لعبادة الله الخالق، فإنها تعرض نماذج وأدلة من قدرته تعالى وعظمته في خلقه. وتَوافُق الفعلين في الصيغة والدلالة الصرفية، وتضادهما في المكان والاتجاه مع وجود فاعل واحد هو الله تعالى، يشكل خطابا عقليا تظهر آثاره ونتائجه أمام من أنكر ليكون دليلا، وأمام من صدق ليزداد تثبيتا.

وقوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون" (٨٠٨). وفيه جاء الفعلان (أحيا) و(أمات) دليلا على قدرة الله وتصرفه في خلقه. وجاءت الأفعال فيه مرتبة حسب حدوثها: إحياء ثم إماتة ثم إحياء؛ فالأول يُظهر قدرة الاصطناع والاختراع، والثاني عودة المخلوق إلى الموت، والثالث إحياء للحساب.

ولما كان فعلان منهما مرئيين يعيشهما الإنسان في حياته، فمن الطبيعي أن يكون إيمانه بالأخير حاصلا، لذا جاءت الأفعال في إطار الاستفهام للإنكار على الكافرين بهذه الأفعال حالهم، وقد تأكد الإنكار بواو الحال في (وكنتم أمواتا) خاصة أن ما بين أيديهم من الأدلة الحاضرة يؤكد الغيبي.

وفي قوله تعالى: "فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه.." (٨٠٩). وفيه جاء الفعلان (أزل) و(أخرج) حيث ترتبا حسب الوقوع، وارتبطا معا بعلاقة

---

(807) البقرة(٢٢).
(808) البقرة(٢٨).
(809) البقرة(٣٦).

السبب والنتيجة. وإسناد الفعلين مجازا للشيطان يجعلهما في مرتبة المحسوس تأكيدا لأثرهما، مما يربي في النفوس حذر الشيطان ووساوسه، وكان في عرض قصة الشيطان الذي عرف الله تعالى ورأى آياته مع آدم، تمهيدٌ لقصة أهل الكتاب الذين رأوا معجزات الله وآياته ثم كفروا بها.

وفي قوله تعالى:"ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" [٨١٠]. وفيه جاء الفعلان (علَّم) و(زكَّى) على صيغة (فعَّل). والآية دعاء على لسان إبراهيم عليه السلام حققه الله تعالى، ويرتبط الفعلان معا من حيث ترتيب الحدوث، وعلاقة الفعل بثماره. إذ التعليم يوصل إلى تزكية النفوس. وإذا كان التعليم يمثل الجانب النظري، فإن التزكية تمثل الجانب العملي لأنها العمل بما أرشد إليه القرآن، وهما يشيران إلى مهمة الرسول والدُّعاة بعده، فالهدف تعليم الناس أمور دينهم بما يُحدث تغييرا، وهذا لا يتم إلا بالعمل والتطبيق. وورودهما بصيغة المضارعة يدل على أهمية الاستمرار في طلب العلم وتحصيله، وتحصيل ما يترتب عليه.

ومن أمثلة الصورة الثانية قوله تعالى:"فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" [٨١١]. وفيه جاء الفعلان (بدَّل) و(أنزل) وقد ارتبط الفعلان معا برابطة السبب والنتيجة، حيث كان تبديل أمر الله سببا في إنزال العذاب، ومن اختلاف الصيغة الصرفية نجد أن الفعل (بدَّل) دل على القصد والتعمد وتكرير الفعل والكثرة، والقيام به بقصد السخرية، فاستحقوا إنزال العذاب دفعة واحدة، وهو المعنى الوارد في صيغة (أفعل).

وفي قوله تعالى:"بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزِّل الله من فضله على من يشاء"[٨١٢]. وفيه جاء الفعلان (أنزل) و(ينزِّل) مختلفين في الصيغة الصرفية والزمنية. وشكَّل الأول نتيجة للثاني؛ فقد كفروا بما أنزل الله

(810) البقرة(١٢٩).
(811) البقرة(٥٩).
(812) البقرة(٩٠).

بسبب حسدهم مما ينزِّل على محمد (صلى الله عليه وسلم). والفعل (أنزل) الماضي المتحقق قصد به التوراة والإنجيل، والفعل (ينزِّل) المضارع قصد به القرآن الكريم.

ومن الطبيعي أن يكون إيمانهم بالقرآن استمراراً لإيمانهم بالتوراة والإنجيل اللذين بشرا بمحمد ورسالته، لكنهم كفروا بها جميعا. لذا كانت (بئسما) ذما لهم على فعلهم، وزاد ذما لهم أن يكون باعث كفرهم الحسد والغيرة، رغم ما عندهم مما يهيئ النفوس للإيمان.

وما أرى المغايرة بين الفعلين صرفا وزمانا إلا إشارة إلى تغيير موقع الرسالة، ونقلها من بني إسرائيل إلى العرب، لما فيهم من صفات تؤهلهم لحمل الرسالة العالمية. وأن زمنهم وزمن شريعتهم انتهى (أنْزَلَ)، وأن الحاضر والمستقبل لمن أراد الهداية في الإسلام (ينزِّل). والفعل (أنْزَلَ) إذ يعبر عن كفرهم برسلهم وكتابهم بإقامتهم على شريعة نسخت، فإن الفعل (ينزِّل) يعبر عن كثرة حسدهم وتجدده، فالفعلان رغم اختلاف صيغتهما الصرفية والزمنية منسجمان في عرض فكرة الكفر القديم المتجدد .

وفي قوله تعالى:"قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"[٨١٣]. وفيه جاء الفعلان (أفرغ) و(ثبت) وهما دعاء أهل الإيمان من المجاهدين في سبيل الله. وقد ارتبطا بعلاقة التكامل فإفراغ الصبر هو تحمل قسوة الحرب، أما تثبيت القدم فهو اكتمال القوة. وإفراغ الصبر حالة نفسية تهيئ النفس للإقبال على القتال، أما تثبيت القدم فهو الجانب العملي للإيمان. وبالإفراغ الدال على القوة والتثبيت الدال على الكثرة، معنيان ضروريان للقتال، ويكتمل دعاء المؤمنين بالاستعداد للحرب ويقوي هذا الدعاء تصديره ب(ربنا) المعبر عن الانقياد. وانتهاؤه ب(وانصرنا على القوم الكافرين) السبب الموجب لنصر الله تعالى عباده.

وفي قوله تعالى:"ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت..." [٨١٤]. وفيه جاءت الأفعال (حاج) و(آتى) و(أحيا) و(أمات) لتعرض نموذجا من تآزر الأفعال المزيدة

(813) البقرة(٢٥٠).
(814) البقرة(٢٥٨).

المتعدية في إيضاح الموقف؛ فالفعل (حاج) الدال على المشاركة يعرض شكل الموقف وعلاقة المتحاورين ببعضهم، ويرسم صورة الفاعل والمفعول، وهذا الفاعل يخاصم ويجادل في الله، وهو الذي (آتاه الله الملك)، والفعل (آتاه) يعرض لنوع غريب من البشر الذين ينسون إنعام الله عليهم، ويتحدون بأعظم معجزات الله في الإحياء والإماتة.

والأفعال حسب ترتيبها في الآية تدل على غرابة الموقف؛ فالمحاجة لم تكن في موضعها، و(آتاه) يدل على تغيير المحاج ما يوجب الشكر إلى الكفر، والفعلان (يحيي) و(يميت) هما أدلة المحاجة، ووضحت مقدار التمادي في ادعاء الإحياء والإماتة مغالطة.

ومن أمثلة الأفعال المتعدية بالزيادة في موضع واحد، الفعلان (نجَّى) في قوله تعالى: "وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب.."[٨١٥]. والفعل (أنجى) في قوله تعالى: "وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون"[٨١٦]. وكلا الفعلين جاءا ضمن تذكير الله تعالى بني إسرائيل نعمه عليهم، وهما متفقان في الأصل المعجمي، ومعنى التعدية فيهما، مع وجود خصوصية دقيقة لكل منهما؛ فالفعل (نجيناكم) يعبر عن تخليص عام من ألوان العذاب، وذكر منها تذبيح الأبناء واستحياء النساء، وأن تنجيتهم كانت من ضر عام شمل جوانب مختلفة من حياتهم، وجاء متدرجا عبر مدة من الزمن، وأن تنجية الله لهم، رفعت هذا الضر. أما (أنجيناكم) فيعبر عن حالة خاصة، وموقف دقيق، وأن الإنجاء جاء دفعة واحدة في ذلك الوقت، الذي لا يحتمل فيه تخليصهم التأجيل. فكان ارتباط الفعلين معا في موضوعهما ارتباط العام بالخاص، والمتدرج بالحادث دفعة واحدة، وبوجودهما كان تخليص بني إسرائيل من كل سوء.

وهكذا فإن وجود أكثر من فعل مزيد في الآية الواحدة يجعلها مرتبطة بعلاقات متعددة داخلية وخارجية تشكل عالم النص المتكامل.

---

(815) البقرة(٤٩).
(816) البقرة(٥٠).

الخاتمة

أظهرت هذه الدراسة أهمية دراسة الأفعال المتعدية بالزيادة دراسة أسلوبية، وأن الزيادة فيها أضافت الكثير من المعاني والدلالات إلى المعجم اللغوي، وأثرت التركيب النحوي بعناصر ودلالات جديدة، تناسب الحديث في مواقف مختلفة، تضع

أمام المرسل خيارات متعددة لاختيار الأنسب للموضوع وغرض الحديث، بما يلائم بيئة المتلقي وثقافته.

وأن الأفعال المتعدية بالزيادة تمتلك طاقات تعبيرية كبيرة بقدرتها على حمل المعاني الحقيقية والمجازية والمعاني المضمنة، التي لا يقوى الفعل المجرد على حملها، وأنها تمتلك مواصفات الإيجاز في الوقت الذي تعبر فيه عن كم كبير من المعلومات، وأن لهذه الأفعال قوة تأثيرية عالية في وجدان المتلقي وفكره، تتبعها قوة في الاستجابة للحدث.

ورغم اتفاق هذه الأفعال في أنها متعدية بالزيادة فإنها مختلفة في معنى التعدية الذي يفتح المجال لخيارات لغوية واسعة أمام المتكلم، لاختيار ما يناسبه حسب السياق المقامي والمقالي الذي يريد.

كما أظهرت تآزر المستويات اللغوية المختلفة من معجم، وصرف، ونحو، في صناعة المعنى والدلالة، ذلك أن كل مستوى من هذه المستويات يظهر جانبا هاما من جوانب التركيب، الذي يصب في خدمة النص، وفيها معا تظهر الدالة الكلية للنص المدروس.

وكشفت الدراسة أهمية دراسة سياق الحال بعناصره المختلفة من موضوع، وغرض، ومتلقٍ، والكشف عن كل واحد منها، كشف عن جانب هام من جوانب النص الخارجية، التي تلقي ظلالها على زاوية من زواياه، وتُبِيْن عن جانب مهم فيه، وإن تفاوتت مستويات هذه الإبانة.

كما أظهرت هذه الدراسة أهمية دراسة السياق اللغوي، وتحليله تحليلا أسلوبيا، بحيث يظهر دور الفعل المتعدي بالزيادة في صنع الحدث، والتفاف عناصر البناء اللغوي حوله، وتشكيلها معا خطابا مؤثرا فاعلا محققا هدفه في موضوعه، و كشف عن جانب من جوانب إعجاز النص القرآني في استخدام الأفعال المتعدية بالزيادة.

Abstract

Transitivity, stylistic Study of Al-Baqara Sura.

Prepared by: Amal Fawaz Mahmoud Taifour.

Supervised by: Dr. Khouloud Ibrahim Al-Oumoush.

This study deals with transitive verbs in Al-Baqara Sura, which have four grammatical formulas: (ʾafʿala) (faʿʿala) (faa,la) and (ʾistafʿla). The statistical, stylistic and analytical analysis was applied in this study.

This study shows the effect of verbs' transitivity, their objective and the ability of such verbs on the listener's emotionally since they are of a special construction that has a role in the communication and interaction between the speaker and the listener.

This study concludes that each of the four formulas enjoys a special transitivity characteristic and the forms of the two objects. The strength of (ʾafʿala) formula is due to the presence of a new subject that deliberately enters into construction and requires an object. The strength of (faʿʿala) formula is clear in the quantity and quality of the action and its control over the object. The strength of (faa,la) formula is clear in the volume of comparison between the subject and the object which are distinguished by subjectivity and objectivity together. The strength of (ʾistafʿla) formula is clear in knowing the need and asking it from those are able to offer it.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابراهيم، خليل، المعين في تصريف الأفعال، ط١، الأهلية، عَمَّان، ٢٠٠٢م.

٢- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٩٠٠هـ) - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢،ص١٥٩.

٣- الأصفهاني،أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب(ت٥٠٢ هـ)- المفردات في غريب القرآن، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

٤- البغوي،أبو محمد الحسن بن مسعود (ت٥١٠هـ)- معالم التنزيل، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٥م.

٥- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت٨٧٥هـ)-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٦- الثمانيني، أبو القاسم عمر بن ثابت (ت٤٤٢هـ)- الفوائد والقواعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٧- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت٤٧١هـ)- دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨م.

٨- جومسكي، نوم، البنى النحوية، ط١، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م.

٩- الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت١٣٠هـ)- تاج اللغة وصحاح العربية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الدويني، (ت٦٤٦هـ)- الشافية في علم التصريف، ط١، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٩٩٥م.

١١- حسن، عباس، النحو الوافي، ط٤، دار المعارف، مصر،

١٢- حسنين، صلاح الدين، الدلالة والنحو،ط١، مكتبة الآداب.

١٣- الحلواني، محمد خير، الواضح في علم الصرف، ط٤، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م.

١٤- الحموز، عبد الفتاح، معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم، ط١، دار الفيحاء، عَمَّان، ١٩٨٦م.

١٥- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف(ت٧٥٤هـ)- المبدع في التصريف، ط١، تحقيق د.عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م.

١٦- أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت٧٥٤هـ)- البحر المحيط في التفسير، ط.ج، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

١٧- ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ)- جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٨- الراجحي، عبده، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.

١٩- الرضي، نجم الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٢٠- الزبيدي،أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني(ت١٢٠٥هـ)- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٥م.

٢١- الزحيلي، منير وهبه، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م.

٢٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.

٢٣- السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري، كتاب الأفعال، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)- الكتاب، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٥- السيد حامد، عبد السلام، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب، القاهرة،

٢٦- السيد، عبد الحميد مصطفى، الأفعال في القرآن الكريم، دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته، ط١، دار الحامد، عمَّان، ٢٠٠٤م.
٢٧- السيد، عبد الحميد مصطفى، المغني في علم التصريف، ط١، دار صفاء، عَمَّان، ١٩٩٨م.
٢٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٨٨م.
٢٩- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)-الأشباه والنظائر في النحو، ط٣، دار الحديث، بيروت، ١٩٨٤م.
٣٠- شاهين، عبد الرحمن محمد، في تصريف الأفعال، مكتبة الشباب، ١٩٩٣م.
٣١- الشريدة، عزام محمد ذيب، دور الرتبة في الظاهرة النحوية، المنزلة والموقع، ط١، دار الفرقان، عمَّان، ٢٠٠٤م.
٣٢- شلاش، هاشم طه، معجم الأفعال المتعدية/ اللازمة، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٣- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي(ت١٢٠٦هـ)-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٥- ابن عاشور،محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.
٣٦- ابن عباد، أبو القاسم إسماعيل(ت٣٨٥هـ)- المحيط في اللغة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤م.
٣٧- عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٨- عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٩- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٤م.

٤٠- عبد المطلب، محمد، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

٤١- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن، (ت٦٦٩هـ)- الممتع الكبير في التصريف، ط١، تحقيق د. فخر الدين قباوه، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٢- ابن عطيه، أبو محمد عبد الحق بن غالب(ت٥٤٢هـ)- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، لدوحة، ١٩٧٧م.

٤٣- عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠١م.

٤٤- عمايره، خليل أحمد، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ط١، وائل، عمَّان، ٢٠٠٤م.

٤٥- العموش، خلود ، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق(مثل من سورة البقرة)، عالم الكتب الحديثة، اربد، ٢٠٠٥م.

٤٦- ابن فارس، أبو الحسين أحمد(ت٣٩٥هـ)- معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٤٧- فياض، سليمان، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، ط١، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٨- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)- القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٩- قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٠- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت٦٧١هـ)- الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م.

٥١- ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي(ت٥١٥هـ)- كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٢- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط٢٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٣- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي(ت٣٦٧هـ)- كتاب الأفعال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م.

٥٤- قيقانو، أنطون بشارة، معجم تعدي الأفعال، دار المراد، بيروت، ١٩٩٨م.

٥٥- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)- تفسير القرآن العظيم، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٧م.

٥٦- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي(ت٢٨٦هـ)- المقتضب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٧- المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة الوظيفي، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٥٨- المخزومي، مهدي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ط٣، ١٩٨٥م.

٥٩- مكرم، عبد العال سالم، تدريبات نحوية ولغوية في ظلال النصوص القرآنية والأدبية، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

٦٠- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)- لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٦١- النجار، لطيفه ابراهيم، دور الرتبة الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، ط١، دار النشر، عمَّان، ١٩٩٤م.

٦٢- نور الدين، عصام، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، دراسات لسانية ولغوية، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٣- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف(ت٧٦١هـ)- شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

الملحق (١)

الأفعال على صيغة (أفْعَلَ) في سورة البقرة.